

تَلَيْسُ إِبْلِيسُ

تأليف
أبي الفرج بن الحزمي البغدادي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب . وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب . وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب . أحمدته حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب . وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب . فتنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب . وبين للناس ما أنزل إليهم ، وأوضح مشكلات الكتاب . وتركهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها ولا سراپ . فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب . وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن أعظم النعم على الإنسان العقل ، لأنه الآلة فى معرفة الإله سبحانه والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بعث الرسل وأنزل الكتب ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه الله ببوة أبيهم آدم - عليه السلام - فكان يعلمهم عن وحى الله عز وجل فكانوا على الصواب إلى أن افترض قاييل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلاً إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليس ظنه فأتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين .



فصل

واعلم أن الانبياء جاءوا بالبيان الكافى، قابلوا الأمراض بالدواء الشافى، وتوافقوا على منهاج لم يختلف. فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً، وبالدواء سماً، وبالسبيل الواضح جرماً مضللاً، وما زال يلعب بالعقول إلا أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام، ويحرمون السائبة والبحيرة والوصيلة والحام. ويرون وأد البنات ويمنعنهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس. فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ، فرفع المقابح، وشرع المصالح. فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره، سالمين من العدو وغروره. فما انسلخ نهار وجودهم. أقبلت أغباش الظلمات، فعادت الأهواء تنشئ بدعاً، وتضيق سبيلاً ما زال متسعاً، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل. فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح.

فرأيت أن أحذر من مكائده، وأدل على مصايده. فإن فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه. ففى الصحيحين فى حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله ابن على البزار قال أخبرنا أحمد ابن على الطريشى قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بنى أحمد بن سهل قال محمد بن أحمد بنى الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً منى. فقيل وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فإذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها.

فصل

وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنة، ومخوفاً من محنة، وكاشفاً عن مستوره، وفاضحاً له في خفى غروره. والله المعين بجوده. كل صادق في مقصوده.

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تليسه، ويتبين للفظن بفهمها تدليسه، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليسه. والله موفقى فيما قصدت، وملهمى للصواب فيما أردت.

. . . .

الباب الأول الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمدنا الحسن بن علي التيمي نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي عن ابن إسحق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «من أراد منكم بحبوة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك ابن عمير عن جابر ابن سمرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا، فقال «من أحب منكم أن ينال بحبوة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى على المديني نا أبو محمد الصريفي نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد ابن صاعد ثنا سعيد بن يحيى الأموي ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» حدثنا عبد الأول بن عيسى نا أبو القصارين يحيى ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن اسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسكن بحبوة الجنة فليلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي نا عبد الرحمن ابن أبي شريح ثنا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعد الجوهري ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانه عن زياد ابن علاقة عن عرجة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يد الله مع الجماعة، والشيطان من يخالف الجماعة». أخبرنا محمد بن عمر الأرموي والحسين بن علي المقرئ نا عبد

الصمد بن المأمون نا على بن عمر الدارقطني ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحق بن البهلول حدثني أبي ثنا محمد بن يعلى ثنا سلمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يد الله مع الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله، قال: خط رسول الله ﷺ خطأ بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً. قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل». وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعمامة والمسجد. حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحتري بن عبيد ابن سليمان عن أبيه عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتي إلا على الهدى».

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العروجي قالا أخبرنا الحراجي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفري عن سفیان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي كما أتى على بنى إسرائيل، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه. وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي

سفيان، أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله ابن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسي نا يوسف بن يعقوب بن إسحق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله، قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة . أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك نا أحمد ابن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب، قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار . وإن اقتصاداً في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في إخلاف . أخبرنا سعد الله ابن علي نا الطريثي نا هبة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرفي ثنا عثمان ابن أيوب إسحق بن إبراهيم المروزي . قال ثنا أبو إسحاق الأقرع قال: سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: نا أحمد بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر ابن موسى ثنا الحميدي قال أنبأنا سفيان ابن عيينة، قال: سمعت عاصم الأحول يحدث عن أبي العالية، قال: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا - قال عاصم فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك والله صدقك .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن

عمرو أبو إسحاق الفزاري . قال : قال الأوزاعي « اصبر نفسك على السنة »
وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ما ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك
سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم . أخبرنا محمد بن أبي القاسم
نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن
أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروي ثنا عبد الله بن عروة ، قال سمعت
يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعي ، قال : رأيت رب العزة في
المنام ، فقال لي يا عبد الرحمن ، أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر ، فقلت : بفضلك يا رب . وقلت يا رب أمتني على الإسلام ، فقال :
وعلى السنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا أحمد بن أحمد نا أحمد
ابن عبد الله الحافظ ثنا إبراهيم بن أبي عبد الله ثنا محمد بن إسحاق
سمعت أبا همام السكوني يقول : حدثني أبي قال : سمعت سفيان يقول :
لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول
وعمل ونية إلا بموافقة السنة . أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا
محمد بن علي ثنا عمرو بن عبدوية ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن
ابن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط . قال قال سفيان : يا يوسف إذا بلغك
عن رجل بالمشرك أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن
آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام . فقد قل أهل السنة
والجماعة . أخبرنا سعد الله بن علي نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله
ابن الحسين الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوي نا محمد بن زياد
البلدي ثنا أبو أسامة عن حماد بن يزيد قال أيوب : إني لأخبر بموت
الرجل من أهل السنة فكأنني أفقد بعض أعضائي . وبه قال الطبري وأخبرنا
الحسين بن أحمد نا عبد الله اليزجدي ثنا عبد الله بن وهب نا إسماعيل
ابن أبي خالد نا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شاذب عن أيوب .
قال : قال : إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم
من أهل السنة .

قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون نا جعفر بن محمد بن
نضير نا أحمد بن محمد بن مسروق نا محمد بن هارون أبو نشيط نا أبو

عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب. قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك، أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها. قال الطبري وأخبرنا عيسى بن علي ثنا البغوي ثنا محمد ابن هارون ثنا سعيد بن شبيب، قال: سمعت يوسف بن أسباط، يقول: كان أبي قدريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان. قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى. قال: سمعت معتمر بن سليمان يقول: دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال: مات على السنة ؟ قلت: نعم ! قال تحزن عليه. قال الطبري وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري، قال: « استوصوا بأهل السنة خيراً، فإنهم غرباء ». أخبرنا أبو منصور ابن حيرون نا إسماعيل بن أبي الفضل الإسماعيلي نا حمزة بن يوسف السهمى نا عبد الله بن علي الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر ابن عبد الواحد قال: قال لنا ابن أبي بكر بن عياش: السنة فى الإسلام، أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندراني يقول: سمعت أبا منصور محمد الأردى يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: سمعت الحسن بن محمد الطبري يقول: سمعت محمد ابن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعى يقول: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأنى رأيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد أبو نعيم أخبرنى جعفر الخلدى فى كتابه، قال سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن محمد نا عبد العزيز بن علي الأرجى نا علي بن عبد الله بن جهضم نا محمد بن حابان، قال:

سمعت حامد بن إبراهيم يقول قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسننه. كما قال الله عز وجل: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

....

الباب الثاني فى ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى قال: أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال: أخبرنى أبى ثنا يزيد عن ابراهيم بن سعد أخبرنى أبى وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردى وأبو سعد البغدادى قالنا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الحرورى ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « من أحدث فى أمرنا ما ليس فيه فهو رد » أخبرنا موهوب بن أحمد نا على ابن أحمد البسرى ثنا محمد ابن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوى ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى وإسحاق بن إبراهيم المرورى قالنا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ: « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » قال البغوى وحدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبى عون عن سعد ابن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها. أن النبى ﷺ قال: « من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد » أخرجاه فى الصحيحين. أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسين ابن على نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبى عن مجاهد عن عبد الله ابن عمر عن النبى ﷺ، أنه قال: « من رغب عن ستنى فليس منى ». انفرد بإخراجه البخارى. أخبرن ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد حدثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثنى عبد الرحمن ابن عمرو السلمى وحجر بن حجر. قالنا: أتينا العرباض بن سارية وهو من نزل فيه ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾. فسلمنا وقلنا آيتناك زائرین وعائدين ومقتبسين.

فقال عرابض: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشياً، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستى سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل وعن ابن مسعود، قال قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دونى، فأقول يا رب أصحابى، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» أخرجاه فى الصحيحين. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد ابن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن إسحاق شيبا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله بن محرر قال: يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الخبل قوة قوة. أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشر نا ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال: حدثنى أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر. قال. كان طاوس جالساً وعنده ابنه. فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شيء فأدخل طاوس إصبعيه فى أذنيه. وقال: يا بنى ادخل أصبعك فى أذنك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف. ثم قال: أى بنى أسدد فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر. قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبى. قال: كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم. فبلغ إبراهيم أنه قد دخل فى الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد. قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائى، قال: قلت لفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم فى القدر - يعنى إبراهيم بن أبى يحيى - فقال سفيان: عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية. قال حنبل وحدثنا سعدوية ثنا صالح المرى. قال: دخل رجل

على ابن سيرين وأنا شاهد، ففتح باباً من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن تقوم. أخبرنا المحدثان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن سعيد ابن عامر عن سلام بن أبي مطيع. قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال: لا ولا نصف كلمة. قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحيى بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السخيتاني قال: ما ارداد صاحب بدعة اجتهداً إلا ارداد من الله عز وجل بعداً. أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا الطريثي نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن على نا البغوي نا أبو سعيد الأشج نا يحيى بن يمان قال سمعت سفيان الثوري قال البدعة أحب إلى إبليس من العصية . المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن على ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل ابن اسماعيل. قال: مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري. فقال الناس: جاء الثوري - فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنابة ولم يصل عليه لأنه كان يرمى بالإرجاء. أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي نا أحمد بن ثابت أحمد بن روح النهرواني ثنا طلحة بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد أبي مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول: سمعت شعيب بن حرب يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة. أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني ثنا اسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريري. قال: مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديداً فقل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت ؟ قال: لا ولكني مررت على قدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالوا: أخبرنا أبو محمد الصريفي نا أبو بكر بن عبيد نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبي ثنا

محمد بن بكر قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه. أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر عبد الصمد ثنا عبد الصمد ابن يزيد، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه. أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن علي ثنا عبد الصمد. قال سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا رأيت مبدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام. وسمعت رجلاً يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته .

قال المصنف: وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام». وقال محمد بن النضر الحارثي: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكل إلى نفسه. وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابني يقول: سمعت علي بن عيسى يقول: سمعت محمد بن إسحاق يقول: سمع يونس بن عبد الأعلى يقول: قال صاحبنا - يعني الليث بن سعد - لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته. فقال الشافعي: إنه ما قصر لو رأيته يمشى على الهواء ما قبلته. وعن بشر بن الحارث أنه قال: جاء موت هذا الذي يقال له المريسى وأنا في السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً - الحمد لله الذي أماته. هكذا قولوا .

قال المصنف: حدثت عن أبي بكر الخلال عن المروزي عن محمد بن سهل البخاري قال: كنا عند القرياني فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامي في أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة .

فصل

فإن قال قائل قد مدحت السنة وذمت البدعة، فما السنة وما البدعة
فإننا نرى أن كل مبتدع فى رعمنا يزعم أنه من أهل السنة.

(فالجواب) أن السنة فى اللغة الطريق. ولارب فى أن أهل النقل والأثر
المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على
تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث: وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد
رسول الله ﷺ وأصحابه.

والبدعة: عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فى المبتدعات أنها
تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان. فإن
ابتدع شئ لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور
السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل
وهو الاتباع. وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما،
حين قالوا له أجمع القرآن: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟
وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين ابن شاذان
نا أبو سهل نا أحمد البرنى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عمجلان عن
عبد الله بن أبى سلمة، أن سعد بن مالك سمع رجلاً يقول: لبيك ذا
المعارج. فقال: ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ. وأخبرنا
محمد بن أبى القاسم بإسناد يرفعه إلى أبى البحتري. قال: أخبر رجل
عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل
يقول كبروا الله كذا وكذا. وسبحوا الله كذا وكذا. واحمدوا الله كذا
وكذا. قال عبد الله: فإذا رأيتمهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم
فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء. وكان
رجلاً حديداً. فقال: أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد
جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتهم أصحاب محمد ﷺ علماً. فقال عمرو
بن عتبة: استغفر الله. فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً
وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً أنبأنا أبو بكر ابن أبى طاهر عن أبى محمد
الجوهري عن أبى عمر بن أبى حياة ثنا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن

فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا ابن عوف ، قال : كنا عند إبراهيم النخعي فجاء رجل فقال : يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه . وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال فيه : أخبرنا المحمّدان : ابن ناصر ، وابن عبد الباقي نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد ابن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن ريان يقول : سمعت ذا النون - وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس - فقال : أنا لا أتكلم في شيء من هذا فإن هذا محدث ، سلوني عن شيء في الصلاة أو الحديث . ورأى ذو النون على خفاً أحمر فقال : انزعها يا بني فإنه شهرة ، ما لبسه رسول الله ﷺ ، إنما لبس خفين أسودين ساذجين .

فصل

قال الشيخ أبر الفرج رحمه الله . قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحدانا وكان الرجل يصلي فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر ابن الخطاب على أبي بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرأهم قال : نعمت البدعة هذه لأن صلاة الجماعة مشرعة . وإنما قال الحسن في القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم . فأما إذا كانت البدعة كالمتعم فقد اعتقد نقص الشريعة . وإن كانت مضادة فهي أعظم . فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم يكتف أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبي ثنا يعلى ابن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتهم

أمر الله وهم ظاهرون « فى الصحيحين . أخبرنا هبة الله الحسن بن على نا ابن ملك ثنا عبد اللع بن أحمد ثنى أبى قال ثنا يوسف ثنا حماد ابن يزيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » انفرد به مسلم . وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقره أخبرنا الكروخى نا النورجى والأزدى قالانا الحراجى ثنا المحبوى ثنا الترمذى قال: قال محمد بن اسماعيل، قال على بن المدينى: هم أصحاب الحديث .

فصل

فى بيان انقسام أهل البدع

أخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر النورجى قالانا الحراجى ثنا المحبوى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » قال الترمذى: هذا حديث صحيح .

قال المصنف: وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه: كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابى . أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد قال: ثنى أبى ثنا حسن ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبى هلال عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة . وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يا رسول الله . ما تلك الفرقة ؟ قال الجماعة . قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فإن قيل، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها،

وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحنورية والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية: وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتي عشرة فرقة .

وانقسمت الحنورية: اثنتي عشرة فرقة: فأولهم الأزرقية قالوا: لانعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والأباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق والشعلية قالوا: إن الله لم يقض ولم يقدر، والحازمية قالوا: ما ندرى ما الإيمان، والخلق كلهم معذورون، والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى فقد كفر. والمكرمية قالوا: ليس لأحد أن يمس أحد لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤكله حتى يتوب ويغتسل، والكثيرة قالوا: لا ينبغي لأحد أن يعطى ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكتزّه في الأرض حتى يظهر أهل الحق، والشمرانية قالوا: لا بأس بمس النساء الأجانب لانهن رياحين، والأخنسية قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمة قالوا: إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر، والمعتزلة من الحنورية قالوا: اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين، والميمونية قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

وانقسمت القدرية: اثنتي عشرة فرقة: الأحمرية وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم، والثنوية وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية، والكيسانية هم الذين قالوا لا ندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيّ شاب الناس بعد الموت أو يعاقبون، والشيطانية قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدرّة إلا الكفر، والوهمية قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات، والراوندية قالوا: كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً، والبترية زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته، والناكثية زعموا أن من نكث ببيعة رسول الله

عليه السلام فلا إثم عليه والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها
والنظامية تبعوا إبراهيم النظام في قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر.

وانقسمت الجهمية: اثنتى عشرة فرقة: المعطلة زعموا أن كل ما مية
عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر
والمريسية قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة، والملتزمة جعلوا الباري سبحا
وتعالى في كل مكان. والواردية قالوا: لا يدخل النار من عرف ربه وم
دخلها لم يخرج منها أبداً، والزنادقة قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ر
لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما ا
يدرك، لا يثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبق
محترقاً أبداً لا يجد حر النار، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق
والفانية زعموا أن الجنة والنار تفنيان، ومنهم من قال أنهما لا تخل
والمغيرية جعلوا الرسل فقالوا إنما هم حكام، والواقفية قالوا: لا نقول إدا
القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، والقبرية ينكرون عذاب القبر والشفاعة.
واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق.

وانقسمت المرجئة: اثنتى عشرة فرقة: التاركية قالوا: ليس لله عز وجل
على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء،
والسائبة قالوا: إن الله تعالى سبب خلقه ليعملوا ما شاءوا، والراجيا
قالوا: لا نسعى الطائع طائعا ولا العاص عاصيا لأننا لا ندرى ما له عند
الله، والشاكية قالوا: إن الطاعات ليست من الإيمان، والبيهسية قالوا:
الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر،
والمنقوصية قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص والمستثنية نفوا الاستثناء في
الإيمان، والمشببه يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى، والحشوية جعلوا
حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض،
والظاهرية هم الذين نفوا القياس والبدعية أول من ابتدع الأحداث في هذه
الامة.

وانقسمت الرافضة: اثنتا عشرة فرقة العلوية قالوا: إن الرسالة كانت
إلى عليّ وإن جبريل أخطأ والأمرية قالوا إن علياً شريك محمد ﷺ في

أمره، والشيعه قالوا: إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه من بعده وأن الأمة كفرت بمبايعه غيره، والإسحاقية قالوا: إن النبوة متصله إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي، وإن الناورسية قالوا: إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر، والأمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله، واليزيدية قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أخذ لم تجز الصلاة بخلف غيره برهم وفاجرهم، والعباسية رعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره، والمتناسخه قالوا: إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه، ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه، والرجعية رعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم، والمتربصه تشبهوا بزي التساك ونصبوا فى كل عنصر رجلاً ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر .

وانقسمت الجبرية: اثنتى عشرة فرقة منهم: المضطربة قالوا لا فعل لأدمى بل الله عز وجل يفعل الكل، والإفعالية قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالجل، والمفروغية قالوا: كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شئ، والنجارية زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم، والمتانية قالوا: عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير والكسبية قالوا: لا يكسب العبد ثواباً ولا عقاباً، والسابقية قالوا: من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا ينفعه بر، والحبية قالوا: من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها، والخوفية قالوا: إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه والفكرية، قالوا: إن من ارداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة، والخسية قالوا: الدنيا بين العبادسواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم، والمعية قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة .

الباب الثالث

فى التحذير من فتن إبليس ومكائده

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه .

وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرصاً له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم . قد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين ﴾ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ وقال تعالى : ﴿ ويريد الشيطان أن يضلكن ضلالاً بعيداً ﴾ وقال : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنه عدو مضل مبين ﴾ وقال : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ . وفى القرآن من هذا كثير .

فصل

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال : ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال . ﴿ أرأيتك هذا الذى كرمت على ﴾ والمعنى أخبرنى لم كرمته علىّ ، غرر ذلك الاعتراض أن

الذى فعلته ليس بحكمة ثم أتبع تلك بالكبر فقال: ﴿أنا خير منه﴾ . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب .

فمتى سول للإنسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره بإياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب النصيح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فى لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يبحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهن عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن اسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنا المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس إن الله تعالى أمرنى أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا إن كل مال نحلتة عبدى فهو له حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأنتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنا أبى ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار . أن النبى ﷺ خطب ذات يوم فقال فى خطبته: إن ربى - إلى آخر الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجرى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال: إن إبليس قد يشس أن يعبد المصلون

ولكن فى التحريش بينهم قال المصنف: انفرد به البخارى والذى قبله مسلم وفى لفظ حديثه « قد آيس أن يعبه المصلون فى جزيرة العرب » .

أنبأنا اسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا ابن بشر نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبى عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه، قال إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسى الله التقم قلبه .

أخبرنا محمد بن أبى منصور نا عبد القادر نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا عبد الرحمن عن حماد ابن سلمة عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم ففرقوا . قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتاده رضى الله عنه قال: إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجملك لمثل هذا أجلب عليه واقنته

قال سيار: وحدثنا جعفر ثنا ثابت السنانى رضى الله عنه قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ، فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم، قال: فهل لى فيها من شئ، قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا والله، قال الله على أن لا أملاً بطنى من طعام أبداً، قال إبليس: والله على أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن حثيمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه. قال: إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فردها طولاً .

أنبأنا إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على ابن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن

عينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعه يبلغ به النبي ﷺ يقول : كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبها - ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها ، فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان . فقال : أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى ألقى فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعننى تنج ، اسجد لى سجدين ، فهو الذى قال عز وجل : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ . وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه : أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكرأ ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها : قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل . وكان ثقة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى ، قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يخلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه من أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعها على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاء إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه

عليه، وقال: لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك، قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه في بيتها فلبث على ذلك زماناً ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، قال: فلم يزل حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان أنس لها، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زماناً يتحدثان، ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان أنس لها، فلم يزل به حتى فعل، قال فلبثا زماناً. ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها. وقال له: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها، فلبثا على ذلك حيناً. ثم جاء إبليس. فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبها، فولدت له غلاماً فجاء إبليس فقال: أرايت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له: أتراها تكتم لإخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، قال: خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوا فسألوه عنها فنعاهوا لهم

وترحم عليها ويكافها، وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أباماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فرعاً منكم وألقاهما في حفيرة احتفراها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فاطلقوا فأدخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً، وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضى حتى أتى إلى هذا المكان فأنظر فيه، قال: فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحو الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبحين في الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صبح بهما، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الحشبة أتاه الشيطان، فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعنتى اليوم وكفرت بالله الذي خلقتك وصورك خلصتك مما أنت فيه، قال: فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه، قال: ففيه نزلت هذه الآية ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾ - إلى قوله - ﴿جزاء الظالمين﴾ وقد تقدم ذكرها

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجري ثنا عبد الله بن محمد العطيني ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسين بن عبد الله بن مسلم

القرشى عن وهب بن منبه رضى الله عنه، قال: كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأرادہ إبليس فلم يقدر عليه فاتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فاتاه متشبهاً بالمسيح . فناداه: أيها الراهب أشرف على أكلمك، قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى فقال: أشرف على فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة، ألسنت قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أبنا اسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشر نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبدالله محمد بن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبدالله رضى الله عنه عن أبيه قال: لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح: ما أدخلك، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام اخرج يا عدو الله، فقال إبليس خمسين أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك بأثنين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لا حاجة لك إلى ثلاث، مره يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان: الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، وبالحرص أبيع لأدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه فانخرج من الجنة، قال ولقى إبليس موسى عليه السلام، فقال: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عز وجل أن يتوب على، فدعا موسى ربه فقبل يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقى موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حياً أسجد له ميتاً، ثم قال إبليس: يا موسى إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فاذكره ولده وزوجه وأهله حتى يولى . وإياك أن تجالس امرأة

ليست بذات محرم فأبى رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشي وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال ما بعث الله نبياً إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء: قال القرشي وثني القاسم ابن هاشم عن ابراهيم ابن الأشعث عن فضيل بن عياض: قال حدثني بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليها الصلاة والسلام وهو يناجي ربه تعالى، فقال له الملك: ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه، قال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة . قال القرشي وثنا أحمد بن عبي الأعلی الشيباني ثنا فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه: بينما موسى عليه السلام جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك يا موسى: فقال له موسى عليه السلام، من أنت: قال أنا إبليس، قال فلا حياك الله ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك لمزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال: فما الذي رأيته عليك، قال: به اختطف قلوب بن آدم، قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوزت عليه، قال إذا أعجبت نفسه، واستكثر عمله. ونسى ذنوبه. وأحذرک ثلاثاً:

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتته بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به، فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها، ثم ولى وهو يقول: يا ويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بنى آدم .

قال القرشي: وحدثني محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندی وأنت سهمي الذي أرمى به، فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولي

فى حاجتى .

قال القرشى: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخى وهب بن منبه قال: سمعت وهباً يقول: قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم. قال الحدة إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

قال القرشى: وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضى الله عنه قال: لما بعث النبى ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شئ فيقول لهم ما لكم لا تصيبون منهم شيئاً، فقالوا: ما صحبنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشى: وأخبرنا أحمد بن جميل المرورى نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى موسى قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج. فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عقى، قال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى رنى، قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر، قال أنت، قال: ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت .

قال القرشى: وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لاقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضباً لله فلقه إبليس فى صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله . قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال لاقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وصادتك . قال فمن أين لى ذلك؟ قال: أنا لك، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وصادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً، فقام

غضباً فتمثل له الشيطان فى صورته وقال ما تريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل: فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدرى من أنا أنا الشيطان، جئت أول مرة غضباً فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك .

قال القرشى: وحدثنا بشر بنى الوليد الكندى ثنا محمد بنى طلحة عن ريد ابن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره، ثم سماهم: فذكر ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزكنبور، فأما ثبر، فهو صاحب المصبيات الذى يأمر بالشبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوة الجاهلية، وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه، وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيغبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا، وأما داسم، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهله ليرييه العيب فيهم ويغضبه عليهم، وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال: ما ندب الله العباد إلى شئ إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر :

إما غلوا فيه وإما تقصيراً عنه . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة ابن سعيد ثنا ابن لهيعة عن ابى قابيل سمعت حياة بن شراحيل يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شرفى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه .

قال الشيخ: أبو الفرج رحمه الله، قلت: وفتن الشيطان ومكايده فى غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى: ولكثرة فتن الشيطان وتشبيهاها بالقلوب عزت السلامة . فإن من يدع إلى ما

يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدره فيا سرعة انحدارها، ولما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكاً، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنا ابن سريج: ثنا عتبة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن ابن عبد العزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروج المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الذى لنجا هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف لنجا .

ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطاناً

أخبرنا أبو الحصين الشيبانى نا أبو على المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبى ثنا هارون ثنا عبد الله بن مهيب أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه عن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع، فقال، مالك يا عائشة أغرت ؟، فقلت: ومالى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال: أو قد جاءك شيطان؟ قالت: يا رسول الله أو معى شيطان ؟ قال نعم، قلت: ومع كل إنسان ؟ قال نعم، قلت: ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم، ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم: انفرد به مسلم، ويجئ بلفظ آخر: أعاننى عليه فأسلم . قال الخطابى: عامة الرواة يقولون: فأسلم على مذهب الفعل الماضى إلا سفيان ابن عيينة يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم . قال الشيخ: وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا يحيى عن سفيان ثنا منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن من الملائكة، قالوا وإياك يا رسول الله . قال: وإياى، ولكن الله عز وجل أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بحق: وفى رواية فلا يأمرنى إلا بخير. انفرد

به مسلم . واسم أبى الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين، ويحتمل القول الآخر .

بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنى عبد الرزاق ثنى معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حبيب زوج النبى ﷺ ، قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال النبى ﷺ : « على رسلكما إنها صفية بنت حبي » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً أو قال شيئاً » الحديث فى الصحيحين . قال الخطابى : وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب، ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : خاف النبى ﷺ أن يقع فى قلوبهما شئ من أمر فيكفرا، وإنما قاله ﷺ شفقة منه عليهما لا على نفسه .

ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ، وعند السحر، فقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ إلى آخر السورة . فإذا أمر بالتحرر من شره فى هذين الأمرين فكيف فى غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنى سيار ثنى أبو التياح، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنبل : أدركت النبى ﷺ ؟ قال : نعم، قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال : إن الشياطين تحدت تلك الليلة

على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ . فهبط إليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قل، قال: أما قول؟ قال: قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى .

أنبأنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين ابن بشر نا نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثني أبو سلمة المخزومي ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه». قال القرشي ثنا هناد بن السرى ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه، قال: إن للشيطان لمة يابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ الآية .

قال الشيخ رحمه الله: وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود. أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة، ومن كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة . ثم يقول «هكذا كان أبى إبراهيم ﷺ يعوذ اسماعيل وإسحاق» أخرجاه فى الصحيحين. قال أبو بكر بن الأنبارى الهامة واحد الهوام، ويقال . هى كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على

اللسان .

آخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر
البرمكى نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينى ثنا محمد بن خلف ثنا
عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت قال: قال مطرف: نظرت فإذا ابن آدم ملقى بين يدي الله عز وجل
وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس
(وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه. ما تصنع بالشیطان إذا سول
لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن
عاد؟ قال أجاهده، قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو
منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدى، قال هذا يطول
عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ رحمه الله: واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل
جالس بين يديه طعام، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين
يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان
فيكفيه فى طرده الذكر، والثانى مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان
تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان .

.....

الباب الرابع

فى معنى التلبيس والغرور

قال المصنف: التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردى جيداً: وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم، واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثلثم وساكته العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربّض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة . فإن العدو ما يفتر . قال رجل للحسن البصرى: أينام إبليس ؟ قال: لو نام لوجدنا راحة، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدا المرأة وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرأة، وللعبدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدا المرأة فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه فى الشر، قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم . وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره، وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل، وأوسطه فى القوة الهوى، وأضعفه الغفلة، وما درع الإيمان على المؤمن، فإن نبلى

العدو لا يقع فى مقتل .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو حمد بن حيان ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهري ثنا أبو غسان النهدي قال: سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر . أنبأنا على بن عبد الله نا محمد بن محمد بن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن أحمد ثنى أبى أحمد بن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجمانى ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال: حدثنا رجل كان يكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشد من يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء، فإننا نلعب لهم لعباً .

.....

الباب الخامس

فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات

ذكر تلبيسه على السوفسطائية

قال الشيخ: هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا: زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده. وقد رد العلماء عليهم، بأن قالوا لمقاتلكم هذه حقيقة أم لا؟ فإن قلتم لا حقيقة لها وجورتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعو إلا ما لا حقيقة له؟ فكأنكم تقولون بهذا القول أنه لا يحل قبول قولكم، وإن قلتم لها حقيقة، فقد تركتم مذهبكم. وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتاب الآراء والديانات، فقال: رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا في أمر هؤلاء غلطاً بيناً. لأنهم ناظروهم وجادلوههم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليه وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة، فكيف تكلم من يقول: لا أدري أيكلمنى أم لا؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدري أوجود هو أم معدوم؟ وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت في الإبانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد؟ قال: ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر فيجعل ما يقر سبباً إلى تصحيح ما يجحده. فأما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة. قال الشيخ: وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال: إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن، ولا ينبغي أن يؤسس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قمرين: فقال له أبوه القمر واحد، وإنما السوء فى عينيك، غرض عينك

الحولاء وانظر، فلما فعل قال: أرى قمراً واحداً لأنى عصبت إحدى عيناى فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية، فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة فعل فرأى قمرين، فعلم صحة ما قاله أبوه .

أنبأنا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو عبد الله المرزباني ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال: مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له . فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال له صالح يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك، قال: هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام: فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت، وإن كان قد مات فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه . وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلاً من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال: سرقت دابتي . فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً، قال: بلى، قال: فكر، قال: هذا أمر أتيقنه . فجعل يقول له: تذكر، فقال: ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر، أنا لا أشك أننى جئت راكباً، قال: فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشيء وأن حال اليقظان كحال النائم ؟ فوجم السوفسطائي ورجع عن مذهبه .

فصل

قال النوبختى قد رعبا فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها، فإن العسل يجده صاحب المرة الصفراء مرأ ، ويجده غيره حلواً . قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد

حدوثة . واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً. قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد. وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا. قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه، وبما يقال لهم: أثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فإن قالوا لا، لحقوا بالأولين، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة في نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين .

فصل

قال النوبختي . ومن هؤلاء من قال: إن العالم في ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الإنسان أن يتفكر في الشيء الواحد مرتين لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم: كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان أحدكم الذي يجيبه الآن غير الذي كلمه .

ذكر تلبيسه على الدهرية

قال المصنف: قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع. وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه. وهل يشك ذو عقل في وجود صانع، فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بائنه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع، وما أحسن ما قال العرب: إن البعرة تدل على البعير، فهيكلك علوى بهه اللطافة، ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على اللطيف ؟ ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلاً، ولشفت غليلاً فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب المضغ وتسلط الكبد على الطعام ينضجه، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء،

وهذه الأصابع التى هبت فيها العقد لتطوى وتفتح ، فيمكن العمل بها ، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصددها الشئ القوى فكسرها ، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت ، وأخفى فى البدن ما فيه قوامه ، وهى النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح ، وكل شئ من هذه الأشياء ينادى أفى الله شك ؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس ، ومن الناس من جمده ، لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود ، ولو عمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل ، ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما ، وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة ، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية . ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه . وللملحدين اعتراض يتناولون به على قولنا : لا بد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد وإليه نقاضيك فنقول كما أنه لا بد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس . قالوا فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم ، فالواجب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً فإننا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة ، وقد اخترعها ولا بد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهى شئ جاءت لا من شئ ولا يمكنكم أن ترون صنعة جاءت لا من صانع .

ذكر تليسه على الطبائعين

قال المصنف : لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال ما من شئ يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه ، فدل على أنها الفاعلة ، وجواب هذا ، نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها ، وذلك يخالف طبيعتها ، فدل على أنها مقهورة .

وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المنسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً، فإن قالوا ولو كان الفعل حكيماً لم يقع فى بنائه خلل، ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع. قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع. فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة، أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نسيان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيسسها ولو فعلت طبعاً لأيسر الكل أو رطبته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى ييس هذه للادخار، والنضج فى هذه للتناول، والعجب أن الذى أوصل إليها اليبس فى أكنة لا يلقى جرمها والذى رطبها يلقى جرمها، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب، والماء واحد، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله «تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل» .

ذكر تليسه على الثنوية

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان: ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزا قوين حساسين، سميعين بصيرين، وهما مختلفان فى النفس والصورة، متضادان فى الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقى طيب الريح حسن المنظر، ونفسه نفس خيره كريمة حكيمة نفاعه منها الخير واللذة والسرور والصلاح، وليس فيها شئ من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص وتنن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة متنتنة ضاراة منها الشر والفساد. كذا حكاه النوبختى عنهم، قال: وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة. وقال بعضهم: بل كل واحد إلى جانب الآخر. وقال أكثرهم: النور لم يزل مرتفعاً فى ناحية الشمال، والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه، قال النوبختى: وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة، أربعة منها أبدان وخامس هو

الروح، وأبدان النور أربعة: النار والريح، والتراب، والماء، وروحه الشبح، ولم تزل تتحرك فى هذه الأبدان، وأبدان الظلمة أربعة: الحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت . وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة، وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه. وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة. ومذاهب سخيفة. فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم، وقال بعضهم: على الإنسان صوم ربع العمر، وترك الكذب والبخل والسحر، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة، وأن لا يؤذى ذا روح، فى مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة. وذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم كانت طينة خشنة وكانت تحاكي جسم الباري الذى هو النور زماناً، فتأذى بها، فلما طال عليه ذلك قصد تحيتها عنه فتوحد فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النورى والظلمى، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة، وهؤلاء يغتالون الناس ويخونونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة، مذاهب سخيفة، والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شراً واختلافاً، فقالوا لا يكون من أصل واحد شيان مختلفان: كما لا يكون من النار التبريد والتسخين، وقد رد العلماء عليهم فى قولهم إن الصانع اثنان، فقالوا: لو كان اثنان لم يخل أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما قادر والثانى عاجز، لا يجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزاً، فبقى أن يقال هما قادران، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه، ومن المحال وجود ما يريدانه، فلما تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر، وردوا عليهم فى قولهم: إن النور يفعل الخير، والظلمة تفعل الشر، فإنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولا ينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء فإن مذهبهم خرافات .

ذكر تلييسه على الفلاسفة وتابعيهم

إنما تمكن إبليس من التلييس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بأرائهم وعقولهم. وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء. فمنهم من قال بقول الدهرية أن لا صانع للعالم، حكاه النوبختي وغيره عنهم. وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب فى جوف هذا السفلك وأن فى كل كوكب عوالم كما فى هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والترتبة لا بالزمان، فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه ؟ فإن قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى وبين المخلوقات زمان. قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان. ثم يقال لهم: كان الحق سبحانه وتعالى قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع. فإن قالوا لا يمكن فهو تعجيز، ولأن ما لا يمكن أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن، والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم، وهذا تجور عندهم لا حقيقة. لأن الفاعل يريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله، ومن مذهبهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية، قالوا لأنه معلول علة قديمة. وكان المعلول مع العلة، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولا معلولاً. وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلاً تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول فى هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشئ بنفسه بغتة لا بالذبول، ثم من أين له أنها لا تذبل ؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس، ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يقيان سنين ولا يحس نقصانهما، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لا يتغير فى نفسه ولا تحدث له صفة

وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة .

فصل

وحكى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعله، والعنصر، والصورة. قال: والله تعالى هو الفعال والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد، والصورة جوهر للجسم، وقال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلة. والعنصر المنفعل، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب، وقال آخر منهم بل الطبيعية فعلته .

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى أن قوماً من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركاً وساكناً علمنا أنه محدث ولا بد له من محدث ثم رأينا أن الإنسان يقع فى الماء ولا بحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه، أو فى النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم. قال واختلف هؤلاء فى عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق: فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسسه فخشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد، فأهلك نفسه وخلا منه العالم، وبقيت الأحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق، وقالت الفرقة الثانية: بل ظهر فى ذات البارى تولول، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك التولول وهو العالم، وساء نور البارى وكان الباقي منه سنور . وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور .

وقالت الفرقة الثالثة: بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية. قال الشيخ رحمه الله: هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة، ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تليسه، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره .

فصل

وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً، وإنما يعلم نفسه، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق .

قال المصنف: وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه، فانظر إلى ما رينه إبليس لهؤلاء احمقاء مع ادعائهم كمال العقل، وقد خالفهم أبو على بن سينا في هذا فقال بل يعلم نفسه، ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة، وكأنهم استكثروا المعلومات، فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينقى عن الله الجهل والنقص، ونؤمن بقوله ﴿ألا يعلم من خلق﴾ وقوله: ﴿ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته، وفراراً من أن يثبتوا قديمين، وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

فصل

قال المصنف: وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب والروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبداً، إما فى لذة لا توصف وهى الأنفس الكاملة، أو ألم لا يوصف وهى النفوس المتلوثة، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويحول، فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت، ولذلك سمى عودها إعادة، ولا أن لها نعيماً وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجسام؟ ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية، وأما الحقائق فى مقام الأمثال فتحكم بلا دليل، فإن قالوا الأبدان تنحل وتوكل وتستحيل. قلنا القدرة لا يقف بين يديها شئ، على أن الإنسان إنسان بنفسه. فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج

عن كونه هو هو، كما أنه تبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن فإن قالوا لم يكن البدن بدأ حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروفاً قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت في القبور قبل العث، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار أبو محمد الجوهري نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرر ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبيت، قالوا أربعون شهراً؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة، قال أبيت، قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل، قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة، أخرجاه في الصحيحين .

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنتهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا في دالالهايات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات، وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم. وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والرجوع فيها إلى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحياً فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الإسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات، والمبتدعة في الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر في الأدلة وهؤلاء لا

مستند لكفرهم إلا عليهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وريادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال: فإن أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرءة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في إنكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه في تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة في هذا المعنى فمنهم قوله في صفة الدنيا قال:

أتراها صنعة من غير صانع أم تراها رمية من رام
وقوله :

وا حيرتنا من وجود ما تقدمه منا اختيار ولا علم فيقتبس
كأنه في عماء ما يخلصنا منه ذكاء ولا عقل ولا شرس
ونحن في ظلمة ما إن لها قمر فيها يضيئ ولا شمس ولا قيس
مدلهين حيارى قد تكنفنا جهل يجهمنا في وجهه عبس
فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل ولا قول فيه كلام كله هوس

فصل

ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهينة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده إلى التمسك بهذه فترى كثيراً من الحمقى إذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا في باب التزهّد ترهبوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا أنه ولى الإجابة .

ذكر تلييسه على أصحاب الهياكل

وهم قوم يقولون أن لكل روحانى من الروحانيات العارية هيكلاً أعنى

جرماً من الأجرام السماوية هو هيكله ونسبته إلى الروحانى المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت، قالوا: ولا سبيل لها إلى الروحانى بعينه . فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان .

وقال آخرون منهم لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتاً .
وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوماً قالوا الكواكب السبعة وهى زحل، والمشتري والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر . هى المديرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملائكة الأعلى . ونصبوا لها الأصنام على صورتها، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان . فجعلوا لزحل جسماً عظيماً من الآتك أعمى يقرب إليه بشور حسن يؤتى به إلى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويدها هنالك ثم توقد تحته النار حتى يحترق . ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشتري صبيّاً طفلاً وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمثل والإبر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلاً أشقر أتمش أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلون فى حوض عظيم ويشدون قيوده إلى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض ريتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه إلى حلقه ويخلطون بالزيت الادوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فملخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به إلى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الإله الشرير ذو

الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قربانا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة. ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الآلهة النورانية قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قربانا وارزقنا من خيرك وأعيذنا من شرك. ويقربون للزهرة عجوراً شمطاء ماجنة يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيئك بقربان بياضه كبياضك ومجائته كمجائتك وظرفه كظرفك فتقبلها منا. ثم يأتون بالخطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق فيحثون رمادها في وجه الصنم.

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسبا كاتباً متدباً يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس اللسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولن أيها الرب الظريف أتيئك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده في وجهه.

ويقربون للقمر رجلاً آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهة وخفيف الأجرام العلوية.

ذكر تليسه على عبادة الأصنام

قال المصنف: كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرّة. فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافق على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله رلفى.

ذكر بداية تليسه على عبادة الأصنام

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الجعفر

ابن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزنتاني نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري ثنا أبو علي الحسن بن عليل العنزي: ثنا أبو الحسن علي ابن الصباح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال أخبرني أبي قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بوذ وهو أنصب جبل في الأرض. قال هشام فأخبرني أبي عن أبي الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شئ فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها قال: وأخبرني أبي أنه كان ود. وسواع. ويغوث. ويعوق. ونسر. قوماً صالحين فماتوا في شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم أن تعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً، فقالوا نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعملت على عهد يزد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا. ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً علياً، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جُدة فلما نضبت الماء

بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رثى من الجن . فقال له عجل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، اثت صفاً جده ، تجد فيها أصناماً معدة . فأوردها نهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تحب . فأتى نهر جدة فاستشارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذرة ابن زيد اللات فدفع إليه ودأ فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام .

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودأ . قال وكان أبي يعثنى باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربته . قال : ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله ﷺ بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلاً من بني عبد ود يقال له قطن بن سريخ فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهي تقول :

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر له أم بشــــــــاهقه رؤوم
ثم قالت :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد
ثم أكبت عليه فشبهت وماتت .

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودأ حتى كأني أنظر إليه . قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أى نفس ، عليه حلتان متزرتان بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعنى جمعيتها .

قال : وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر سواعاً ،

وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يععبده من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظن حياته صـرعى لديه غنائم من ذخائر كل راعى
وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبدته مذحج ومن والاها .

وأجابته همدان فیدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يغوث ، وكان بقرية يقال لها جوان تعبدته همدان ومن والاها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسرأ وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبدته حمير ومن والاها . فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً ﷺ فأمر بهدمها .

قال ابن هشام : وحدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : رفعت لى النار فرأيت عمرو ابن لحي قصيراً أحمر أررق يجرق قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو ابن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين اسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان . قال هشام وحدثنى أبى وغيره أن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة ولد له فيها أولاد فكثروا حتى ملؤا مكة ونفوا من كان بها من العمالق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضاً فتنفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتَمرون على أثر إبراهيم واسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما

كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .

وكان أول من غير دين اسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو ابن ربيعة وهنو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحي فهيرة بنت عامر ابن الحارث وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرحهم بن اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقبل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام .

وكان أقدمها مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية الملك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له .

قال هشام: وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عيد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس الواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فهدمها عام الفتح .

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظماً وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت في

موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت
ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .
ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت
بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه
الصوت .

قال هشام: وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال: كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات بطن نخلة فلما افتتح
رسول الله ﷺ مكة بعث خالد ابن الوليد فقال اثنت بطن نخلة فإنك
تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال:
هل رأيت شيئاً ؟ قال لا . قال فاعتضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى
النبي ﷺ . فقال: هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعتضد الثالثة فأتاها فإذا
هو بجنية نافشة شعرها واضعه يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دية
السلمى وكان سادنهما .

فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبحانك أنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هى حممة ثم عضد الشجرة وقتل دية
السادن ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها
للعرب .

قال هشام: وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها
عندهم هبل . وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان
مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان
أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة
وكان قدامة سبعة أقدح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فإذا
شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح الحقوه
وإن خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو
عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم
أحد: أعلى هبل أى علا دينك؟ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه « ألا

تحيبونه « فقالوا وما نقول. قال «قولوا الله أعلى وأجل»^(١) وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقه في أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلا البيت فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما فعبدتها جزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليقظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبداً معها. وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر في موضع رمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقاً بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويدبحون عندهما .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة ييضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتالة مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة. فقال رسول الله ﷺ لجرير رضى الله عنه : إلا تكفنى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهله فظفر بهم وهدم بنيان ذي الخلصة وأضرم فيه النار وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين . فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الثرى .

وكان لفضاعة والخم وجدام وعاملة وغطقان صنم فيمشارف الشام يقال له الأقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعيروكان لطىء صنم يقال له الفليس . وكان لأهل كل واد مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . ،منهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحس ثم طاف به وسموها الأنصاب . وكان

الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعله ثلاثة الأثافي لقدره فإذا ارتحل تركه. فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: في زمان يزد برد عبادت الأصنام ورجع من رجع عن الإسلام.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جميل ثنا حسن الربيع ثنا مهدي بن ميمون. قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: لما بعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب، ولحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله نا أبو حامد بن جبلة نا أبو عباس السراج نا أحمد بن الحسن بن خراش نا مسلم بن إبراهيم نا عمارة المعولى. قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده. وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن علي السوراق نا أحمد بن إبراهيم نا يوسف بن يعقوب النيسابوري نا أبو بكر ابن أبي شيبة نا يزيد بن هارون نا الحجاج بن أبي رينب. قال سمعت أبا عثمان النهدي قال: كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي يا أهل الرجال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره. قال: فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب، إذا نحن بمناد ينادي إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال: فجئنا فإذا حجر فنحرقنا عليه الجزر. أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو إسحاق البرمكي نا أبو عمر ابن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد نا محمد ابن عمرو ثنى الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة قال: كنت امرأ

عن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم آلهة فيخرج الحى منهم فيأتى بأربع أحجار. فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبد. ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نسا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقى نا عثمان ابن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبد الله بن سليمان القامى ثنى أبو الفضل محمد بن أبى هارون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكنى مكة. قال: سئل سفيان بن عيينة كيف عبت العرب الحجارة والأصنام. فقال أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت. وقال أبو معشر: كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقولون بأن الله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم. وقيل لبعضهم: أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام.

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أنام أخرجها كوشناسب لما تمجس وجعله بيت نار. والبيت الثانى والثالث فى أرض الهند. والرابع بمدينة بلخ بناء بنو شهب ظهر الإسلام خربه أهل بلخ. والخامس بيت بصنعاء بناء الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه. والسادس بناء قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم.

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى: أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان. (وهى مدينة من مديان السند). وجعل فيهم صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهولى الأكبر. وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم ف قيل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال. فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ

ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقية في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فإذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم ففتحوا بأيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : ﴿أَلْهَمَ أَرْجُلَ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْهَرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ وكانت الإشارة إلى العباد أى أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع ، ويجمع ليس بمجموع ، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها ، وإنما ينبغى للإنسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه . وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع فخيال ليس فيه شبهة ينطق بها .

ذكر تلييسه على عابدى النار والشمس والقمر

قال المصنف : قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس . وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه إلى اليمن أتاه إبليس . فقال له : إن هابيل إنما قتل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها ، قال الجاحظ : وجاء زرادشت من باخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد يتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط وشرع لأصحابه التوضأ بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة . قال ومن قال زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته إبليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه

ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى . واتخذ لها بهمن بسجستان . واتخذ لها أبو قباد بيتاً بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان ررادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كسوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لا تطفئوها هذه النار .

فصل

قال المصنف : وقد حسن إبليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بهم . وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها . وقال قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها وعبدها وخالف قريشاً فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبى كبشة أى شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو إسرائيل لمريم يا أخت هارون أى يا شبيهة هارن فى الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينها المجرة - والغميصاء من الذراع فى جبهة الأسد وتلك فى الجوزاء .

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا: هى بنات الله تعالى . تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فلهذا ضاغ عجباً . وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيساً وليس فى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة

ذكر تلبسه على الجاهلية

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الأصنام . ومن أقبح

تليسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ المعنى أتتبعوهم أيضاً .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَى وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ . وعلى آخرين منهم: فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث. وعلى آخرين منهم: فزعموا أن الملائكة بنات الله، وأمال مذهب آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس، وكان فى بنى تميم منم زرارة ابن جديس التميمي وابنه حاجب .

ومن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبد المطلب ابن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب، وكان عبد المطلب إذا رأى ظالماً لم تصبه عقوبة . قال تالله إن وراء هذا الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسيئ . ومنهم زهير بن أبى سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن، ومنهم القلمس بن أمية الكناني كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوماً: يا معشر العرب أطيعونى ترشدوا قالوا: وما ذاك قال: إنكم تفردتم بآلهة شتى إني لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وترك حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً وعن قاله عمرو زيد الكلبي .

قال المصنف: وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعدة وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فمنها النسئ وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر

الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة. وإذا حجوا قالوا: ليك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. ومنها توريث الذكر دون الأنثى. ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهى الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذننها وحرمت على النساء. والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبناً. والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. والحام الفحل يتنج من ظهر عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾. ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيما أحلوه بقولهم ﴿ خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا وَمُجَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيْنِ ﴾ المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث فيكون كل جنين حراماً. وزيّن لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه. ومن جملة ما لبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشية الله نعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التى ابتعدوها كثيراً لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها .

ذكر تلبس إبليس على جاحدى النبوات

قال المصنف: قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله. وقد اختلف أهل الهند فمهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختي فى كتاب الآراء والديانات أن قوماً من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسول واللجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملك أتاها فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأساً من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهالهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهالهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشعار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها.

قال المصنف: وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات :

(الشبهة الأولى): استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفى عن بعض فقالوا: ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم ﴾ والمعنى كيف اطلع على ما خفى عنكم. وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجارت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل: ﴿ أكان للناس

عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴿

(الشبهة الثانية) : قالوا هلا أرسل ملكاً فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكاً وجواب هذا من ثلاثة أوجه : أحدهما أن قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلاً على صدقه . والثاني : أن الجنس أميل فصيح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه على صدقه : والثالث أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾ أى لينظروا إليه ويأمنوا به ويفهموا عنه ثم قال ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى ؟ .

(الشبهة الثالثة) : قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقي إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفساد . والجواب أن نقول : أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحى ميتاً ولا أن يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التى لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة) : قالوا لا يخلوا ما أن نجى الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه . والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلطين فكيف بالأمور الإلهية والأخرية .

(الشبهة الخامسة) : قالوا قد جاءت الشرائع ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إلام الحيوان . والجواب أن العقل ينكر

إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فأنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم فى إبقاء القوى مقام اللحم شئ ولا يستطرق تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته . وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثير وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجهيفته فلم يكن لإيجاده فائدة . وأما ألم الذبح فإنه يستر وقد قيل أنه لا يوجد أصلاً لأن الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بالألم فإذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال ﷺ : « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته » .

(الشبهة السادسة) : قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب . والجواب أن هذا الكلام ينبغي أن يستحى من إيرادِه فإنه لم يبق شئ من العقاقير إلا وقد وضحت خواصها وبأن سترها فلو ظفر واحد منهم بشئ وأظهر خاصيته لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا هذا ليس منك إنما هذه خاصية فى هذا . ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجر عيوناً وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والأفكار تتدبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مد أناة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبة .

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه : صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامثال لأوامرها كإبن الراوندى ومن شاكله كابى العلاء . ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا

أثراً بل الجوامع تتدفق رحاماً والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشان
النبى ﷺ والإقرار بما جاء به . وإنفاق الأموال والأنفس فى الحج مع
ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد . فجعل بعضهم
يندس فى أهل النقل فيضع المفاصد على الأسانيد ويضع السير والأخبار
وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أحجار وخوارق
العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين
ويبالغ فى تقرير ذلك حتى قالوا أن سطيحاً قال فى الخبيء الذى خبيء له :
حبة بر ، فى إحليل مهر . والأسود كان يعظ ويقول الشئ قبل كونه .
وهنا اليوم معزومون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما
كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله
وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب
هذا ، وليس قول الكاهن . حبة بر فى إحليل مهر ، وقد أخفيت كل
الإخفاء بأكثر من قوله . ﴿ وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾
وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم
وهل ترك تلمح هذا إلا النبى والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ولمحوا إلا
لمحاً جلياً فقالوا تعالوا نكثر الجولان فى البلاد والأشخاص والنجوم
والخواص فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه .
فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات . ثم
دس قوم من الصوفية أن فلاناً أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلاً ذهباً فصار هذا
كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين . وبطريق العادات فى حق
المنجمين . وبطريق الخواص فى حق الطباعين . وبطريق الكهانة فى حق
المعزمين . والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام . ﴿ وأنبئكم
بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ . وأى خرق بقى للعادات وهل
العادات إلا استمرار الوجود . وكثرة الحصول . فإذا نبههم العاقل المتدين
على ما فى هذا من الفساد قال الصوفى : أتذكر كرامات الأولياء ، وقال
أهل الخواص : أتذكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة تبلى النار
فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان فويل للحق معهم هذا
والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون

ولا يعقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعا لأهل المحال .

فصل

ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجئ مضمخا بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التى تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثواب الجنة ثم يلقي نفسه فى الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريبا من النار إلى أن يسيل ودكه فيسقط . ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعاً ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من يقف فى أختاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومنهم من يعيد الماء ويقول هو حياة كل شئ فيسجد له . ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء فيقع فى الأخدود حتى إذا التهب قام فأنغمس فى الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا بحرم الجنة وإن مات فى أحدهما شهدوا له بالجنة . ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولاً عن المشى ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد . ومنهم من يهيم فى الأرض حتى يموت : ومنهم من يغرق نفسه فى النهر . ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى إلى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول : طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده . ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت : والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر ويزعمون أنهما

يجريان إلى الجنة . ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهتفون بنيه فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها، فى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي يضيع الزمان فى كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقاد قال: وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها . وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه .

ذكر تليسه على اليهود

قال المصنف: قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك . فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقاً لجار عليه ما يجور عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا . أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين ومن ذلك قولهم عزيز بن الله ولو فهموا أن حقيقة النبوة لا تكون إلا بالتبعيض والخلق ليس بذى أبعاد لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا نبوة . ثم أن الولد فى معنى الوالد وقد كان عزيز لا يقوم إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا فى بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا ﴿ اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة ﴾ فلما رجزهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم المعجل والذى حملهم على هذا شيثان، أحدهما جهلهم بالخالق والثانى أنهم أرادوا ما

يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترعوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقولهم ﴿ يد الله مغلولة ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن تليسه عليهم أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات، وذوات المحارم، والعمل فى يوم السبت، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل بشئ كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت: قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة فإن تقلب الآدمى من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تليسه عليهم أنهم قالوا: ﴿ لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ وهى الأيام التى عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم إبليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلمواهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك الأمر ويعمل بالهوى ثم إنهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا أنه آدر واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار الحسن بن على الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا على بن محمد عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس فقال أخرجوا إلى أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن سوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أنى رسول الله ؟ قال: اللهم نعم . وأن القوم ليعرفوا ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة ولكنهم

حسدوك. قال: فما يمنعك أنت. قال: أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم.

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لييد عن سلمة بن سلامة بن وقش. قال: كان لنا جار من اليهود في بنى عبد الأشهل فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائنات بعد الموت. فقال له ويحك: يا فلان أترى هذا كائنات أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبّقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر إلى وأنا من أحدثهم سنا أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فأما به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويلك يا فلان ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به .

ذكر تلبسه على النصارى

قال المصنف: تلبسه عليهم كثير فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس: أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد في الجوهرية ثلاثة في الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول: الأقانيم خواص. وبعضهم يقول: صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله

جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والأوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختي زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الإله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره فى الإنجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تليس من إبليس استغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبي فالنبي لا يكذب وقد قال بعثت إلى الناس كافة وقد كتب إلى قيسصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

ومن تليس إبليس على اليهود والنصارى

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا فمننا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ . أى منا ابنه عزيز وعيسى . وكشف هذا التليس إن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه دو قرابته ولو تعدت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا ﷺ لا بته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً (١) وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الأدميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

ذكر تليسه على الصابئين

قال المصنف: أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شئ إلى شئ وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء فى مذاهبه معشرة أقوال: أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد والثانى: أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبى نجیح

عن مجاهد: والثالث: أنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبى بزة عن مجاهد. والرابع: أنهم صنف من النصارى الذين قولاً منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس. والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد. والسادس: أنهم كالمجوس قاله الحسن. والسابع: أنهما فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية. والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون والملائكة يقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل: والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى. والعاشر: أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد. قال المصنف: هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيلولى كان لم يزل يصنع العالم من ذلك الهيلولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسموها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت رحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لثلاث يقع تشبيه ولهم تعبدات فى شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم أولها ثمان ركعات وثلاث سجعات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها النسخ ييقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرّموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة. وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاوى بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من

متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا نحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد .

ذكر تليس إبليس على المجوس

قال يحيى بن بشر عمير النهاوندى: كان أول ملوك المجوس كورث فجاءهم بدينهم ثم تنابح مدعو التوبة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتهاى لغيرى أن يتدع مثل هذه التى ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغاليه . وكان مما سنه زرادشت عبادة النار ولاصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحبى النبات والحيوانات وترد الحرارة إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيماً لها ويقولون أنها نشوء الحيوانات فلا نقذرهما وكانوا لا يغسلون بالماء تعظيماً له وقالوا لأن به حياة كل شئ إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا ييزقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركاً به وإذا كان عتيقاً كان أكثر ويستحلون فروج الأمهات قالوا الإبن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبنة أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن اكرى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة ألف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابتها وأظهر هذا الأمر مزدك فى أيام قباد وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباد لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنوشروان قال لقباد أخرجها إلى فإنك إن معتنى شهوتى لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنوشروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدى أبيه قباد ويسأله أن يهب له أمه فقال قباد لمزدك أأست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى فلم ترد أنوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم

أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى أنوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المجبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى رمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم .

ومن أظرف تلبس إبليس عليهم . أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشرأ فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية .

قال المصنف : وقد سبق ذكر شبههم وجوابها . وقال بعضهم البارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شئ فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده وهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقصد عن قولهم فاتبعوا إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لاهو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون إبليس وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من

شرطهما أشهدا عدلين ودفعنا سيفيهما إلى العدلين وقال من نكث فاقتلاه
فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى
تلبيس إبليس إليه ما أثرتنا ذكر شئ من هذا الخليط (والعجب) أنهم
يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم
يجوز أن تحدث من فكرة إبليس ملك ثم يقال لهم يجوز أن يفى الشيطان
بما ضمن: فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم
فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير: وكيف أطاع الشيطان العدلين
وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله: وهذه الخرافات لولا
التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى .

ذكر تلبس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النوبختى ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له:
وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم. وزعم قوم أن
الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة
وليس بخفيف ولا ثقيل. وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه
اختطف من الأرض بقوة دورانه وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه
الحجارة: وقال بعضهم هى من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل
الفحم يشتعل وينطفئ. وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار
وهوى. وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه
يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا
وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة والمشتري فى نحو من اثنتى
عشرة سنة والمريخ فى نحو من ستين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة
والقمر فى ثلاثين يوماً: وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبع فالذى يلينا
فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ
ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة: واختلفوا فى
مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرمة الشمس وهو نحو
من مائة ستة وستين مرة مثل الأرض. والكواكب الثابتة مقدار كل واحد
منها نحو أربعة وتسعين مرة مثل الأرض. والمشتري نحو من اثنتين

وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض . قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وستون فرسخاً . وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتمنع على حسب طبائعها من الصعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وإنها حية فعالة .

ذكر تليس إبليس على جاحدى البعث

قال المصنف: قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهاى إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الأولى: ﴿ أيعبدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ﴾ .

وقال فى الثانية: ﴿ وإذا ضللنا فى الأرض إنا لفى خلق جديد ﴾ . وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأنا سنحى وكيف حياة أصداء وهام
وقال آخر: (هو أبو العلاء المعرى) .

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الأولى: أن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة: ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخيفة . فإنه أخرج هذا الآدمى من نطفة ، والطاؤوس من البيضة المدرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة فالنظر ينبغى أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالأتمودج فى جمع التمزق وإن سحالة الذهب المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من رثيق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل شئ على

أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يصبر بنفسه لأن الآدمي بنفسه لا يبدنه فإنه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبير وهو هو: ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبياءه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيواناً وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه .

قال المصنف: وقد ردنا هذا شرحاً في الرد على الفلاسفة .

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث فقال قائلهم «ولئن رددت إلى ربي لأجلدن خيراً منها منقلباً» وقال العاص بن وائل «لأوتين ما لا وولداً» . وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم في ذلك . فقالوا: إن كان بعث فنحن على خير: لأن من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعه في الآخرة .

قال المصنف: وهذا غلط منهم لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجاً أو عقوبة والإنسان قد يحمى ولده ويطلق في الشهوات عبده .

ذكر تليسه على القائلين بالتناسخ

قال المصنف: وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخي) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أو لا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصيح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي) أن الهند يقولون الطوائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسله .

فالمركبة هي الرب الأصغر والنفس هي الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضاً أكبر وأن النفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فإن كانت محسنة صافية قبلها في طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر. فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده في العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مارجاً لشعاع الشمس حتى ينتهي إلى بقلة خسيصة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية في العالم وهكذا تكون حاله في كل مودة يموتها. (وأما المسيئون) فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً في العلل: ويعود كل ألف سنة إلى صورة الإنسان. فإن أحسن في صورة الإنسان لحق بالمحسنين .

قال المصنف: قلت فانظر إلى هذه التليسات التي رتبها لهم إبليس على ما عن له لا يستند إلى شيء. أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار قال أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الإمامية بعرف بأبي بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنائر بذلك وهو يبكي بكاءً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه أمي لا شك وإنما تبكي من رؤيتها إلى حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً فقلت له فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال: نعم فقلت: أنتهم أنت صياحها قال: لا قلت: فأنت المنسوخ وهي الإنسان .

ذكر تليس إبليس على أمتنا فى العقائد والديانات

قال المصنف: دخل إبليس على هذه الأمة فى عقائدها من طريقين: أحدهما التقليد للآباء والأسلاف. والثانى: الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الأول فإن إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشبهه والصواب قد يخفى والتقليد سليم: وقد ضل فى هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التى بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشبهه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال. وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آباءهم وأسلافهم فقال عز وجل: ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أولو جئكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ المعنى أتبعونهم وقد قال عز وجل: ﴿ أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ .

قال المصنف: اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلده فيه وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر. وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة. واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال: وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضى اله عنه للحرث بن حوط وقد قال له أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث أنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضيق علم الرجل أن يقلد فى اعتقاده رجلاً، ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول: ريد فى الجدل وترك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه « فإن قال قائل « فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب - إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى

عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامي لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده .

قال المصنف: وأما الطريق الثانى: فإن إبليس لما تمكن فورطهم فى التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فممنهم من قبح عند التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فممن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم الفلاسفة ولم يزا أخرجهم عن الإسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الف هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه . بالحواس علمتم صحة قولكم فإن قالوا نعم كابروا لأن حواس قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بناقضوا قولهم: ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم وبعضهم إلى الإلحاد ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأ عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلاً ثم يرد الصحيح عليا ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعى رحمه الله: لإد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فو وإذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى أهل الكلام ولا دين له . قال وحكى فى علماء الكلام أن ي يطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك وأخذ فى الكلام: وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب ك الكلام رنادقة .

قال المصنف: قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالذ قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيله بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد جهم أنه قال إن الله عز وجل ليس بشئ . وقال أبو على

هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شئ وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن الباري سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرص عرضاً ولا الجوهر جوهرًا وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود. وحكى القاضي أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال: قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر. قال ويبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرّون هم ولا ربهم على فعل شئ من ذلك. لأن الحوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهى إليه لا يكون بعده شئ تعالى الله عن ذلك غلوّاً كبيراً .

قال المصنف: قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات. إن أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضى حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره. وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هى الله. وقال أبو هاشم من تاب عن كل شئ إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً. وقال النظام أن الله عز وجل لا يقدر على شئ من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر. وقال هشام القوطى أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه. وقالت المجيرة لا قدر لآدمى بل هو كالجناد مسلوب الاختيار والفعل. وقالت المرجئة أن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصلاً وخالفوا الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدى من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضح الأرجاء رنديقاً فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على

الإسلام .

قال المصنف: قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه وأجار حلول الحوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى . وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها . قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شئ في معناه فيراه الآدمي آدمياً . والجنى جنيّاً . وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف: قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة: وقد رعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطاء لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا إليه . وقد نقل إلينا أقلاص منطقي المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال . كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالي فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا قال: فتتبعوني قالوا: لا قال فإني أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم . وكان أبو المعالي الجويني يقول لقد جلّت أهل الإسلام جولة وعلومهم ركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة امرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني . وكان يقول لأصحابه . يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ به ما بلغ ما تشاغلتم به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع

أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فإن رضيت أن تكون مثلهم فكُن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبى بكر وعمر فبش ما رأيت. قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور. قال: وقد بالغت فى الأول طول عمرى ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما ينفى العقل من التعليقات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم. وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان: ومعلوم أن للداعى عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهى محتاجة فإذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتّر الداعى وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفاً بالغسنى منعوتاً بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا فى إنعامه رأيناه مشحوناً بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فإذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله. وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فإذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى: وإنما الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته: ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمتهم فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض .

فصل

وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم

إن الله جسم تعالى الله عن ذلك : وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن عبد الرحمن . ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام . ومنهم من قال لا كالأجسام . ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء . هكذا كان يقول هشام بن الحكم ، كان يقول إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه ﴿تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً﴾ وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه قلت ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمي طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختي عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال فى التشبيه فى سنة واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار : فإن قوماً قالوا إنه على هيئة السبيكة وأن قوماً قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام : هو متناهى الذات حتى قال إن الجبل أكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو .

قال المصنف: وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر أن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها وبيان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أرادته ومتناهيه لاعلى معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية : إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فنلزمه النهاية قال النوبختي وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحواري يقولون إن الله صورة وأعضاء .

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف : ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فذلك بذلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسماً محدثاً غير قديم ومن قول المجسمة أن الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس : فيقال له يجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه . وكان

بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلي يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء .

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول . لم يكن الباري قادراً حياً عالماً في الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الحواري هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك : ومن الواقعيين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسه فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبي ﷺ ينزل الله إلى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل إلا من هو فوق . وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام : و هؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول إلى علم الأصول . وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه عل كل حسن : فتراه يتنفس من الشقوق إليه ويمثل الزيادة فيزداد توفقه ويتصور رفع الحجاب فيقلق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة رائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ وله يد وله أصبع لقول رسول الله ﷺ «يضع السموات على أصبع» (١) وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس : وإعما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا إنه صفة رائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله : ﴿يريدون وجهه ﴾ يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين

إصبعيه أن الأصبع لما كانت هى المقبلة للشئ وأن ما بين الإصبعين يتصرف فيها صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة رائدة. قال المصنف: والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزئ والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالية أن الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من إن أرواح المؤمنين وتجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة. لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل: ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصداء والمكالمات لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراه لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم. وإنما لبس إبليس على هؤلاء لتركهم البحث عن تأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل. فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار.

فصل

قال المصنف: فإن قال قائل قد عبد طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس. فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه وتاييهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق. قال على كرم الله وجهه: والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وإنه المسموع قوله عز وجل ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ وأنه فى المصاحف لقوله عز وجل ﴿فى رق منشور﴾ ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم فى ذلك برأينا. ولقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث.

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم فى المسائل المحدثه .
 أخبرنا سعد الله بن على البزار نا أبو بكر الطرايى نا هبة الله بن الحسن
 الطبرى أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ نا
 محمد بن هارون الحضرمى نا القاسم بن العباس الشيبانى نا سفيان بن
 عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ
 يقولون من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر . وقال مالك بن أنس من قال
 القرآن مخلوق فاستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه . أخبرنا أبو البركات
 بن على البزار نا أحمد بن على الطرايى نا هبة الله الطبرى نا محمد بن
 أحمد القاسم نا أحمد بن عثمان نا محمد ابن ماهان نا عبد الرحمن بن
 مهدي عن سفيان عن جعفر بن برقان إن عمر بن عبد العزيز قال لرجل
 فسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبى فى الكتاب والإعرابى واله عما
 سواهما قال ابن مهدي وثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعى قال : قال
 عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوماً يتناجون فى دينهم بشئ دون العامة
 فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا
 محمد بن أحمد ابن الحسن نا بشر بن موسى نا خلاد بن يحيى عن
 سفيان الثورى : قال بلغنى عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله «أوصيك
 بتقوى الله عز وجل ، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
 وسلم ، وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته» واعلم أن من
 سن السن قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فإن السابقين
 الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا . وفى رواية أخرى عن عمر .
 وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم
 ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فخفوه وطمح عنهم آخرون
 فعلوه .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله
 الحافظ نا سليمان ابن أحمد نا بشر بن موسى نا عبد الصمد بن حسان
 قال سمعت سفيان الثورى يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى

اليوت والصبيان فى الكتاب من الإقراء والعمل .

قال المصنف: فإن قال قائل هذا مقام عجر لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفى العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين فى البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

ذكر تلبس إبليس على الخوارج

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ثنى أبى ثنا محمد بن فضيل نا عمارة ابن القعقاع عن ابن أبى يعمر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بعث على رضى الله عنه من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة فى أديم مقروظ لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله ﷺ ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءً ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة كث اللحية مشمر الأزار محلول الرأس فقال اتق الله يا رسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا ثم أدبر فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فلعله يكون يصلى فقال إنه رب مصلى يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فقال رسول الله ﷺ إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه النبى ﷺ وهو مسقف فقال إنه سيخرج من ضئضىء هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاور حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

قال المصنف: هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة التميمى وفى لفظ أنه قال له أعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فهذا أول خارجى خرج فى الإسلام وأفته أنه رضى برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبى

طالب كرم الله وجهه. وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلى رضى الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب على إلى ما فيها وقال: تبعثون منكم رجلاً ونبعث منا رجلاً. ثم نأخذ عليهما أن يعملوا بما فى كتاب الله عز وجل فقال أناس: قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب على ابعت أبا موسى فقال على لا أرى أن أولى أبا موسى: هذا ابن عباس قالوا لا نريد رجلاً منك فبعث أبا موسى وآخر القضاء إلى رمضان فقال عروة بن أذينة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم إلا الله، ورجع عليّ من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء. فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً وقالوا لا حكم إلا الله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديتهم أن أمير القتال شبيب بن ربعى التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا الشكري. وكانت الخوارج تتعبد إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب .

أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا محمد بن هبة الله الطبرى نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستوية نا يعقوب بن سفيان ثنى موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال: قال عبد الله بن عباس أنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على بن أبى طالب فكان لا يزال يجئ إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فإنى لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم أتته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلى أدخل على هؤلاء القوم فأكلهمهم. فقال إنى أخاف عليك. فقلت كلا وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذى أحداً فأذن لى فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهداً. جباههم قرحة من السجود وأياديتهم كأنها ثفن الإبل. وعليهم قمص مرقطة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بابن عباس ما جاء بك. فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن

وهم أعلم بتأويله منكم . فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول : ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقيمت على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله . قالوا ثلاثاً . قلت هاتوا . قالوا أما إحدهن فإنه حكم الرجال في أمر الله . وقد قال الله عز وجل : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل . فقلت هذه واحدة وماذا . قالوا وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل سبيهم قلت وأما الثالثة قالوا فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمر الكافرين . قلت هل عندكم غير هذا ؟ قالوا كفافاً هذا . قلت لهم أما قولكم حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا . فإذا نقض قولكم أترجعون ؟ قالوا نعم . قلت فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية ﴿ لا تقتلوا الصيد وأنت حرم ﴾ إلى آخر الآية وفي المرأة وزوجها ﴿ فإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وفي حقن دماءهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها . فوالله لئن قلت لست بأما لقد خرجت من الإسلام . ووالله لئن قلت لنسبنيها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجت من الإسلام . فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم . قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان ابن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلي رضى الله عنه أكتب لهم كتاباً فكتب لهم على .

هذا ما اصطلاح عليه محمد رسول الله فقال المشركون : والله ما نعلم

أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَتَلْنَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ أَمْحِ يَا عَلِيُّ . اكْتُبْ هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَوْلَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَقَدْ مَحَا نَفْسَهُ قَالَ فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانٌ وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ فَقَتَلُوا . أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الْقَزَّازُ نَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ نَا وَلَادُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَوْفِيُّ نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ دَحِيمِ الشَّيْبَانِيُّ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَارِمٍ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي لَيْلَى ثَنَا سَعِيدُ بْنُ جَثِيمٍ عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ عِمَارَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ أَبِي الشَّائِعَةِ عَنْ جَنْدُبِ الْأَزْدِيِّ . قَالَ لَمَّا عَدَلْنَا إِلَى الْخَوَارِجِ وَنَحْنُ مَعَ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ فَانْهَيْتُنَا إِلَى مَعْسَكِهِمْ فَإِذَا لَهُمْ دَوَى كَدَوَى النُّحْلِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حُكِمَ أَتَاهُ مِنَ الْخَوَارِجِ زُرْعَةُ ابْنِ الْبَرَجِ الطَّائِي وَحَرْقُوصُ بْنُ زَهِيرٍ السَّعْدِيُّ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَقَالَا لَهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ . فَقَالَ عَلِيُّ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَقَالَ لَهُ حَرْقُوصُ تَبَ مِنْ خَطِيئَتِكَ وَارْجِعْ عَنْ قَضِيَّتِنَا وَاخْرُجْ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَقَاتِلْهُمْ حَتَّى نَلْقَى رَبَّنَا وَلَئِنْ لَمْ تَدَعْ تَحْكِيمَ الرِّجَالِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا قَاتِلَ لَكَ أَطْلُبُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَاجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبِ الرَّاسِيِّ فَحَمَدَ اللَّهُ وَائْتَنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِالرَّحْمَنِ وَيَنْسُبُونَ إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي يُثَارِهَا عَنَاءُ آثَرِ عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ فَاخْرُجُوا بِنَا . فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ ارْتَضِيَا حُكْمَيْنِ فَقَدْ خَالَفَا كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبَعَا أَهْوَاءَهُمَا وَنَحْنُ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ . فَكُتِبُوا إِلَيْهَا إِنَّكَ لَمْ تَغْضَبْ لِرَبِّكَ وَإِنَّمَا غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ فَإِنْ شَهِدْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكَفْرِ وَاسْتَقْبَلْتَ التَّوْبَةَ نَظَرْنَا فِيْمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ . وَإِلَّا فَقَدْ نَا بِذَلِكَ عَلَى سِوَاءِ وَالسَّلَامِ وَلَقِيَ الْخَوَارِجُ فِي طَرِيقِهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُبَابٍ فَقَالُوا هَلْ سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ حَدِيثًا تَحْدُثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْدِثْنَاهُ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ أَبِي يَحْدُثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةَ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّالِمِ فَإِنْ

على رضى الله عنه . فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ أعدل فما عدلت وما كان إبليس ليتهدى إلى هذه المخارى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية . أخرجاه فى الصحيحين .

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريشى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد ابن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا إسحاق بن يوسف الأرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبى أوفى وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول الخوارج كلاب أهل النار .

فصل

قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد فإذا اجتمع كان إماماً نبطياً ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقييح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدريه فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى وأصل بن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كمالات ينفع مع الكفر طاعة . ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعر والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان ، المكان والكون . وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمي هذا الفصل فصل الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هى معانى رائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان أبو الحسن الأشعري على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات . ثم

أخذ بعض مثبتى الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء .

ذكر تليسه على الرافضة

قال المصنف: وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على بن أبى طالب حمل آخريين على الغلو فى حبه . فزادوه على الحد منهم من كان يقول هو الإله . ومنهم من يقول هو خير الأنبياء . ومنهم من حمله على سب أبى بكر وعم حتى أن بعضهم كفر أباً بكر وعمر إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها . وإنما نشير إلى بعضها .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال حدث أبو يعقوب بن إسحاق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد ابن عائشة وأبى عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول إسحاق بن محمد النخعى الأحمر كان يقول: إن علياً هو الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وبالمداين جماعة من الغلاة يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه . قال الخطيب ووقع إلى كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة وكان النوبختى هذا من متكلمى الشيعة الأمامية . فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال وقد كان ممن جرد الجن فى الغلو فى عصرنا إسحاق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين وهو الذى بعث محمداً ﷺ .

قال المصنف: قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أباً بكر وعمر كانا كافرين . وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ . ومنهم من يقول بالتبرى من غير على . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى ممن خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة . ومنهم أقوام قالوا الإمامة فى موسى بن جعفر ثم فى ابنه على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم إلى الحسن بن محمد العسكرى ثم إلى ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر

الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً. وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن على الباقر ويدعى أنه خليفة. وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب بيده على رأسه. ورعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يمت وهو المنتظر. ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على فى النبوة. وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه. وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على فتزل على محمد. ومنهم من يقول إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها. وقد روينا على السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه. فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى. قال: ومن ظلمك، قال: أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فاك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قال بعده قال: عمر رضى الله عنه قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم. ومن قام بعده قال: عثمان رضى الله عنه، قال: ودام على ظلمكم، قال: نعم، قال: ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك أن الذى جاء به رسول الله ﷺ أمر الغائب عنا وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم. فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فإذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابنته فى إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى. فإن الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما فى أهليهم وذريتهم. فإذا قالت الرافضة أن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع. لأنه ليس بيننا وبينه إلا

النقل عنهم والثقة بهم . فإذا كان هذا محصور ما حصل لهم بعد موته
خبنا في المنقول . وراثة ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم
نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا
عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله . فطاحت
الاعتقادات ، وضعفت النفوس ، عن قبول الروايات فى الأصل وهو
المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

قال المصنف: وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على
أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت
منها جملة فى كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففانت علياً
صلاة العصر فردت له الشمس . وهذا من حديث النقل موضوع . لم يروه
ثقة ومن حيث المعنى فإن الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد
الوقت . وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى
بذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم .
لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا
يسندونها إلى مستند . ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف
الإجماع . فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب
المرتضى فيما انفردت به الإمامية . منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس
بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن
الاستجمار لا يجزئ فى البول بل فى الغائط خاصة . ولا يجزئ مسح
الرأس إلا بياقى البلل الذى فى اليد فإن استأنف للرأس بللاً مستأنفاً لم
يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا
بتحريم من رنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحمل للزانى
بها بنكاح أبداً . وحرّموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع
وإن وجد شرطه . وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وأن
من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ
القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط ، وأن المرأة إذا جرت شعرها
فعليناها الكفارة مثل قتل الخطأ .

وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين. وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم. وأن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل في الثالثة. ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر. وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى. فإن سرق الثالثة خلد في الحبس إلى أن يموت. وحرّموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب، واشتروا في الذبح استقبال القبلة، في مسائل يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجهه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس، بل إلى الوقائع ومقاييس الرافضة أكثر من أن تحصى. وقد حرّموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة. وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قالا أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكي ثنا محمد بن طلحة المديني عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال، قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصحاباً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

قال المصنف: والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة، أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أبو بكر الطريثي نا هبة الله بن الحسن الطبري نا عبيد الله بن محمد بن أحمد نا على بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحي ثنا أبي ثنا الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سريد بن غفلة قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويتقصونهما فدخلت على علي بن أبي طالب فقلت: يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بغير

الذى هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمّر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجتروا على ذلك. قال على. أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمنى النبى عليه. لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل أخو رسول الله ﷺ وصاحبه ووزيره رحمة الله عليهما ثم نهض دافع العينين يكي قابضاً على يدي حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا الناس. ثم قام فنشهد بخطبة موجزة بليغة. ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متتزه. ومما قالوه برئ، وعلى ما قالوا معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقى ولا ييغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويبغضان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما. ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما. ومضيا والمؤمنون عنهما راضون. أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم بتسعة أيام فى حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده. ولاة المؤمنون ذلك. وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين. وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك. وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرافه رافة وأسنه ورعاً وأقدمه سناً وإسلاماً. شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه. ثم ولى الأمر بعمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى. فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه. يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيماً بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين. لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه. حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه أعز الله بإسلامه الإسلام. وجعل هجرته للدين قواماً وألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة. وفى قلوب المؤمنين المحبة. شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما

ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن أحببنا فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه برئ، ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما لعاقبت فى هذا أشد العقوبة إلا قمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفترى. إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم.

أخبرنا سعد الله بن على نا الطريثي نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبى خباب الكلبي عن أبى سليمان الهمداني عن على كرم الله وجهه قال يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبذ يقال لهم الرافضة يتحللون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فإنهم مشركون .

ذكر تلييس إبليس على الباطنية

قال المصنف: الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقا ئدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرّة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم .

بل يزعمون أن الله حق وان محمد آ رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء :

(الاسم الأول الباطنية): سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صورا حلية وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وان من تقاعد عقلة من العوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع .

ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى

كانت عليهم ﴿ ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظهور ليقدرُوا
بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع .

الإسم الثانى الاسماعلية . نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن
اسماعيل ابن جعفر ويزعمون ان دور الامامه انتهى اليه . لانه
سابع . واحتجوا بأن السماوات سبع ، والارضين سبع ، وايام الاسبوع سبع .
فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعه . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور
فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد بن على ثم ابراهيم ثم
السفاح ثم المنصور .

وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخه قال : قال على بن محمد عن أبيه إن
رجلاً من الرواندية كان يقال له الابلق وكان أبرص . فبكى بالعلو ودعا
الرواندية اليه وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى
على بن أبى طالب كرم الله وجه ثم فى الأئمة واحدا بعد واحد إلى ان
صارت إلى إبراهيم ابن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم
يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . فبلغ
ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل فيهم إلى اليوم وعبدوا
أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيطرون فلا يبلغون
الارض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح وأقبلوا
يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت .

الاسم الثالث السبعية : لقبوا بذلك لأمرين أحدهما اعتقادهم أن دور
الامامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الادوار
وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الادوار لا آخر له . والثانى لقولهم أن
تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة : زحل ثم المشتري ثم
المريخ . ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد . ثم القمر .

الاسم الرابع البابكية : قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلاً
يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زنا فظهر فى بعض
الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل
أمرهم واستباح المحظورات وكان إذا علم أن عند أحد بتاً جميلة أو اختاً

جميلة طلبها فإن بعثها إليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان وحاربه السلطان وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين فحاربه فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يا بآبك قد عملت ما لم يعمله آحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره آحد. فقال سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت فى الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا. ولكنى لما قطعت أطرافى نزع الدم، فخفت أن يقال عنى أنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى. ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة فى السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهبون للنساء فيشب كل رجل منهم إلى امرأة، ويزعمون أن من احتوى امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح .

الاسم الخامس: المحمرة قال المصنف: سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمره فى أيام بآبك ولبسوها .

الاسم السادس: القرامطة قال المصنف: وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهذا قولان: أحدهما أن رجلاً من ناحية خورستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى امام من أهل بيت الرسول الله ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميته لقب بهذا الحمره عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه. فلما طلب فلم يوجد زاد اقتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميته باسم الذى كان بارلاً عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده. والثانى أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان آحد دعائهم فى الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا القرامطة كان هذا

103

فجعلله إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل .

الاسم السايح الخرمية: وخرم لفظ أعجمى ينسب عن الشئ المستلذ المستطاب الذى يرتاح الإنسان له . ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهل الإباحة من المجوس الذين تبعوا فى أيام قباز وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابھتهم إياهم فى نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم فى مقدماته .

الاسم الثامن التعليمية: لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأى وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الأمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

فصل

فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة
قال المصنف : اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء مخرقون ومنمسون ورأوا أمر محمد ﷺ قد استطار فى الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركانهم عقلاً وأنحفهم رأياً وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليتمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فإن بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحق وإنما الفطنة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث إليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فإذا تكثرتنا بهؤلاء سهل علينا استدراج

باقى الفرق. ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلاً يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت وأنه يحب كل الخلق كافة متابعتة ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ. والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل، ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة. فإن قرب الدار يهتك الأستار، وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره. وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديماً فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم.

فصل

قال المصنف: وللقوم حيل فى استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه. فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه، فإن كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات. وإن كان مائلاً إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله. وأن الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية ويشتبون عند أكل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله. أو شخص يجب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق. أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم أو ملحد من الفلاسفة والثنية والمستحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات. وثقل عليه التكليف.

فصل

فى ذكر نبذة من مذاهبهم، قال أبو حامد الطوسى الباطنية قوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض وعقائهم وأعمالهم تبين الإسلام. فمن مذهبهم القول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى. قالوا: والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم

ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى وهو أول مبدع. ثم حديث النفس الكلية. وعندهم أن النبى صلى عليه السلام عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية. ورعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص. واتفقوا على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر مساو للنبى عليه السلام فى العصمة. وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشئ إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها. وأما التكليف فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لا بد للإنسان من التكليف. فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف. ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا. فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بإفشاء السر، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هى النبى والباب على. والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرر الذى يحصن به من استجاب لدعوته. ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرد لا عن نار حقيقة. وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه. وعصى موسى حجته ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس. عمر بن الخطاب فى خرافات ينبغى أن يسان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها، ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فإن اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفت هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة. أو عن نظر أو عن نقل عن الإمام المعصوم، فإن قلتم ضرورة فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة، ولو ساغ للإنسان أن يهدى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جار لخصمه دعوى

الضرورة فى نقص ما ادعاه، وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها. وإن قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة، وترك قول محمد ﷺ مع المعجرات. ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم لا باطن غير ظاهر. ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها فإن قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد ﷺ. وإن قالوا يجب إخفاؤها قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه. قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شئ إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الوجوب. والنهى عن المنهى، وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله. فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه والحق بين المتزلتين وهو أن تأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل. ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع.

قال المصنف: ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكاً معه طريق العلم، بل التويخ والازدراء على عقله وعقول أتباعه. بأن أقول أن للآمال طرفاً تسلك ووجوهاً توصل. ووضع الأمل فى جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التى تتظاهرون بها. وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكناً يكون الطمع فى تمحيقها فضلاً عن إزالتها حمقاً. فلها مجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع فى الجوامع ومجمع كل يوم فى المساجد. فمتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر. فى الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وغاية ما أنتم عليه فى حديث خلوة - أو متقدم قلعة - أن نبس بكلمة يرمى رأسه وقتل قتل الكلاب فمتى يحدث العقل مسكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذى طبق البلاد فما أعرف أحق منكم إلى أن يجئ إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

فصل

قال المصنف: والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم قبلت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبع أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من اللآلى الحفور وكتب ذلك كتاب إلى الخليفة: فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب. وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا وصار كل من فى نفسه شئ من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه ويتهب ماله. وأول ما عرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة. ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم. ثم اغتالوا مؤذناً من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم يأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان لحجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك. وكانوا يقولون قلتهم منا لحجاراً فقتلنا به نظام الملك، واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر. وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه. وفشش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلاً. فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة. وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار. فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه، فجد المسلمون فى طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروزباد من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهماً بمذهب القوم. فأخذ ألفاً ومائتى دينار وسلم إليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق بن بهرام إذ كان صبيّاً ثم إلى مصر وتلقى من دعائهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأساً فيهم

وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعائه ألا يدعو إلا غياً لا يفرق بين يمينه وشماله مثلاً ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حيثذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعوهُ إلى الطاعة ويتهده إن خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمرء، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنقذكم إلى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها فأشرأب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، فأوماً إلى شاب منهم فقال له أقتل نفسك فجذب سكينه وضرب بها غلصمته فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمرء والوزراء.

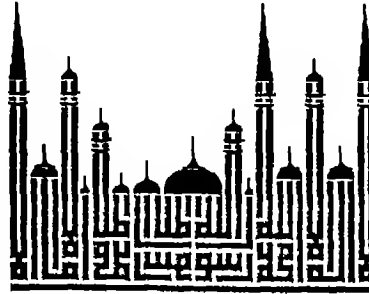
قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالاً عجيبة فلم تر التطويل بها هنا .

فصل

وكم من زنديق فى قلبه حقد على الإسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقي بها من يصحبه . وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلا من ربة الدين، وفى العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات . فمنهم بابك الخرمى حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالع فى الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك، فنهب وفتك وقتل وبالع وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره

ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الرواندى والمعري، أنبأنا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان ابن الرواندى ملازم الرافضة وأهل الإلحاد فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر.

قال المصنف: من تأمل حال ابن الرواندى وجدته من كبار الملاحدة وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمه فأخذه وهو فى شرح الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة. وهو يعلم أن فصحاء العرب تمحرت عند سماعه فكيف بالالكن؟ وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد، وكان يببالغ فى عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً فى تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله. فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً. وأردأهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق.



الباب السادس

فى ذكر تلبيس إبليس على العلماء فى فنون العلم

قال المصنف: اعلم أن إبليس يدخل على الناس فى التلبيس من طرق منها ظاهر الأمر. ولكن يغلب الإنسان فى إثارة هواه فيغمض على علم يذله. ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء. ونحن نشير إلى فنون من تلبسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم .

ذكر تلبسه على القراء

فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيبنى أكثر عمره فى جمعها. وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات. وربما رأيت إمام مسجد يتصدى للأقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدى العلماء ويأخذ عنهم العلم ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم، قال الحسن البصرى: أنزل القرآن ليعمل به. فاتخذ الناس تلاوته عملاً يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به. ومن ذلك أن أحدهم- يقرأ فى محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور. والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن. ومنهم من يجمع القراءات فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه إخراج للقرآن على نظمه، ومنهم من يجمع السجدة والتهليلات والتكبيرات وذلك مكره، وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للمخمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريههم إبليس أن فى هذا إعزازاً للإسلام. وهذا تلبس عظيم لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع ومن

ذلك منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه . فقال أخيرنا تدليساً وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب لكونه يروى القراءات ويرأها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه أثم الكذابين . ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان . وقد كان بعض المحققين يقول ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواماً من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصاً ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات فإن قصر عيب وإن أتم مدح . وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريههم إبليس أن فى كثرة التلاوة ثواباً ، وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها . وينبغى أن تكون على تمهل . وقال عز وجل ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ وقال عز وجل ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ ومن ذلك أن جماعة من السقراء أحدثوا قراءة الألحان وقد كانت إلى حد قريب . وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو على الحسين بن سعد الهمذانى نا أبو بكر أحمد بن على بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السباحى ثنا الربيع بن سليمان قال : قال الشافعى : أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف : وقلت : إنما أشار الشافعى إلى ما كان فى زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء رادت كراهته . فإن أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشئ من الخطايا كالغيبة للنظرء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « لو جعل القرآن فى إهاب ما احترق » وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارئ لم يحترم

ما يحفظ ذب آخر. قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾. وقال في أزواج رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ يَأْتِ مَنْكُنْ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ يَضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن بن ررقويه نا إسماعيل الصقار نا زكريا بن يحيى نا معروف الكرخي قال قال أبو بكر بن حبيش: إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات. وإن في جهنم لجباً يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات. وإن في الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية في اليوم سبع مرات. يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: إى رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فقبل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم. قال المصنف فلنقتصر على هذا الأتمودجة فيما يتعلق بالقراء.

ذكر تلبس إبليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قوماً استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللارم والتفقه في الحديث.

فإن قال قائل: فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المدينى والبخارى ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الإسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأميرين فأما في هذا الزمان فإن طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما في هذا الكتاب في تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهة الذين

يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: روامل أسفار لا يدرون ما معهم. فإن أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره. فقال جماعة ممن حضر: قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله. فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا. قال الخطابي: وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الخلق قبل الصلاة يوم الجمعة. بإسكان اللام، قال وأخبرني: أنه بقى أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت إنما هو الخلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة. فقال قد فرجت على وكان من الصالحين. وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال سمعت البرقاني يقول قال أبو بكر الأبهري الفقيه قال: كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأته فقالت: أيها الشيخ ما تقول فى بشر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس. فقال يحيى ويحك. كيف سقطت الدجاجة إلى البئر. قال الأبهري فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر.

قال المصنف: وكان ابن شاهين قد صنف فى الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لثلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة فسأل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى .

وأنبأنا محمد بن أبى منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا أحمد بن محمد العتيقى نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن إسحاق الحلاب ثنا إبراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث

وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له : حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريتيه ؟ قالت : باثنين وعشرين درهماً قال اذهبي فصومي اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول : آه آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف: قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه وتعالى على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل التشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بهم على المهم من تلبس إبليس .

القسم الثاني: قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعه في الرقة وهى البستان الذى على شاطئ دجلة فيقرأ عليه ويقول فى مجموعاته حدثنى فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التى بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أن قد عبر خراسان فى طلب الحديث . وكان يقول حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبى فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب .

قال المصنف: وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتمرده هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف

ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب .

ومن تليس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً
للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه
الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء
سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى
يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه . أخبرنا
أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق أبوعبد الله باكويه
ثنا بكر أن ابن أحمد الجبلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت
جارساً المحاسبى عن الغيبة فقال احذرهما فإنها شر مكتسب وما ظنك بشئ
يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى
به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس
هناك درهم ولا دينار فاحذرهما وتعرف منبعها فإن منبع غيبة الهمج
والجهال من إشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير
خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة
وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله
أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس^(١) ولو كان الخبر محفوظاً
صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه
وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه
بدعة أو إنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو
يجيثك رجل آخر فيقول لك أريد أو أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل
موضعاً للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن
أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه
ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما مبيع القراء والنسك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع
بالدعاء فى ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له
وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة
حتى يقول مسكين فلان ابنتى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان

فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكرهاتها فقال عز وجل : ﴿أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ . وقد روى عن النبي ﷺ في ذلك أخبار كثيرة .

ومن تلبس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال النبي ﷺ : « من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » . ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فينفى اسمه وربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبته إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به فأما إذا كان المروى عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه في مرتبة الراوى فيستحي الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله أعلم .

ذكر تلبس إبليس على الفقهاء

قال المصنف : كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفيننا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة في الحديث كسنن أبي داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها ويحدث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف كثير

فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرّة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الإسلام .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعسل المداهب لو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاجرات والمباهة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

ذكر تلبسه عليهم بإدخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة

واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر . وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث . ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه . ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير ، وهى محتاجة إلى التذكار والمواظ لتنهض لطلب الآخرة ، ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب . ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم . فإذا نظر فى سير القدماء راحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له

قلبى أحب إلىّ من مائة قضية من قضايا شريح . وإنما قال هذا لأن رقة القلب مقصوده ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصرُوا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتى يسأل عن آية أو حديث فلا يدري . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير . ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب . وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق ، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفى على أحدهم شئ نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعله يظنها . فقليل له ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فإن ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فإن المعارض لا يلزمنى ذكر ذلك . ولقد صدق فى أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل . بل فى باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه . وربما اجتهد فى رده مع علمه أنه الحق . وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق ، وقد قال الشافعى رحمة الله عليه ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عيني . ولا قبلها إلا هبته ، وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه . ومن ذلك طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن فى النفس من حب الرياسة فإذا رأى أحدهم فى كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم فى العيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم . تكلمت مع فلان فما قال شيئاً ، ويتكلم بما يوجب التشفى من غرض خصمه بتلك الحجة ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فإن ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فإن ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلعوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو ترقفوا فى المشكلات كان أولى .

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبرى ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن دستورية ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى . قال : أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع الأول . قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضاً . يقول أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

قال المصنف: وقد رويانا عن إبراهيم النخعى أن رجلاً سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال: ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى . فقالوا: نعم، فقل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت . وقال رجل لآحمد ابن حنبل: إنى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال لبتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك .

قال المصنف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء . مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى ، والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده ، والثالث الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك .

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه

ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرد به بالسلطان . ومن تلبس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شئ وإن كانت من شبهة فتركها أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاهه فى إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون على السلطان إقبالاً على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مدهاتهم وترك الإنكار عليهم ، وقد كان سفيان الثوري رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهانتهم لى إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبى إليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء وحملوها إليهم ينالوا من دنياهم . ، وبذلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل . ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصص وقل الفقهاء .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء : أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها ستين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فإن شغله دائم ، ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفكهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم لبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى . وسبب انبساط هؤلاء مختلف ، فمنهم من يكون فاسد

العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو لينظر. ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجبي وإنما يقوم الإنسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه فحينئذ يشرح الهوى بلا زاد. ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقه ومفت العلم يدفع عن أربابه وهيهات فإن العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء، وقد قال الحسن البصرى : إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل. قال ابن عقيل : رأيت فقيهاً خراسانياً عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له : ما هذا : فقال : خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الأعداء بك أن كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين. خلع عليك السلطان فانخلعت به من الإيمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا ليتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك.

ومن تليسه عليهم. أن يحسن له ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء. هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع. والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ . وقال : ﴿ فاقصص القصص ﴾ . وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده. وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب عظماً فهو مدح وقد كان أحمد بن حنبل يقول : ما أحوج الناس إلى قاص صدوق .

ذكر تليسه على الوعاظ والقصاص

قال المصنف: كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء. وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه. وكان عمر بن عبدالعزيز يحضر مجلس القاص. ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصص والمذكرين. إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك: أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليه إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تنمة ثم نسوا قوله ﷺ: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويضطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق. ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى يفضل القاص ويضل، ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتمسح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة. ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه. ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق يديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهيج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دقائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز. ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه يشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربة

ومن مات غريباً فيبكي بها النساء ويصير المكان كالماتم وإنما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع. ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد ومجبة الحق سبحانه فلبس عليهم إبليس. إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ماتصف وسلكت الطريق. وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم. ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشاق وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصباح ولو على كلام فاسد. وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم فى موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهاون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا مستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيئات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف. ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فرمى تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شئ لهم. ومنهم من يتكلم فى الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصى ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارحة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

فصل

وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للتصحيح إلا أن منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق .

فصل

ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصباح وجداً على رعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والظلمة والأخذ

من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكي النسوة ولا يحث الصبر .

فصل

وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول إنك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فرجما دخل الرياء في قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال : كان الحسن في مجلس فليل للعلاء تكلم فقال أوهناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت فأعجبني . قال ثم تكلم الحسن وأنا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر .

ذكر تليسه على أهل اللغة والأدب

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانهم من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب . وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذ هي مرادة لغيرها . فترى الإنسان منهم لا يكاد يعترف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنهم من علماء الإسلام لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمري إن هذا لا يكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه وإنفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس مهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل .

فصل

ومما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال: قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء؟ قال: نعم. قال والإشهاد أن يمدى الرجل.

قال المصنف. وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركاً بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول: المستفتى. ما تقول في وطء الرجل زوجته في قرئها. فإن القرء يقع عند اللغويين على الأطهار وعلى الحيض. فيقول الفقيه: يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ. وكذلك لو قال السائل: هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر. لم يجز إطلاق الجواب. فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل في الاحتمالات والثاني أنه صرف الفتوى إلى أبعد الاحتمالات وترك الأظهر. وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل.

فصل

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صادراً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم لطباع إلى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعيث فقل أن ترى منهم متشاغلاً بالتقوى أو ناظراً في مطعم فإن النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النخاعة من أموالهم الحرام كما كان أبو علي الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره. وقد يظنون الشيء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري. قال: كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له: إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ما أحببت. فأقول له: أن تعطيني عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيته فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له، وقد صرت نديمه فدعنتى نفسى إلى إذكاره بالوعد ثم هبته. فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لى: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتنى بالنذر.

فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكاء لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق. فقال لى: إنه المعتضد. ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك إليك فى مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقاً. فقلت افعل. فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا. فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدونى حتى أبلغ الحد الذى رسمه. قال: فعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة. فقال لى بعد شهر: يا أبا إسحاق حصل مال النذر. فقلت. لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال. وسألنى يوماً فاستحييت منه من الكذات المتصل. فقلت: قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال: فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل ذلك. قال ثم أخذ الدواة ووقع إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فأومأ إلى هات ما معك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال: يا سبحة الله أترانى كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاء وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى أو تغير رتبته. أعرض على رسمك وخذ بلا حساب. فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت مالى هذا.

قال المصنف: انظروا ما يصنع قلة الفقه فإن هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه

وتبجح به . فإن إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

ذكر تلبس إبليس على الشعراء

قال المصنف: وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللهم . فتراهم يهيمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش . وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجو فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المصادرة . وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير والكذب في المدح خارجاً عن الحد ويحكمون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا - هيهات هيهات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له . ولا قدر للفطن في أمور الدنيا ولا تحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه . وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتي في الفضل عالية فإن حظي ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهري ما لا أسر به وكم يسيئ زمان جائر حنق
وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرقاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين
للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من
امثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم في هذه الغفلة .

ذكر تلبس إبليس على الكاملين من العلماء

قال المصنف: إن أقواماً علت همهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك . فاتاهم إبليس بخفي التلبس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فمنهم من يستفره لطول عنائه في الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك

من كلف التكاليف وأفسح لنفسك فى مشتهاها . فإن وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة . وأورد عليه فضل العلماء ، فإن خذل هذا العبد وقبل هذا التلبس يهلك وإن وفق فينبغى له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه ، أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى ، وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجوع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » . وحكايته ﷺ عن رجل يلقي فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية . وقول أبى الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن يعلم مرة ويول لم علم ولم يعمل سبع مرات . والثالث أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء والتاركين للعمل بالعلم كإبليس وبلعام . ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ .

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من جهة أخرى ، فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة ، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم ، وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ ، وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر فى إثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها . ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استقل نفسه فلم يتكبر ، ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فإنكم تطلبون أعزاز الدين ودحض أهل البدع وإطلافكم اللسان فى الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى به الناس كما يقتدوا بالطيب إذا احتذى أكثر من من اقتداهم بقوله إذا وصف .

وكشف هذا التلييس: أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد فى المجلس فويه أو قل حاسداً عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم. وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس وقد كان أيوب السخيتاني إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال. ما أشد الزكام، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والثاقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتیبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه. أحدها الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب. والثانى لسروره بثلث المسلمين. والثالث أنه لا ينكر.

فصل

وقد لبس إبليس على الكاملين فى العلوم فيسهررون ليلهم ويدأبون فى تصانيف العلوم ويريههم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف .

وينكشف هذا التلييس بأنه لو انتفخ بمصنفاته الناس من غير تردد إليه أو قرئت على نظيره فى العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيدة الناس من غير أن ينسحب إلى ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلييس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وما هذه صفة المخلص فى التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فإذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر وقد ذكرنا آنفاً حديث ابن أبى ليلى ونعيده بإسناد آخر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال. أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شئ إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه .

فصل

قال المصنف: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفى من تلبيسه. بأن يقول له: مالقيت مثلك ما أعرفك بمدخلى ومخارجى فأن سكن إلى هذا هلك بالعجب وإن سلم من المسألة له سلم. وقد قال السرى السقطى: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطياف فخطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان فى أيديها أسيراً. والله الهادى لا إله إلا هو .

.....

الباب السابع فى تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين

قال المصنف: قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها. فالوجه الأول: أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولا جعلهم نواباً عنه فى عبادته، وينكشف هذا التلبيس بأنهم كانوا نواباً عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه. فحينئذ يحبهم لطاعته، فأما صورة الملك والسلطنة فإنه قد أعطاها خلقاً ممن ييغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه. وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوههم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم. ودخل ذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾. والثانى: أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فإذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يجره عنها وذلك سبب الهلاك. والثالث: أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم. ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم. وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبى ﷺ قال: «من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره». والرابع: أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى. فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس. ويطعمهم الحرام باليسوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد. ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه فى عنق الوالى، هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفرقتها فخابوا ضمن. والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله، ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا.

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق، قال الله عز وجل: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾. وقال: ﴿لا معقب لحكمه﴾. فمدعى السياسة مدعى الخلل في الشريعة، وهذا يزاحم الكفر. وقد روي عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك، وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل، اعتقاده أن هذا جائز كفر وإن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع. والسادس أنه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنها بحكمهم.

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره. وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط. قال ابن عقيل: وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين، قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير في بيت مال المسلمين، وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير. والسابع أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال: إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل. وهذا واجب عليهم. وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه فلا يرفع هذا ذلك. والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة. ولو حقق النظر لرأى اختلافاً كثيراً. وقد روي عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد. قال: رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلاً برزق يطوف على باعة العنب فإذا اشترى أحد سلة عنب خمري لم يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً. قال: وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود في الطرق حتى لا يفشوا العمل بالنجوم، وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر إلى أن بدئ بحكم العجم. والتاسع أنه يحسن لهم

استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق إقامة البينة على الخائن. وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له: أن قوماً خانوا في مال الله ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب. فكتب إليه: إن يلقوا الله بخيانتهم أحب إليّ من أن ألقاه بدمائهم. والعاشر أنه يحسن لهم التصديق بعد الغضب. يريهم أن هذا يمحو ذلك، ويقول: إن درهماً من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغضب. وهذا محال لأن اسم الغضب باق ودرهم الصدقة إن كان من الغضب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغضب لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر. والحادي عشر أنه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهـم أن هذا يخفف ذلك الإثم، وهذا خير لا يدفع ذلك الشر، وفي الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول: مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك، فقام مالك فمشى معه إلى العشار، فلما رأوه قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا في حاجتك قال: حاجتي أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل. قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه، فقالوا: ادع لنا يا أبا يحيى قال: قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم. أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف. والثاني عشر: أن من الولاية من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك، وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص فإن رسول الله ﷺ لعن في الخمر عشرة ولعن آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه ومن هذا الفن أن يجبي المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذر فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً. وفي الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة. والله الهادي إلى الصواب.

.....

الباب الثامن

ذكر تلبيس إبليس على العباد فى العبادات

قال المصنف. اعلم أن الباب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل. فهو يدخل منه على الجهال بأمان. وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدین بقلّة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم. وقد قال الربيع بن خثيم. تفقه ثم اعتزل .

فأول تلبيسه عليهم إثارةم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح، قال مطرف بن عبد الله: فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن اسباط: باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إلى من صلاة ليلة.

قال المصنف. فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد .

ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث

من ذلك أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاف وذلك يؤذى الكبد وإنما ينبغى أن يكون بمقدار ومهم من يقوم فيمشى ويتنحى ويرفع قدماً ويحط الأخرى وعنده أن يستنقى بهذا وكلما راد فى هذا نزل البول - وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع فإذا مشى وتنحى وتوقف رشح شئ آخر فالرشح لا ينقطع وإنما بكفيه أن يحتلب ما فى الذكر بين إصبعيه ثم يتبعه الماء. ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فإن استعمل الأحجار فيما لا يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أتى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا

متبع والله الموفق .

ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول: أرفع الحدث، ثم يقول: أستبجح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع الحدث. وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ. ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به فيقول: من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد. وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال. ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة. الإسراف فى الماء، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب، والتعاطى على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل. والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة .

وتلبس إبليس على هذا: بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة، ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوسوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر، وفى الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد، قال: أفى الوضوء سرف، قال: نعم وإن كنت على نهر جار وفى الحديث عن أبى عن النبى ﷺ قال: « للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه، أو قال فاحذروه ». وعص الحسن رضى الله عنه قال: شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء. وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامة أن عبد الله ابن معقل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك. فقال عبد الله، سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والظهور ». وعن ابن شاذب قال: كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول: يتوضأ أحدهم بقربة فيغتسل بمزادة صبا صبا، ودلكا دلكا، تزييا لأنفسهم،

وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أجلّ محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعب به الماء، وقد قال ﷺ، صبوا على بول الاعرابي ذنوباً من ماء، وقال في المنى: أمطه عنك بأذخيرة. قال: وفي الخداء طهوره بأن يدلك بالأرض. وفي ذيل المرأة يطهره ما بعده، وقال: يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام، وكان يحمل بنت أبي العاص ابن الربيع في الصلاة. ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده، وقال: ما أبقيت لنا طهور، وقال: يا صاحب الماء لا تخبره، وقد صالح رسول الله ﷺ الأعراب، وركب الحمار معرورياً، وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء. وتوضاً من سقاية المسجد، ومعلوم حال الأعراب الذين يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك لتعليمنا وإعلامنا أن الماء على أصل الطهارة، وتوضاً من غدير كان ماءه نقاعة الحناء، فأما قوله استنزها البول فإن التنزه حداً معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء، فأما الاستئثار فإنه إذا علق بما وانقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع.

قال المصنف: وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءً كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه، فقال: نمت ليلة فإذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا؟. يحيى بن سعيد الأنصاري حدثني عن سعيد بن المسيب. قال: إذا جاور الرضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء. قال: قلت لا أعود لا أعود، فأنا اليوم يكفيني كف من ماء.

ذكر تلبيسه عليهم في الأذان

ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجهم عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء. ومنهم أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواظظ ويجعلون الأذان وسطاً فيختلط، وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان، وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر. ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين

قرااتهم وكل ذلك من المنكرات .

ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة

من ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجزئ ، ومنهم من يديها فى البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطنتهم وأكسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن يتضح عليه ، ولا يظن ظان أننى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضیعة للزمان هى التى نهى عنها . ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وإن لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه ، فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئذ وما ذاك إلا أن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة ، وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس ، الشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شئ من هذا . وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا .

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس: إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هى النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلت صحیحاً فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض . قال المصنف: وقد حكى لى بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلاً لقيه فقال: إني أغسل العضو وأقول ما غسلته ، وأكبر

وأقول ما كبرت . فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فإنها ما تجب عليك .
فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم : قال النبي ﷺ :
رفع العلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعقل
والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خيل في العقل
وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن
أنتصب قائماً تعظيماً لدخول العالم لأجل علمه مقبلاً عليه بوجهي : سفه
في عقله فإن هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الإنسان إلى
الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول
زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس
جهل محض . وإن الوسواس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة
والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك
محال . ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا
عرف النية . ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها .
فما وجه هذا التعب في إلصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها ولم يفسخها
فقد التصقت بالتكبير وعن مسور قال : أخرج إلى معن بن عبد الرحمن
كتاباً وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما
رأيت أحداً كان أشد على المنتطعين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده
أشد خوفاً عليهم من أبي بكر . وإنني لأظن عمر كان أشد أهل الأرض
خوفاً عليهم .

فصل

ومن الوسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقي صلاته كأن
المقصود من الصلاة التكبير فقط . وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد
للدخول في العبادة ، فكيف تهمل العبادة وهي كالدار ويقتصر على
التشاغل بحفظ الباب .

فصل

ومن الوسوسين من تصح له التكبير خلف الإمام وقد بقي من الركعة

يسير فيستفتح ويستعيز فيركع الإمام. وهذا تلبيس أيضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مستنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة .

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرأتى مرة أفعل هذا فقال: يابنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن.

فصل

وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى وقد رويناه هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين، وهذا أمر أوجه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « لو يعلم الناس ما لهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ». وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى ﷺ أنه قال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة. روى أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال: وضع اليد على اليد من السنة وأن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنف: ولا يكبرن عليك إنكارنا على من قال أراد قرب القلوب ولا أضع يداً على يد - وإن كان من الأكابر - فإن الشرع هو المنكر لا نحن وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه إن ابن المبارك يقول كذا وكذا فقال إن ابن المبارك لم ينزل من السماء وقيل له قال: إبراهيم بن أدهم فقال: جئتمونى ببيانات الطريق عليهم بالأصل فلا ينبغى أن يترك الشرع لقول معظم فى النفس فإن الشرع أعظم والخطأ فى التأويل على الناس يجرى ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه .

فصل

وقد لبس إبليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد وتارة فى إخراج ضاد المغضوب ولقد رأيت من يقول الغضوب فيخرج بساقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب .

وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوسوس من إبليس ، وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل بن أبى أمامة حدثهم أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة المسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة مكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شئ تنقلته قال . إنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت الأشياء سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديورات ﴿ رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ . وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال : قلت لرسول الله ﷺ أن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقرأتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك ففعلت ذلك فأذهب الله عنى .

فصل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأى أن العبادة هى القيام والقعود فحسب وهم يدأبون فى ذلك ويخلون فى بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقى عليهم التشهد الواجب شئ وذلك لا يحمله الإمام عنه ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويقصرون القراءة ويتركون المسنون فى الصلاة ويركبون المكروه فيها وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل

بالتنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لى
أنا أترك النوم عنى بالجهر فقلت إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى
غلبك النوم فثم فإن للنفس عليك حقاً وعن ريدة قال قال رسول الله
ﷺ من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبر.

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل
وفيه من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح
بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة أو يقوم فيتها لها فتفوته
الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته ولقد رأيت شيخاً
من المتعبدين يقال له حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع
المنصور فسألت عن سبب مشيه فقل لى لثلا ينام. فقلت هذا جهل
بمقتضى الشرع والعقل أما الشرع فإن النبى ﷺ قال: « إن لبدنك
عليك حق فقم ونم ». وكان يقول عليكم هدياً قصد فإنه من يشاد هذا
الدين يغلبه. وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد
وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا لزينب تصلى فإذا كسلت أو
فترت أمسكت به فقال: حلوه ثم قال: ليصلى أحدكم نشاده فإذا كسل
أو فتر فليقعده. وعن عائشة قالت قال: رسول الله ﷺ إذا نعس
أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه إذا صلى وهو ينعس لعله
يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه.

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد
بالذى قبله البخارى وأما العقل فإن النوم يجدد القوى التى قد قلت
بالسهر فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثر فى بدنه وعقله فتعود بالله
من الجهل (فإن قال قائل) فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا
يحيون الليل فالجواب أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على
ثقة من حفظ صلاة النسيج فى جماعة وكانوا يستعينون بالقائلة. مع قلة
المطعم يصح لهم ذلك ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم
فيها فستته هى المتبوع.

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك بالنهار، فربما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبهاً، فأقل ما فى هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب .

فصل

وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع إليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال: « إن أفضل صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة ».

قال المصنف: أخرجاه فى الصحيحين . وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلى وكان لا يتنفل فى المسجد وكان يصلى كل يوم ألف ركعة . وكان ابن أبى ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع .

فصل

وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليهم فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء . وعن عاصم قال كان أبو وائل إذا صلى فى بيته نشيجاً ولو جعلت له الدنيا على أن يفعل وأحد يراه ما فعله، وقد كان أيوب السخيتانى إذا غلبه البكاء قام .

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى إصلاح عيب باطن ولا فى مطعم، والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التفل .

ذكر تليسه عليهم فى قراءة القرآن

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزاً من غير ترتيل ولا

تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن في كل يوم أو في كل ركعة، وهذا يكون نادراً منهم ومن داوم عليه فإنه وإن كان جائزاً إلا أن الترتيل والتثبيت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث .

قال المصنف: وقد لبس إبليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء . ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد .

قال المصنف: ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلاً كان يصلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أنه قد ختمت الختمة . وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سراً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . وكان أحمد ابن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدرى متى يختم .

قال المصنف: قد سبق ذكر جملة من تلبس إبليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق .

ذكر تلبسه عليهم في الصوم

قال المصنف وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم، وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن لزوجك عليك حقاً » . فكم من فرص يضع بهذا النفل، والثاني أنه يفوت الفضيلة فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « أفضل الصلاة صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً » . وبالإسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقيني رسول الله ﷺ فقال: ألم أحدثك عنك

أنك تقوم الليل . وأنت الذى تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار، قال أحسبه قال : نعم يا رسول الله قد قلت ذلك . فقال فقم ونم وصم وأفطر . وصم من كل شهر ثلاثة أيام ، ولك مثل صيام الدهر، قال قلت يا رسول الله إنى أطيق أكثر من ذلك قال فصم يوماً وأفطر يومين، قلت إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : فصم يوماً وأفطر يوماً وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام . قلت إنى أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ لا أفضل من ذلك . أخرجاه فى الصحيحين . فإن قال قائل : فقد بلغنا عن جماعة السلف أنهم كانوا يسردون الصوم فالجواب . أنهم كانوا يقدرّون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلته ولا حاجة إلى الكسب، ثم أن فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ « لا أفضل من ذلك » قلّع هذا الحديث، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المنعم وقلته ومنهم من ذهب عينه . وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز .

فصل

وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا يكسر جاهه وهذا من خفى الرياء، ولو أراد الإخلاص ستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به . ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتردى بك والله أعلم بالمقاصد، قال سفيان الثوري رضى الله عنه : إن العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فيثقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعى إلى طعام قال اليوم الخميس ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله يوم الخميس . وأنى أصوم كل خميس، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار . وأما وهم بفطرون . ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أدبر . ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول الناس . وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبس .

ذكر تليسه عليهم فى الحج

قال المصنف: قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضا الوالدين وهذا خطأ. وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة. ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية، وإبليس يريهم صورة الحج فيغريهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان. وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حسجاته فيقول لى عشرون وقفة، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه ممن كان وربما قال إن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً، وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون إلا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم، وقد لبس إبليس على قوم منهم ابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك، وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه، وفى لفظ آخر رأى رجلاً يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده.

قال المصنف: وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

فصل

وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهو على غاية الخطأ، قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد. فقال له أحمد فاخرج فى غير السقافة. قال: لا إلا معهم: قال فعلى جراب الناس

توكلت ؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

ذكر تلييس إبليس على الغزاة

قال المصنف: قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات، وعن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء فأى ذلك فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله . أخرجه فى الصحيحين . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فإن الرجل ليقاقل ليغنم ويقاقل ليذكر ويقاقل ليرى مكانه، وبالإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها، قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرى فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها، قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار . ورجل وسع الله عليه فأعطاه أصفاء المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها، فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار . » . انفرد بإخراجه مسلم، وبإسناد مرفوع عن أى حاتم الرازى قال: سمعت عبدة بن سليمان يقول، كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادها العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه

الرجل فقتله، فاردحم الناس عليه فكنت فيمن اردحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص، كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه، وقد كان إبراهيم بن أدهم يقاتل فإذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر.

فصل

وقد لبس إبليس على المجاهد إذا غنم، فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فأما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدري أن الغلول من الغنائم معصية. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة. قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا. فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والياب. ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه، فلما قلنا له هنيئاً الشهادة يا رسول الله فقال: كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففرغ الناس. فجاء رجل بشارك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراكان من نار.

فصل

وقد يكون الغارى عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه. وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل. وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم. روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبيدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض. أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذي معه. ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت، فقال والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني، ولكن أحمد الله وأرضى

بوابه فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس .

ذكر تلييسه على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهم قسمان عالم وجاهل، فدخل إبليس على العالم من طريقين :-
الطريق الأول : التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك السفعل،
روينا بإسناد عن أحمد بن أبي الخوارى قال سمعت أبا سلمان يقول
سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلنى الغضب
وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل، قال فكرهت أن
أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقونى بأبصارهم فيعرض لى
تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الثانى: الغضب للنفس . وربما كان ابتداء وربما عرض فى
حالة الأمر بالمعروف لأجل ما يلقي به المنكر من الإهانة فتصير خصومة
لنفسه كما قال عمر ابن عبد العزيز لرجل: لولا أنى غضبان لعاقبتك،
وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

فصل

فأما إذا كان الأمر بالمعروف جاهلاً فإن الشيطان يتلاعب به وإنما كان
إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه، لأنه ربما نهى عن شئ جائز بالإجماع
وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما كسر الباب
وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه
صار غضبه لنفسه . وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد
بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال: إذا
كان مغطى فلا تكسره، وال فى رواية أخرى: إكسره . وهذا محمول على
أنه يكون مغطى بشئ خفيف يصفه فيتيين والأولى على أنه لا يتيين .
وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا
عليك ما غاب عنك فلا تفتش، وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من
يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السلطان يقيم الحدود
فأرفع اليه .

فصل

ومن تليس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس في مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كان خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن. وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم بالضرب المبرح ويكسر الأواني وكل هذه يوجهه الجهل. فأما العالم إذا أنكر فأتت منه على أمان، وقد كان السلف يتلطفون في الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلاً يكلم امرأة. فقال: إن الله يراكم. سترنا الله وإياكم. وكان يمر بقوم يلعبون فيقول: يا إخواني ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره. فانتبه رجل منهم فقال: يا قوم إنما تعلمنا هذا فتاب وصحبه.

فصل

وأولى الناس بالتلطف في الإنكار على الأمراء فيصالح أن يقال لهم: إن الله رفعكم فاعرفوا قدر نعمته، فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصي.

فصل

وقد لبس إبليس على بضع المتعبدین فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صالح وأنا ليس بصالح فكيف أمر غيري. وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه. إلا أنه متى أنكر متزهاً عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متزهاً لم يكده يعمل إنكاره فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره، قال ابن عقيل: رأينا في زماننا أبا بكر الآققالی فی أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخبار شيخ صالح أضر من إطلاعه في التنوير وتبعه، وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلص رده وقال متى لقينا الجيش بمخلص انهزم الجيش.

الباب التاسع

فى ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

فد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقى . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدته فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها . وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تدم لذاتها وكيف يذم ما من الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى إعاقته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشئ من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع . وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فإن النبى ﷺ نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل ، وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذه عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين ، ومن لم يحتمل حالهم وجهاً صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا ، وقد قال بعض السلف : خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا .



فصل

ومن تلبسه على الزهاد: - إعراضهم عن العلم شغلاً بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعدد. وكم قد رد إلى الصواب من ماعبد.

فصل

ومن تلبسه عليهم: - أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير. ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييس بدنه ويعذب نفسه يلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم. وإنما كان يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فإذا وجدوا أكلوا. وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى. وقد كان رجل يقول: أنا لا أكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره. فقال الحسن البصرى: هذا رجل أحق وهل يقوم بشكر الماء البارد، وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفلودج، وينبغى للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات فإن ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فإن الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك. وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم. فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإننا نهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه، فإن تزهّد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه وما لا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس. وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن

الاقتصار يؤدي من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والبارد والممسك والمسهل، وقد جعل في الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندهم البلغم الذي لا بد في قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع في طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقته فإن ذلك يفسدها. فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكي فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فإن اتباع الشارع وصحابته أولى. وكان ابن عقيل يقول: ما أعجب أموركم في المتدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة، بين تيجير أذيال المرح في الصبا واللعب، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد فهلا عبدوا على عقل وشرع .

فصل

ومن تليسه عليهم أنه يوهمهم إن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب، فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه فستراهم يترصدون لزيارة الأمراء ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة، وربما رد أحدهم المال لثلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقييل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

فصل

وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء، فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التليس مثل إظهار النجول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد، وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفى، وإنما نشير إلى حفى الرياء، وقد قال النبى ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات ». ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل، قال مالك ابن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا تتعب .

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى، وإما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة. وفي الحديث مرفوعاً عن يسار قال لي يوسف ابن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه فإنني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة. وفي الحديث مرفوعاً عن إبراهيم الحنظلي قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت إبراهيم ابن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ودخلت عليه في صومعته فقلت له يا سمعان: منذ كم أنت في صومعتك هذه. قال: منذ سبعين سنة. قلت: ما طعامك. قال: يا حنيفي وما دعاك إلى هذا. قلت أحبيت أن أعلم. قال: في كل ليلة حمصة. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة. قال: ترى الذين بحذائك. قلت نعم. قال إنهم يأتونني في كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظمونني بذلك وكلما تناقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة، فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد. فوقر في قلبي المعرفة. فقال: أريدك قلت: نعم. قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلي ركوة فيها عشرون حمصة فال لي أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصاري فقالوا يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ. قلت: من قوته. قالوا ما تصنع به نحن أحق ساوم. قلت عشرين ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك، هذا عز من لا يعبهه فانظر كيف تكون بعز من تعبه يا حنيفي، أقبل على ربك.

قلت: ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حدرأ عليها وبهرجوها بضدها، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل، وكان في ذيل أيوب السخيتاني بعض الطول، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالإسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظمهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في

هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه، وإن لقى حياً ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك. فقال وما يصنع، قال للكلام الذى وعظت به، فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شئ من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه بإجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله. فقال الملك: أين الرجل فقيل له: هو هذا. قال هذا الذى يأكل. قالوا: نعم، قال: فما عند هذا من خير فأدبر، فقال الرجل: الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به. وفى رواية أخرى عن وهب، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلاً عنيماً. فقال له الملك: كيف أنت يا فلان، فقال كالناس. فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال: الحمد لله الذى أذهب عني وهو لائم لى، وبإسناد عن عطاء قال: أراد أبو الوليد عبد الملك أن يولى يزيد ابن مرتد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الأسواق ويأكل. فقيل للوليد: إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير.

فصل

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً، لكنه قد علم أنه لابد أن يتحدث بتركة للدنيا أصحابه أو زوجته. فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم. ولو أنه أراد الإخلاص فى زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحي به جاه النفس ويقطع الحديث عنه فقد كان داود بن أبى هند، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله. كان يأخذ غذاءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به فى الطريق، فأهل السوق

يظنون أنه قد أكل فى البيت . وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق
هكذا كان الناس .

فصل

ومن المتزهدين: من قوته الانقطاع فى المسجد أو رباط أو جبل فلذته
علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه بأنى أخاف أ أرى فى خروجى
المنكرات . وله فى ذلك مقاصد: منها الكبر واحتقار الناس، ومنها أنه
يخاف أن يقصروا فى خدمته، ومنها حفظ ناموسه ورياسته فإن مخالطة
الناس تذهب وهو يريد أن يبقى إطرأؤه وذكره، وربما كان مقصوده ستر
عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا . ويحب أن يرار ولا يزور ويفرح
بمجيئ الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده . فهو يترك عيادة
المرضى وشهود الجنائز ويقول لأصحابه: اعذرُوا الشيخ فهذه عادته - لا
كانت عادة تخالف الشريعة . ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت ولم
يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه
فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشتري حاجته لانقطعت عنه
الشهرة ولكن فى باطنه حفظ الناموس . وقد كان رسول الله ﷺ يخرج
إلى السوق ويشتري حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه
يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشتري . واحديث بإسناد عن محمد ابن
القاسم قال: روى عن عبد الله بن حنظلة قال: مر عبد الله بن سلام
وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك
الله . قال: أردت أن أدفع به الكبر وذلك أنى سمعت رسول الله ﷺ
يقول: « لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر » .

فصل

قال المصنف: وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من
التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت
الأحوال والملابس . فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك
يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع ومراعاة قلوبهم فى
مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة فى القلوب لا يمنع

وليس كل ما كان فى السلف بما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم، قال الأوزاعى: كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم . أن أصحابه كانوا يوماً يتمارحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون فقالوا له: تعلمنا الرياء فقال: إني أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف: وإنما خاف قول الجهلة، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين .

فصل

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن إبليس من ثوبه ما فعل لثلاً يتوكس جاهه فى الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه فى التبسم فضلاً عن الضحك . ويوهمه إبليس أن هذا لإصلاح الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطأطئ الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى .

فصل

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف قال، قال يوسف بن أسباط: خرجت من سبج راجلاً حتى أتيت المصيصة وجرايى على عنقى . فقام ذا من حانوته يسلم علىّ وذا يسلم . فطرحت جرايى ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحد قوابى واضطلع رجل فى وجهى فقلت فى نفسى كم بقاء قلبى على هذا، فأخذت جرايى ورجعت بعرفى وعنائى إلى سبج فما رجعت إلى قلبى ستين .

فصل

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخططه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير، وهذا من أبواب الرياء فإن كان صادقاً فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى: ألا تسرح

لحيثك فقال: إني عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فإنه كان يسرح شعره وينظر في المرأة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة. وكان أبو بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأرهدهم. فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه.

فصل

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي ﷺ إن لأهلك عليك حقاً. وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدري لقلته علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر: «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك». وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة.

فصل

ومن الرهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقاً، ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل إليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه، فإذا عرض له أمر قدعا فلم يجب تذر في باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله. ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله. ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه. وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي. وقيل لها هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك. فقالت: إذا كان فمخافتى أن يرد على.

فصل

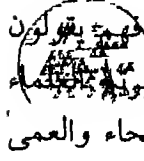
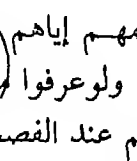
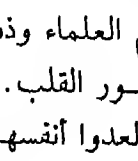
ومن تلبس إبليس على قوم من الزهاد الذي دخل عليهم فيه من قلة

العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه ، قال ابن عقيل :
كان أبو إسحاق الخزاز صالحاً وهو أول من لقننى كتاب الله وكان من
عاداته الإمساك عن الكلام فى شهر رمضان . فكان يخاطب بآى القرآن
فيما يعرض إليه من الخوائج فيقول فى إذنه ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾
ويقول لابنه فى عشية الصوم ﴿ من بقلها وقثائها ﴾ أمراً له أن يشتري
البقل ، فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية . فصعب عليه ،
فقلت : أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى
أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف
أو توسدك له . فهجرنى ولم يصنع إلى الحجة .

قال المصنف : قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام
فيفتسئ به . حدثنى أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه . أن رجلاً استفته
فقال ما تقول فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها . قال :
فقلت لا . وكان عندى الشريف الدحالى وكان مشهوراً بالزهد عظيم
القدر بين العوام . فقال لى : بلى تحل . فقلت : ما قال بهذا أحد ،
فقال : والله لقد أفئتت بهذا من ههنا إلى البصرة .

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف إليه حفظ الجاه
خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد
مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف
لو رأوا تخييط المترهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالإسناد . عن
اسماعيل بن شبة قال : دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن
حرب من مكة فقال لى أحمد بن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم
؟ قلت : من ردهه كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا ، فقال : لا ينبغي لمن
يدعى ما يدعى أن يدخل نفسه فى الفتيا .

فصل

ومن تليسه على الزهاد احتقارهم العلماء وذمهم إياهم  ولوعرفوا  المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب . ولوعرفوا  فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم عند الفصحاء والعمى

عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم وسليم هؤلاء يمشى وحده. وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه: والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

فصل

وبما يعيرون به العلماء. تفسح العلماء في بعض المباحات التي يتقوون بها على دراسة العلم، وكذلك يعيرون جامع الأموال. ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله وغاية الأمر أن غيره أولى منه. أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام. ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولاني قال قال: حدثني عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم. قال: دخلنا مع حاتم البلخي إلى الري ومعه ثلثمائة وعشرون رجلاً من أصحابه يريد الحج. وعليهم الصوف والزمرانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام. فترلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد. قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعبادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجيئ معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فإذا البواب فبقي حاتم متفكراً يقول: يا ربّي دارعالم على هذا الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فلإذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور، فبقي حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطىّ وهو عليه راقد وعد رأسه مذبة وناس وقوف، فقعد الرازي وبقي حاتم قائماً فأوماً إليه محمد بن مقاتل بيده أن أجلس فقال حاتم لا أجلس، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم، قال وما هي، قال مسألة أسألك عنها قال فاسألني قال حاتم قم فاسطو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه، فقال حاتم: علمك من هذا أين جئت به فقال حدثني عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن

أخذه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا أصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة وأداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات إليكم ، هل سمعت في هذا العلم من كانت داره في الدنيا أحسن وفرشه ألين وريشته أكثر كان له المترلة عند الله عز وجل أكبر ، قال : لا ، قال ، فكيف سمعت قال سمعت من رهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وأقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب ، قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبا لنبي ﷺ وبأصحابه التابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون وغمروذ فإنهما أول من بنى بالخص والأجر . يا علماء السوء إن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا . قال ، فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الري ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شئ من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال لهم : رحمك الله إنا رجل أعجمى جئتكم لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعمة وكرامة يا غلام إناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء فقعده محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ ، قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوا بين يديك ليكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثاً حتى بلغت الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسى أسرفت فقال حاتم : فى ماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعاً قال يا سبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه أراد به بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال يا قوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ما كان

لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاط، قال، فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطه فقال حاتم فهذه مدينة فرعون قال فسبوه وذهبوا به إلى الوالى فقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون فقال الوالى: لم قلت ذلك قال حاتم لا تعجل على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة سألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا إنما كانت لهم بيوت لاطة وسمعت الله عز وجل يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون.

قال المصنف: قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً فإن الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شئ ثم يعاتب عليه فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم: لو قصرتم فيه أنتم لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم، وفلاناً وفلاناً من الصحابة خلفوا مالاً عظيماً أتراهم ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء إذا لم يتعلم فليسكت والحديث بإسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه إن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز. وبإسناد عن حبيب الفارسى يقول: والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز.

قال المصنف: قلت المراد بالقراء الزهاد، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

.....

الباب العاشر

فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف: الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداءها الزهد الكلى ثم ترخص المتسبون اليها بالسماع والرقص فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولا يكتشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب.

فصل

قال المصنف: كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام. فيقال مسلم ومؤمن. ثم حدث زاهد وعابد. ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها. وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر ففتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية. أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال. قال: قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ. قال: سألت وليد بن القاسم إلى أى شئ ينسب الصوفى فقال: كان فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث ابن مر بن أخى تميم بن مر. بالاسناد إلى الزبير بن بكار قال. كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طائفة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة. وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب. أجز صوفة. قال الزبير. قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام

بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان. قال الزبير حدثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى. قال إنما سمى الغوث بن مرصوفة لأنه ماكان يعيش لأمه ولد. فنذرت لئن عاش لتعلقن لرأسه صوفة ولتجعلنه ريبط الكعبة. ففعلت. ففعلت له صوفة ولولده من بعده. قال الزبير. وحدثني ابراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران. قال أخبرني عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على أن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت. فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى. فقالت ماصار ابني إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج واجارة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة.

فلم تزل الإجارة فى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش.

فصل

قال المصنف: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة. وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة. والحديث باسناد عن الحسن. قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير. وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول. السلام عليكم يا أهل الصفة. فيقولون. وعليك السلام يا رسول الله فيقول كيف أصبحتم. فيقولون بخير يا رسول الله. وباسناد عن نعيم بن الجمر عن أبيه عن أبي ذر قال. كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي ﷺ بعشائه فتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ. ناموا فى المسجد.

قال المصنف. وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة. وإنما أكلوا

من الصدقة ضرورة. فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقليل صنفى، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعاء قصيرة. فنسبوا إليها لاجترائهم بنبات الصحراء وهذا أيضا غلط لأنه لو نسبوا إليها لقليل صوفانى. وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا. وهى الشعرات النابتة فى مؤخرة كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق. وقال آخرون. بل هو منسوب إلى الصوف. وهذا يحتمل. والصحيح الأول.

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس. ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر الإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الآخرة. والحديث باسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المثنى يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف. فقال الخروج عن كل خلق ردى، والدخول فى كل خلق سنى وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول: قال روى كل الخلق قعدوا على الرسوم. وقعدت هذه الطائفة على الحقائق. وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.

قال المصنف: وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طعمه فى القرن الثانى فزاد تلبسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخطبوا فى الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع. وهؤلاء كانت مقاصدهم

حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيهم من كان لقله علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبى. وجاء آخرون فهدبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمواقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة. ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بعدهم عن العلماء لابل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمن فيه فكأنهم تخيلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق. ففسدت عقائدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالانحداد. ومازال إبليس يخططهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهم. والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن. وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز. قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواء. وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وردد فيه قول- قال بعض المكاشفين-

وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لأولياته . أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : قال أبو طاهر محمد بن العلاف . قال : دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال . ليس على المخلوق أضر من الخالق فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب . وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مشبعة فى الصفات .

قال المصنف : وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية . وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم فذكر عنهم فى العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد .

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن ابن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء . والبقاء والقبض . والبسط . والوقت . والحال . والوجد . والوجود . والجمع . والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والإثبات . والتجلى . والمحاضرة . والمكاشفة . واللوائح . والطوائع . واللوامع . والتكوين . والتمكين . والشرعية . والحقيقة . إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشئ وتفسيره أعجب منه ، وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول : كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة وصنف كتاباً فى جواز النظر إلى المراءد أو رد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال : رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقل

له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح: قال شيخنا ابن ناصر. وليس ابن طاهر بمن يحتاج به، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوارهى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعرفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال فى كتابه المفسح بالأحوال. إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

قال المصنف: وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنة والاسلام والآثار وأقبالهم على ما استحسّنوه من طريقة القوم. وإنما استحسّنوها لأنه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاماً أرق من كلامهم. وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسمع والطباع تميل إليها. وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء.

فصل

وجمهور هذه التصانيف التى صنفتم لهم لاتستند إلى أصل وإنما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث باسناد إلى أبى يعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوسوس والخطرات. فقال. ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.

قال المصنف: وقد رويناه فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد ابن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبى. فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البردعى،

قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبى وكتبه فقال للسائل .
اياك وهذه الكتب . هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالاثار فانك
تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له . فى هذه الكتب عبرة . قال . :
من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة
بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والأئمة المتقدمة ،
صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم
خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبى ومرة بعبد الرحيم الديلمي
ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب
التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمى قال : أول من تكلم فى بلدته فى
ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصرى فأكر عليه ذلك
عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك
وهجرة لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه
السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى وأخرج أبو سليمان الداراني من
دمشق وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على
أحمد بن الحوارى : يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى
مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه
ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لى معراج كما كان للنبي ﷺ معراج
فأخرجوه من بسطام ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى
أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام ، قال السلمى وحكى رجل
عن سهلى ابن عبد الله التستري أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين
يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى
القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث
المحاسبى فى شيء من الكلام والصفات فهجرة أحمد بن حنبل فاختلف
إلى أن مات .

قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن أحمد بن
حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى

فى حوادث كلام جهم ذاك جالسة فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم
ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرباط انظر أى يوم
يثب على الناس .

فصل

قال المصنف: وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب
والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم . وبإسناد عن جعفر الخلدى
يقول سمعت الجنيّد يقول قال أبو سليمان الداراني قال ربما تقع فى نفسى
النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب
والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول
قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى
وحفظ الحدود .

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال: من ترك
قراءة القرآن والتقىشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعبادة المرضى
وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع . بإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول
سمعت سرياً يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غلط
وعن الجنيّد أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة، وقال
أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث
ولم يتفقه لا يقتدى به، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القليل والقال
لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المآلوفات والمستحسنات لأن التصوف
من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال
حارثة: عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظلمات نهارى . وعن أبى
بكر الشفاف: من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة
القلب فى الباطن، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه . من رأته يدعى
مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأته
يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على
دينه، وعن الجريرى قال: أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد هو أن
تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً . وعن أبى جعفر قال:

من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا
تعدّه في ديوان الرجال

فصل

قال المصنف: وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض
أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحاً عنهم توجه
الرد عليهم إذ لا محابة في الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا
القول وذلك المذهب من أى شخص صدر. فأما المشبهون بالقوم وليسوا
منهم فأغلطهم كثيرة. ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله
يعلم أننا لم نقصد بيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من
الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال
العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لظهار
عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول: كيف يرد على فلان الزاهد
المتبرك به. لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى
الأشخاص، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا
تمنع منزلته ببيان الله .

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر
عنه كان كمن ينظر إل ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من
الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية. ولو نظر إليه وأنه لا يقوم
إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه، وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد
السمرقندى باسناد إلى يحيى بن سعيد قال: سألت شعية وسفيان بن
سعيد وسفيان بن عيينة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم في
الحديث. فقالوا جميعاً يبين أمره: وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يمدح
الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه في الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان
لو لا أن خلة فيه وقال عن سرى السقطى: الشيخ المعروف بطيب المطعم
ثم حكى له عنه أنه قال أن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء
فقال: نفروا الناس عنه .

سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقتلوه
فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب علس سطح الجامع فزق أبو
حمزة وقال: لبيك لبيك. فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق. وبيع
فرسه بالمنادة على باب الجامع هذا فرس الزنديق، وباسناد إلى أبى بكر
الفرغانى أنه قال: كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول: لبيك لبيك فأطلقوا
عليه أنه حلولى. ثم قال أبو على وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه للذكر.
وعن أبى على الروزبارى قال أطلق على أبى حمزة أنه حلولى وذلك أنه
كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان
يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول. قال السراج وبلغنى عن أبى
حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبى فصاحت الشاه ماع فشقق أبو حمزة
شهقه وقال: لبيك يا سيدى فغضب الحارث المحاسبى وعمد إلى سكين
وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك. قال أبو حمزة: إذا أنت
لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد.

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد احمد بن عيسى
الخرأ ونسبوه إلى الكفر بالفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر
ومنه قوله: عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال:
وأبو العباس أحمد ابن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة
قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم.
وقال السراج: ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه
قال من ذكر افترى ومن صبر اجتري. وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو
خليلاً وأنت تجدد إلى ملاحظة الحق سبيلاً. فقل له: أولاً أصلى عليهم
قال: صل عليهم بلا وفار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار. قال السراج:
وبلغنى أن جماعة من الحلوليين رعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً
حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر

إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال فى المستحسنات . قال
ويلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى الدنيا
كالرؤية بالعيان فى الآخرة قال السراج . وبلغنى أن أبا الحسين النورى
شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو
يعشقنى فقال النورى : سمعت الله يقول يحبهم ويحبونه وليس العشق
بأكثر من المحبة : قال القاضى ابو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله
عز وجل يعشق .

قال المصنف : وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الإيـمـان فان
العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عز
وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال
يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أبـن له أن الله يحبه فهذه دعوى بلا دليل
وقد قال النبى : ﷺ «من قال إنى فى الجنة فهو فى النار» .

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال :
كنت أماشى الحسين بن منصور فى أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع
قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيى
الرازى يقول قال أبو بكر بن حمشاد قال : حضر عندنا بالدينور رجل
ومعه فملاة . قال سمعت عمرو بن عثمان يلحن الحلاج ويقول . لو
قدرت عليه لقتلته بيدي فقلت بأى شىء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية
من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أولف مثله وأتكلم به .
وبإسناد عن أبى القاسم الرازى فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار
ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى
فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه فقال . هذا خطى وأنا
كتبته . فقالوا كتبت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية . فقال . ما أدعى
الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكتاب إلا الله تعالى واليد فيه
آله . فقيل له : هل معك أحد . فقال . نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى
وأبو بكر الشبلـى . وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلـى يتستر فان كان فابن
عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل . هذا كافر يقتل من يقول هذا

وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله. وبإسناد عن ابن باكويه قال: اسمعت عيسى بن بردل القزويني وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الآيات.

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ: على قائله لعنة الله. قال عيسى بن فورك: هذا شعر الحسين ابن منصور. قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون منقولاً عليه. وبإسناد عن علي بن المحسن القاضي عن أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن رنجي عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير. فسألها عن الحلاج فقالت. حملني أبي إليه فقال. قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك واصعدى في آخر النهار إلى السطح وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبليني بوجهك واذكري لى ما أنكرتیه منه فانى أسمع وأرى. قالت: وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشيني فاتبعت مذعورة لما كان منه. فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة. فلما نزلتا قالت ابنته. اسجدى له. فقلت: أو يسجد أحد لغير الله. فسمع كلامى. فقال. نعم إله فى السماء وإله فى الأرض.

قال المصنف: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج. فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقہ العلماء. وإنما سكبت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدري ما يقول. والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلکم» وبأسناد عن أبى القاسم يوسف ابن يعقوب النعمانى قال سمعت والدى يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهانى يقول: إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ

حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف . وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلاً منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت إبراهيم بن محمد البصرى بآدى كان يقول . إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلاً من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل . وقد جمعت فى أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

وبإسناد عن أبى نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكى أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً إلى السياق ليضرب عنقه . فقال له السياق . ما دعاك إلى البدار . قال آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة فتوقف السياق فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضى القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم . وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور . فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السياق لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع . قال . أحببت أن أوتر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى إلى السياق ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً . وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو وتلميذ الرقى قال سمعت الرقى يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير

عليه خرقتان يكسى بأبى سليمان فقال . الضيافة . فقلت لإبنى : إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام آكله . فسمته المقام فقال . الضيافة ثلاثة أيام فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين . فقال : رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع فى نفسى أن أسأله أى شىء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وماسؤالك عما لايعنيك . فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين . فقال فى الثالثة لا بد لك فقلت له ان رأيت . فقال . بينما أنا أصلى بالليل إذ لاح لى من المحراب نور فقلت إخصأ ياملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرر للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب ياأبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجاريك على ما مضى لك أو نبتيك ببلاء برفعه به فى عشرين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويدائى ورجلاى قال فمكثت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة . فقال يوماً من الأيام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضاً حتى بررت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات .

قال المصنف: وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا . وقد حكى أبو القاسم عبدالله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمعون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوسوس وأصحاب الخطرات .

قال المصنف: وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد راد فى حق الصوفية على الحد فقوى وسواسهم فى استعمال الماء الكثير حتى

بلغنى أن ابن عقيل دخل رباطاً فتوضأ فضحكوا لقلته استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه . وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقيه: من أين تتوضأ . فقال . من النهر، بى وسوسة فى الطهارة قال: كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان . والآن يسخر بهم الشيطان، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدى إلى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا، والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق .

ذكر تلبس إبليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف: وقد ذكرنا تلبسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى أن من ستنهم التى ينفردون بها ويتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث تمام بن أثال أن النبى ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فإن ثمامة كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد ابن حنبل، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس فى حديث تمام ذكر صلاة فيقاس عليه، وهل هذا إلا ابتداع فى الواقع سموه سنة . ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى المساكن

قال المصنف: أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدى الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد . وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه . أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنى أهل الإسلام المساجد: والثانى أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل

الخطا إلى المساجد. والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة. والخامس أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح. والسادس أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخا للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد. وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة. وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع. فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد فأين جوع بشر، وأين ورع سرى، وأين جد الجنيد وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زر ما نفقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثني قلبي عن ربي. ولقد بلغني أن رجلاً قرأ القرآن في رباط فممنوعه وأن قوماً قرأوا الحديث في رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه، والله الموفق.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الخروج

عن الأموال والتجرد عنها

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلّة العلم. فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤنة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقته تبذيراً وضياعاً والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمي قال سمعت أبا نصر الطوسي: قال سمعت جماعة من مشايخ الري يقولون: ورث أبو عبدالله المقرئ من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفق على الفقراء.

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها

عن الناس أو كان المال عن شيعة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلاً وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه .

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال : أيها المفتون متى رعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه . فقد أرريت بمحمد ﷺ والمرسلين ورعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم ورعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة . ودابن عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً . قال ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب : سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بغير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . كذبت وكذبت من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج .

قال الحارث: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً. وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثمياً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل. ويحك هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه. ويحك إني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يذلها فأيهما أفضل فقال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبى ذكره أبو حامد وشيذه وقواه بحديث ثعلبة فإنه أعطى المال فمنع الزكاة^(٣) قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات، إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل.

قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للسمراد بالمال.

فصل

في رد هذا الكلام أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف. فقال تعالى: ﴿وَلَا

تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد. فقال ﴿فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رِشْدٌ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد: لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عائلة يتكففون الناس وقال: ما نفعى مال كمال أبى بكر والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص. قال: بعث إلى رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اتتنى، فأتيته فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة. فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام. فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح. والحديث باسناد عن أنس ابن مالك، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير. وكان في آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له. وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث تويته. قال: فقلت يا رسول الله أن من تويت أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك.

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة في الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه يناقى التوكل. ولا ينكر أنه يخاف من فتنه وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعز وسلامة القلب من الافتنان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنه. فأما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه. وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده، فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أئيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات. وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته

وبإسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر فرسه بأرض يقال لها ثرثر. فأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سوطه فقال: أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد ابن عباد يدعو فيقول: اللهم وسع على.

قال المصنف: وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه ﴿ونزداد كيل بعير﴾ مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم. وأن شعيباً طمع في زيادة ما يناله فقال ﴿فإن أتممت عشرأ فممن عندك﴾ وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه يستكثر منه ف قيل له: أما شبعث. قال: يارب من يشيع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصد به الخير كان خيراً محضاً.

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله: إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال. وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال. فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله. وما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم. وقد روى بعض هذا وإن كان طريق لا يثبت. وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزبادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له ويده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل منى. أذر خلفى ست أواقى. أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا؟ ثلاث مرات قال نعم.

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه قال يحيى لا يحتج بحديثه. والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتى وثلاثين، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين. ثم لعظ ما ذكره من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع. ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم. إنا نخاف على عبد الرحمن، أو ليس الإجماع منعقد على إباحة جمع المال من حله،

فما وحه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسير سير الصحابة، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبوا حبوا يوم القيامة. فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أو كان هذا مناماً وليس هو فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبوا عبد الرحمن فى القيامة، أفترى. من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة. ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب السورى. ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان، وقال البخارى: ربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدارقطنى: ضعيف، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتاً فى المدينة. فقالت: ما هذا ؟ فقالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء، قال وكانت سبعمائة بعير فارجت المدينة من الصوت. فقالت عائشة رضى الله عنها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً. فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عوف فقال: إن استطعت لأدخلنها قائماً. فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل .

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه. ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء. والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال: ما قاله رسول الله ﷺ قط وقوله: هل تجد فى دهرك حلالاً. فيقال له: وما الذى أصاب الحلال والنسبى ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين أترى يريد بالحلال وجود حبة مذخرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة، هذا يبعد وما

طولبنا به . بل لوباع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرتة ما حكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات . ولو ادعى الاجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزي قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله إنى فى كفاية فقال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله ، قد بينا أنه إن كان حراما أو فيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ررع ومال ولشعيب وغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويضل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثوري رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء . وإنما تجافاه قوم منهم إيثاراً للتشاكل بالعبادات وجمع الهمم فتنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الامر ولكنه راحم به مرتبة الاثم .

فصل

واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئا . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله رسول الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهذا احتياج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان

يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قال: كيتان، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد. إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا. وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى. فقال رسول الله ﷺ: وما أبقيت لأهلك فقلت مثله فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهله المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شىء فى يومه لغده، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله قال ابن جرير: وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصبح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شىء عنده من عين ولاعرض ويمسى كذلك ألا ترى كيف أدخر رسول الله ﷺ لأرواحه قوت سنة.

فصل

وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه. والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى ديناً كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة، فأنى بها رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ضع هذه حيث آراك الله أو حيث رأيت، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه. فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابته لعقرته، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله، قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من

ذهب فقال، يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خیر الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وفي رواية أخرى: خذ عنا مالك لأحاجة لنا به وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: خذ ثوبك.

قال المصنف: ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل. قال قال: ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم، فرد الرسول وقال يا أبا بكر. أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول: إرجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق. فبعث إليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: ان كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه .

فصل

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها وقال. ما أريد أن تكون ثقتي إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال. أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت الجنيد يقول دقت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا. فقال: ما كان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المجيء إليّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم نتقطع عنه: فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني، فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندى شيء .

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لإخراج صور المال. ما قال هؤلاء هذا الكلام. ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم. وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه. أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة، فمن أين أطعم عيالي. وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرى. وقد روي في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازى قال. حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقال لى كل فقلت لا آكله فانه يضرنى فلما كان أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت. اللهم انك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين. فسمعت هاتفاً يهتف بى ويقول - ولا يوم اللبن.

قال المصنف. وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها- وأعلم أن من يقول هذا يضرنى. لا يريد أن ذلك يفعل بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه. «رب إنهن أضللن كثيراً من الناس». وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر. وقوله - ما نفعنى نقابل لقول القائل - ماضرنى. ويصح عنه أنه قال. ما زالت آكله خبير تعادنى فهذا أو ان قطعت أبهرى. وقد ثبت أنه لارتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا.

فصل

قال المصنف. وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم رهداً فيها. وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل. كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب. ومعلوم ان

الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة سوى ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والمالكس فلم يردوه. وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك- بالفتوح ومنها ان زرقتا لا بد ان يصل اليها. ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولا تشكر سواه. وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ماكان السلف الصالح عليه. فان النبى ﷺ قال. الحلال بين والحرام بين وبينهما متشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل التبهة وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا من فى ماله شبهة. وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفاً وتترهاً وعن أبى بكر المروزي قال ذكرت لأبى عبد الله رجلاً من المحدثين فقال رحمة الله أى رجل كان لولا خلة واحدة ثم سكت. ثم قال ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة. فقال. لعمري لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى ممن أخذ.

قال المصنف: ولقد بلغنا ان بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله. فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تحتلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل لسلطاننا فان النبى ﷺ قال اليد العليا خير من اليد السفلى- واليد العليا من المعطية هكذا فسر العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال.

فصل

قال المصنف: ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الأموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعهم وسئل احمد بن حنبل عن السرى السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة إلى الغزو بنا فاكترينا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ماقد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فانه يعجب. ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قد مضى إلى الأمير فلان يهتته بخلعة وقد خلعت عليه وكان

ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ماكفاكم أن فتحتكم الدكان حتى تطوفون على رؤوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ من كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى سنهم ويهتثم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله انكم أضر على الإسلام من كل مضر .

فصل

قال المصنف: وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم يتقسمون فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المجيان يلبس الصوف صيفا وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار .

قال المصنف: وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبي ﷺ أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ كيتان .

ذكر تليس إبليس على الصوفية في لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم ان النبي ﷺ كان يرقع ثوبه وأنه قال لعائشة رضي الله عنها لا تخلعي ثوبا حتى ترقعيه وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في ثوبه رقاع وان اويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيخسلها في الفرات ثم يخطها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدها في القياس فان رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره . فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى .

فصل

قال المصنف: فأما صوفية رمانا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منهما على لون فيجعلوها خرقا ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب

وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها انه من الزهاد افتراهم يصيرون بصورة الرقاق كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أنتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك أتراهم ما علموا ان التصوف معنى لاصورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جددًا مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما، فقالوا، ليس هذا المصور عندنا، لكم أميراً ولا، فقالوا، لنا أمير غير هؤلاء، فقالوا هو أمير هؤلاء، قالوا، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا، فلو حاصرتونا ما تقدرن علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه وأعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رآه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال، فأين هذا عما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد.

فصل

قال المصنف: ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب وليوح بكمه حتى يرى لباسه. وهذا لص ليلى، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف. وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس . ولما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا . ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومنارقة الفقراء كبراً وتعظيماً . وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : يا بني إسرائيل : مالكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب ~~الفسواري~~ . لبسوا لباس الملوك والينوا قلوبكم بالخشية .

وأخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال . ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم .

أخبرنا محمدنا حمدنا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمد اللالي ثنا أبو حاتم ثنا هدية ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : انكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير . انكم في زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شباكهم .

أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى مهني الشامي ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه . فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم ، قال : ماشئت يا أبا يحيى : قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه .

أخبرنا المحدثان قالا نا حمد نا أحمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابي ثنا هشام بن علي السيرافي ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبي ثنا مالك بن دينار . قال : كان فتى يتفرى فكان يأتيه . فابتلى : فولى الجسر فيبينما هو يصلى إذ مرت سفينة فيها بط . فنادى بعض أعوانه : قرب لناخذ للعامل بطة : فأشار بيده سبحانه الله أي بطتين قال فكان أبي اذا حدث

بهذا الحديث بكى وأضحك المجلساء .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصنى فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . أخبرنا بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر احمد بن محمد الأردستاني ثنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبى يقول بلغنى ان رجلا قال للشبلى : قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والقوط فأنشأ يقول :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساؤها
قال المصنف: رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهرجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لاتخفى إلا على كل غبى فى الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر :

تشبهت حور الظباء بهم أن سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت بناطق ونافسر بآنس وذو خلا بذى شجن
مشبه أعرفه وإنمى مغالطا قلت لصحبي دار من

فصل

قال المصنف: وإنما أكره لبس القوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة . والثانى أنه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه . والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا أبو النصر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبى منيب الحرسى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من تسبه بقوم فهو منهم وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد ابن طاهر قال أخبرنى أبى . قال: لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا

محمد عبد الله بن احمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث- وكان من المتكرين على هذه الطائفة - فأخذت فى القراءة فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك. أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى فى طلبه. فقلت. أيها الشيخ وأى شئ أنكرت علىّ حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته، وان لم يكن له أصل فى الشريعة تركته فقال ماهذه الشواذك التى فى مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الإنكار لان هذه الشواذك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدلنا بذلك على أن لهذا أصلاً فى الشرع يجوز مثله.

قال المصنف: قلت لقد أصاب السكرى فى إنكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها. فأما الشواذك فتجمع شهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد. وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصالح ليجعلوها شواذك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية. وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبو عبد الله ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الحسين ابن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول: لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها يعنى بذلك - أصحاب المصبغات والقوط - أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط. قال سمعت الثورى يقول: كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه: وأخبرنى أبو الحسن الحظلى. قال نظر محمد بن محمد ابن على الكتانى إلى أصحاب المرقعات فقال: إخوانى ان كان لباسكم موافقاً لسرايركم لقد أحبيتكم أن يطلع الناس عليها، وان كانت مخالفة لسرايركم فقد هلكتم ورب الكعبة. أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا محمد بن الحسين

السلمى. قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه. لا يعجبك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما رينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن. وقال ابن عقيل. دخلت يوما الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوكة مرقعة بفوط. فقلت للحمامى. أرى سلخ الحية. فمن داخل. فذكر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشا للأموال.

فصل

قال المصنف: وفى الصوقية من يرفع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الأسدي أبادى نا أبو محمد عبد الله بن محمد المثيراى نا جعفر الخالدى ثنا بن نجاب أبو الحسين صاحب ابن الكرىنى قال أوصى لى ابن الكرىنى بمرقعة فوزنت فردة كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر وطلا، قال جعفر، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل.

فصل

وقد قرروا أن هذه المرقعة لاتلبس إلا من يد شيخ. وجعلوا لها إسناداً متصلاً كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد ان النبى ﷺ أتى بثياب فيها خميصة سوداء فقال من ترون أكسو هذه فسكت القوم: فقال رسول الله ﷺ اتنوني بأمر خالد، قالت فاتى بى فألبسنيها بيده. وقال. أبلى وأخلفى.

قال المصنف: وإنما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صبية. وكان أبوها خالد بن سعيد ابن العاص، وأمها همينة بنت خلف. قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة. وما كان من عادة رسول الله ﷺ إلباس الناس. ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم.

تم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرقة السود كما جاء فى حديث أم خالد، وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة. واحتج بحديث عبادة، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة.

فصل

وأما لبسهم المصبغات. فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهي أكثر شهرة. وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة. فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا على ابن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن حيثم عن سعيد بن خبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم، قال عبد الله، وحدثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال: ألبسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب. وكفنوا فيها موتاكم، قال الترمذى. هذان حديثان صحيحان، وفى الباب عن ابن عمر، قال، وهذا الذى يستحبه أهل العلم، وقال احمد بن حنبل واسحاق، أحب الثياب إلينا أن تكفن فيها البياض، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال، باب السنة فى لبسهم المصبغات، واحتج بأن النبى صلوات الله عليه وسلامه، لبس حلة حمراء، وانه دخل يوم الفتح، وعليه عمامة سوداء.

قال المصنف: قلت: ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز. وقد روى انه كان يعجبه الحبرة. وإنما المسنون الذى يأمر به ويدأوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر، فأما الفوط والرقع فانه

فصل

وأما النهى عن لباس الشهرة وكرهته . فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن ررقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدي ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمي ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن معمر الشامي ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر . عن النبي ﷺ انه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه . أخبرنا عبد الحق ابن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن علي التميمي قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبي شعيب الحراني ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم هن عبد الرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي ﷺ . أنه نهى عن الشهرتين فقليل يارسول الله وما الشهرتان ؟ قال : رقة الثياب وغلظها . وليها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخاري . قال . قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوبا مشهوراً أذله الله يوم القيامة .

قال المصنف . وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر ابن محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو اسحاق البرمكي نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر ابن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجرين أبي الحسن عن ابن عمر رضي الله عنه قال : من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب

ذلة. وعس ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه مادام عليه وإن كان كريماً.

قال المصنف: وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا. فان هذا ثوب شهرة. أخبرنا اسماعيل ابن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلثة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر. فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى. كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبدل، وقال معمر. عاتبت أيوب على طول قميصه. فقال. إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره.

فصل

قال المصنف: ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف. وبما روى فى فضيلة لبس الصوف، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب. وأما ما يروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شئ.، ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين: اما أن يكون متعوداً لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به. واما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين. أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه مالا تطيق ولا يجور له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد. وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة ثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأبهري ثنا روربه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن

سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد ابن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه . أنبأنا زاهر ابن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفي ثنا محمد بن عبيد الهمداني ثنا عباد ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمي ثنا أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن شوذب قال شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يافر يقديا ابن أم فريقد . ان البر ليس فى هذا الكساء وإنما البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل . أنبأنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد ابن محمد بن الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعى . قال : سمعت الحسن - وذكر عنده الذين يلبسون الصوف - فقال . ما لهم تعاقدوا ثلاثا أكنوا الكبر فى قلوبهم ، وأظهروا التواضع فى لباسهم . والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه . أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو على التميمي نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيى البزورى ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى قال حدثنا عبد المجيد يعنى ابن أبى رواد عن ابن طهمان يعنى ابراهيم عن أبى مالك الكوفى عن الحسن أنه جاء ممن يلبس الصوف وعليه جبه صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الأرض فجعل لا يروغ رأسه وكان الحسن خال فيه العجب . فقال الحسن ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف . ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من رى المنافقين . قالوا يا أبا سعيد وما رى المنافقين ؟ قال :

خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيل هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس. ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف. فإذا قال له القاتل. يا أبا فلان. ظهر منه ومن أو باشه الإنكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء مالا يعمله الديباج عند الأوباش. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبي الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجي وعليه ثوب صوف فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه. فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعني النخعي فيخرج علينا وعليه معصفرة. أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدي ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال. إياكم وأصحاب الأكسية. أخبرنا محمد ابن ناصر وعمر بن طفر قالنا نا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي ثنا أبو نصر احمد ابن محمد الساركي نا أبو الخير احمد بن حمد البزار ثنا محمد بن اسماعيل البخاري ثنا علي بن حجر ثنا صالح ابن عمر الواسطي عن أبي خالد قال. جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف. فقال له أبو العالية. إنما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تراوروا تحملوا. أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الاصبهاني ثنا ابو محمد ابن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا العيص بن اسحاق: قال سمعت الفضيل يقول. تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بشئ يعد شئ كل ذلك إنما هو لحب الدنيا. أنبأنا بن الحصين. قال نا أبو علي بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن علي قال ثنا الحسن بن علي بن شبيب قال ثنا احمد بن أبي الخواري قال قال أبو سليمان: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف. وشهوته في قلبه بخمسة دراهم. أما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه. ولو ستر ردهه بثوبين أبيضين من أبصار

الناس كان أسلم له قال احمد بن أبي الخوارى قال لى سليمان ابن أبى سليمان - وكان يعدل بأبيه . أى شئ أرادوا بلباس الصوف . قلت . التواضع . قال : لا يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف نا الحسن بن الحسن بين الحسين العالى نا ابوا سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبد الله بن احمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح ثنا بن عبدالمجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفيا فقال له الثورى هذا بدعة . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة . أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر احمد ابن الحسين البيهقى نا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت احمد بن شدداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً- أكره هذا أكره هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نى عبد الواحد ابن بكر ثنا على بن أبى عثمان بن زهير ثنا عثمان بن احمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارس يقول : دخل على الموصلى على المعافى - وعليه جبة صوف - فقال له : ماهذه الشهرة ياأبا الحسن . فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أيننا أشهر . فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس . أخبرنا اسماعيل بن أبى بكر المقرئ نا طاهر بن احمد نا على بن محمد ابن بشر نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبئية حمراء تدفع التراب فقال بديل : ماهذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذى عليك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق قال أخبرنا ابو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن احمد ثنا حبيب ابن الحسن ثنا الفضل بن احمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث - وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين

الكراهة في وجهه ثم قال: لبس الخنز والمعصفر أحب إلى من لبس الصوف في الأمصار. أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن علي الطناجيري نا احمد ابن منصور البرسري ثنا محمد بن مخلد ثنا احمد بن منصور ثنى يزيد السقا رفيق محمد ابن ادريس الانباري. قال رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء. من فعل هذا من العلماء، قال قد رآني بشر بن الحارث فلم ينكر عليّ. قال يزيد فذهبت إلى بشر. فقبلت له يا أبا نصر رأيت فلانا عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال: قدرأني ابو نصر فلم ينكر عليّ. قال فقال لى بشر- لم تستشرنى يا أبا خالد. لو قلت له. لقال لى لبس فلان، ولبس فلان. أخبرنا احمد بن منصور الهمداني نا ابو على احمد بن سعد بن على العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عبدالله ابن أحمد بن نصر القنطري ثنا ابراهيم بن محمد الإمام ثنا هشام بن خالد، قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لرجل لبس الصوف، إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف، فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهره قطنياً وباطنه صوفياً. أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد ابن على الخياط نا الحسن ابن الحسين بن حمکان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار يقول: سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادي يقول سمعت ابن سيرويه يقول: دخل أبو محمد ابن أخى معروف الكرخى على ابى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهى على القوهى. أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر ابن أحمد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال: حدثنا أبى ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبى الدنيا ثنا أحمد ابن سعيد قال: سمعت النضر بن شميل يقول: قلت لبعض الصوفية، تباع جبتك الصوف، فقال: إذا باع الصياد شبكته بأى شئ يصطاد.

قال أبو جعفر بن جرير الطبري: ولقد أخطأ من أثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.

فصل

قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون. ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه رأى حلة سيرة تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لاخلق له في الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجميل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال: كان المسلمون إذا تزاوروا تجمّلوا. أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي أبنانا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن ابراهيم الأسدي عن ابن عون عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً، وقد اشترى تميم الداري حلة بألف، ولكنه كان يصلى بها. قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد بن سيرين أن تميماً الداري اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته. قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت، أن تميماً الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر. وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميماً الداري اشترى رداء بألف فكان يصلى بأصحابه فيه.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً، وكان الحسن البصري يلبس الثياب الجياد، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمني فنظر إليه فرقد،

فقال : يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا، فقال الحسن : يا ابن أم
فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن
أنس يلبس الثياب العذنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشتري بنحو
الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب في
بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من
الأعلى. أخبرنا أحمد بن منصور الهمداني نا أبو على أحمد بن سعد
على العجلي ثنا أبو ثابت هجير بن منصور ابن على الصوفى إجازة نا أبو
محمد جعفر ابن محمد بن الحسين الصوفى ثنا ابن روزه ثنا أبو سليمان
محمد بن الحسين بن على بن إبراهيم الحراني ثنا محمد بن الحسن بن
قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم، قال : كان لباس إبراهيم بن
أدهم كتانا قطنا فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة. أخبرنا
محمد بن أبي القاسم نا حمد ابن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله
قال : سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى
على ذو النون خفاً أحمر. فقال انزع هذا يابنى فانه شهرة ما لبسه رسول
الله ﷺ. إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين. أخبرنا محمد
ابن ناصر نا محمد ابن على بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملى
نا على بن عمر الدارقطنى نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا
أبوسعيد عبد الله بن شبيب المدنى ثنى الزبير عن أبى عرنة الأنصارى عن
فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور : العرى
الفادم من خير الزى الفاضح.

فصل

قال المصنف : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار
الزهد، وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار
اللباس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه. أخبرنا محمد بن ناصر نا على بن
الحصين ابن أيوب نا أبو على بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا
أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشى ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا
هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه.

قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة، فقال: هل لك مال، قلت نعم قال من أى المال، قلت: من كل المال قد آتاني الله عز وجل من الأبل والخيل والرقيق والغنم، قال: فإذا آتاك الله عز وجل مالا فليسر عليك. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوراعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال: أتانا رسول الله ﷺ راثرا فى منزلى فرأى رجلا شعشأ، فقال: أما كان يجد هذا مايسكن به رأسه، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان يجد هذا مايفسل به ثيابه. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالوا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهري وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالوا نا أبو عمر محمد ابن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبى ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى، قال: مضى على بن أبى طالب إلى الربيع بن زياد يعوده. فقال له: ياأمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى، قال: ماشأنه، قال: ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله، وأحزن ولده، فقال: على عاصما، فلما حضر بش فى وجهة وقال: أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها، انت والله أهون على الله من ذلك. فوالله لايتذلك نعم الله بالفعال ! أحب إليه من ابتدالك بالمقال، فقال: يا أمير المؤمنين إننى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتتنفس الصعداء. ثم قال ويحك يا عاصم، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيع بالفقير فقره. قال أبو بكر الأنبارى: المعنى لئلا يزيد ويغلو، يقال - تبيع به الدم - إذا زاد وجاور الحد.

فصل

قال المصنف: فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس. وقد أمرنا بمعاهدتها. وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق. فالجواب: انه ليس كل ماتهواه النفس يذم ولاكل التزين للناس يكره. وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه. أو كان على وجه الرياء

فى باب الدينُ فان الإنسان يجب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره، وينظر فى المرأة، ويسوى عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل. وظهارته الحسنة إلى الخارج. وليس فى شئ من هذا مايكره ولا يذم. أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن محمد بن بشران نا أحمد ابن ابراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانئ عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريداهم، وفى الدار ركة فيها ماء. فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته، فقلت يارسول الله وأنت تفعل هذا! قال نعم. إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال، أخبرنا محمد ابن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله العزمى عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ فمر بركة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها. ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يارسول الله تفعل هذا؟ قال: وأى شئ فعلت؟ نظرت فى ظل الماء فهيأت من لحيتى ورأسى. إنه لا بأس أن يفعل الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيئ من نفسه.

قال المصنف رحمه الله: فان قيل، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطى أنه قال: لو احسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتى - وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه - لحشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار. فالجواب: أن هذا محمول منه على أنه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التَّخَشُّع وغيره. فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه مالا يستحسن فان ذلك غير مذموم. فمن اعتقده مذموما فما عرف الرياء ولا فهم المذموم. أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصارى نا على بن عبد الله بن محمد النيسابورى نا أبو الحسين

عبد الغافر ابن محمد الفارسي نا محمد بن عيسى بن عمرويه ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى ابن حماد قال . أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر في بطر الحق . وغمط بمعنى ازدري واحتقر .

فصل

وقال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة . أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو طاهر محمد بن احمد بن أبي الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال ابو عبد الله احمد بن عطاء ، كان أبو العباس ابن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديقي ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا في الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغي أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفي نقيض .

فصل

قال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من إذا لبس ثوباً خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر . أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرئ قال : سمعت عيسى بن على الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبي ، فقيل له الشبلى ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلى إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر اين في العلم فساد مايتفع به فقال له الشبلى اين في العلم «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم

قال له قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه ، قال فسكت ابن تهاجد فقال له أبى : قل ياأبا بكر فقال قوله تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فقال ابن مجاهد، كأننى ماسمعتهما قط .

قال المصنف رحمه الله: قلت، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لا يوثق به. أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب، قال : ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلافه، فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية. وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله «فطفق مسنحا بالنسوق والأعناق». لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل الفساد. والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية، فمنهم من قال: مسنح على أعناقها وسوقها، وقال: أتت فى سبيل الله، فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عقرها، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئا فيه جناح، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لايجوز ومن الجائز أن يكون فى شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون فى شرعنا. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبى الصقر ثنا على بن الحسن ابن جراحاف الدمشقى، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبى على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه، قال فكان يخرق الثوب المثلث فيرتدى بنصفه ويأتمر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوما وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه مايتأزرون به، فقطعه على عددهم فاتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى، قال ابن عطاء: قال لى أبو سعيد الكازرونى: كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين دينارا.

قال المصنف رحمه الله: ونظير هذا التفريط ماأنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجى. يقول: كانت لى قبجة طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة: عندك شئ لضيفى.

قالت . لا إلا الخبز . فذبحت القبجة وقدمتها اليهما .

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى . قال : سمعت جدى يقول : دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى . وكان يحتاج إلى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديبقيا فشقه نصفين وتلفف به . فقيل له : لو بعته واشتريت منه لفافا وأنفقت الباقي ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب .

قال المصنف: وقد كان أحمد الغزالى ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تأنّ قرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان . قال المصنف رحمه الله قلت : فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع دينارا صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم . ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ماسياتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولاخير فى حالة تنافى الشرع . أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بأرائهم ، فإن كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعباد . وإن كانوا لا يعرفوا فلعمري أنه لجهل شديد . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد ربه الحافظ . قال سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول : لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته . مزق ابنه أبو بكر قميصا كان عليه . ففتح أبو عثمان عينه . وقال يابنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب .

فصل

قال المصنف: وفى الصوفية من يسالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه . أنه سمع أبا سعيد: سئلى عن الارار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ازار

المسلم إلى انصاف الساقين . لاجنّاح أولاً حرج عليه ومايينه وبين الكعبين . وماتان أسفل من ذلك فهو النار . أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن بن سعيد الجوهري . قال : كتب إلى عبد الرزاق عن معمر قال كان في قميص أيوب بعض التذييل . ف قيل له . فقال الشهرة اليوم في التشمير . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هاني قال دخلت يوماً على أبي عبد الله احمد بن حنبل وعلى قميص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال . أي شيء هذا وأنكره . وقال . هذا بالمرة لا ينبغي .

فصل

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل مافيه شهرة فهو مكروه . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبي الحسين بن على الطناجيري نا احمد بن منصور البوسري ثنا محمد بن مخلد ثنا محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبري . قال بشر بن الحارث ، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم الجمعة وعليه قلنسوة، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كفه .

فصل

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً . وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغي خشية أو يتخذ سنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيسابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن اسماعيل ثنا جعفر عن أبيه . أن على بن الحسين قال . يا بني لو اتخذت ثوباً للغائط . رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم أتيته ، فقال : ما كان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الا ثوب فرفضه .

فصل

قال المصنف: وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً في الدنيا، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح واحسن. أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد ابن حياة نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثنى ابن أبى شيبة ثنا محمد ابن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله ﷺ فى يوم الجمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته، أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا احمد بن معروف الحساب نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد ابن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال محمد بن عمر وحدثني غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم

قال المصنف رحمه الله: قد بالغ إبليس فى تلبسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل الطعام وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد. فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم.

ذكر طرف مما فعله قداماؤهم

قال المصنف رحمه الله: كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته. وفيهم من يتناول كل يوم الشئ اليسير الذى لا يقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبد الله أنه كان فى بدايته يشتري بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة. وحكى عنه أبو حامد الطوسى. قال كان

سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى ثنى أبو عبد الله الحصرى قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول. أشرف على أبو تراب يوما وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم أكل شيئا ولم أشرب فيها ماء فقال ماجلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا انظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على ابن عبد الله العمري ثنا محمد بن فليح ثنى إبراهيم بن البنا البغدادي قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصا وملحا كان معى وقلت هلم فقال لى ملحك مدقوق. قلت نعم. قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه. أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز ابن على الارجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى ابن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبى الحواري. سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف. قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ أبا عبد الله الزبيرى وركب الساجى وابن أبى أوفى. ان سهل ابن عبد الله يقول. انا حجة الله على الخلق. فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزبيرى فقال له: بلغنا أنك قلت - أنا حجة الله على الخلق - فيماذا، أنبى أنت ؟ أصدىق انت؟ قال سهل: لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال. فتعالوا كلكم حتى نصبح الحل. قالو. فأنت، قد صححت. قال نعم، قال وكيف، قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء فأتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفس خفقت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء.

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو عبد الله ابن مفلح قال خبرنى أبى أخبرنى أبو عبد الله بن زيد قال لى: منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسى طعاما إلا فى وقت ما أحل الله لها الميتة. أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى

أبو الحسن علي بن محمد القوهي ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم ابن أخى أبي يزيد، قال. جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس فى مسجدك الذى أنت فيه، قال لا تطيق ذلك. فقال، ان رأيت ان توسع لى فى ذلك. فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان فى اليوم الثانى. قال له يا أستاذ: لا بد مما لا بد منه. فقال: يا غلام لا بد من الله. قال، يا أستاذ نريد القوت. قال، يا غلام القوت عندنا إطاعة الله. فقال، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل. فقال، يا غلام ان الأجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل.

أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ. قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الأدمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول. حدثنى أخ لى كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفى مديده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام. فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف. إلزم السوق. أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم القيروانى يقول سمعت بعض أصحابنا يقول. أقام أبو الحسن النصيبى بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله. فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ، من جنى منك هذه الجنابة فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنائتك ومع هذا الرق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل. فقال. ألم أقل لك كن مع جنائتك، فقال الرجل، أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى منى، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة .

أخبرنا عمر بن ظفرنا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجى نا أبو الحسن ابن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنورى قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً أفرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى على أيام لم يفتح على شيء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فطعمه فقصدته وقلت أريد أن احتجم فأرسل من يشتري لحماً وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت

نفسى تقول: ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة. ثم استيقظت وقلت. يا نفس إنما جئت تحتجمن لتطعمى عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً. فلما فرغ انصرفت فقال سبحانه الله أنت تعرف الشرط. فقلت. ثم عقد: فسكت. وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لى شيء أكله: فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشى على واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى. ثم قال تاكل شيئاً. قلت قرب الليل. فقال: أحسستم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدى وقال: كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تاكل شيئاً آخر قلت نعم قمضى وجاء بقصعة عدس ورغفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتى ومنت إلى الصباح ما صليت ولا طفت .

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصفهانى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول: اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمره بالكسب. أنبأنا عبد المنعم ثنا أبى قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا احمد الصغير يقول: أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات ربيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر إلى وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله ابن خفيف يقول: كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فاقتصدت فخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على فتحير الفصاد وقال. ما رأيت جسداً لأدم فيه إلا هذا .

فصل

قال المصنف: وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم اكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً. وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به على بن عبد الواحد الدينورى نا أبو

الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيع عن هشام عن أبيه عن عائشة. قالت قال رسول الله ﷺ: أحرموا أنفسكم طيب الطعام فأنما قوى الشيطان أن يجرى في العروق بها وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافى. وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار. ومنهم من كان يجعل ماءه في دن مدفون في الأرض فيصير حاراً. ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة. وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد ابن علي السهلکی قال: سمعت عبد الواحد بن بكر الورياني ثنى محمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامی قال سمعت أبي يقول قال سمعت عمی خادم أبي يزيد يقول: ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة. قال: وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة. وحكى أبو حامد الغزالي عن أبي يزيد انه قال: دعوت نفسى إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك .

فصل

قال المصنف: وقد رتب أبو طالب المكى للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال: استحب للمبريد ألا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة قال: ومن الناس من كان يعمل فى الأوقات فيقلها: وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك، قال، ومنهم من كان يعمل فى الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة، قال، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفى بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رفته، وفى رفته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه، فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة، ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان، والنظر فى الكتب، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملأ غما.

قال المصنف: وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية. يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة

اللذيذة، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم في مطاعهم يدل مذكورها على مغفلها .

فصل

في بيان تلبس إبليس عليهم في هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها
قال المصنف رحمه الله، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه
حمل على النفس مالا تطيق ثم إن الله عز وجل أكرم آدميين بالحنطة
وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن وأى
غذاء في التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو
حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً
أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .

قال المصنف رحمه الله: وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله
عبادة لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى
ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان تناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو
حلال ثم أى قرينة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة، وأما قول الحداد
وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فإنه جهل محض لأنه ليس بين العلم
واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم، وأين من العلم واليقين ترك
ما تحتاج إليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره
الشرع، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح، وهؤلاء قوم
شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سمو بالحمس
فجحدوا الأصل وشددوا فى الفرع، وقول الآخر، ملحك مدقوق لست
تفلح من أقبح الأشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لست تفلح
وأما سوق الشعير فإنه يورث القولنج وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف
قول مردول لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صرح عن
رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالרטب ، وكان يحب الحلوى
والعسل وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى وعقلى سبعة أجزاء
ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم
أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلى
وقت أن يباح لى أكل الميتة: فإنه فعل برأيه المردول، وحمل على النفس
مع وجود الحلال. وقول أبى يزيد: القوت عندنا لله. كلام ركيك فإن

البدن قد بُنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام . وأما التقييح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع فى الضعف فإنه فعل مالا يحل له ، وقول إبراهيم له أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لا يجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار .

قال المصنف رحمه الله : قلت ، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عاليا محمد ابن عبد الباقي نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا احمد بن محمد الأسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال ، من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار .

قال المصنف رحمه الله : وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيرادا مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع ، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قوله معظم فكيف بفعل جاهل مبرس ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسئ الخلق وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوماً فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال ، لم أر لكم برمة تفور ، وكان الحسن البصرى يشتري كل يوم لحماً ، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمررة الصفراء والمررة السوداء فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع

إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى يردها ثم يؤثر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل، ومعلوم أن البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ولقد عجبت لأبي حامد الغزالي إلى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغي للمريد إذا تأقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويجمع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح في الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغي أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى. أو ليس في الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة. أو ليس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان. أو ما أكل عند أبي الهيثم ابن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً أو ما كان الثوري يأكل اللحم والعنب والفاوذج ثم يقوم فيصلى أو ما تعلق الفرس الشعير والتبن والقت. وتطعم الناقة الخبط والحمض. وهل البدن الاناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم. ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر في كسبها وربما تناولها من غير وجهها. وهذا طريق السلف في ترك فضول الشهوات. والحديث الذي احتجوا به أحرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يداً بزيغ الراوى وأما إذا اقتصر الإنسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الحوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل.

قال المصنف رحمه الله: وهذا يورث القولنج الشديد. واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في المطعم أدب الشارع عليه السلام. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حنبل نا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى. قال. سمعت المقدام بن معدى كرب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه. فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه.

قال المصنف رحمه الله: قلت. فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً في مصلحتها. ولو سمع أبقرط هذه القسمة في قوله. ثلث وثلث وثلث. لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان في المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليل لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام.

فصل

قال المصنف رحمه الله: واعلم أن الصوفية إنما يأمرن بالتقلل شبانهم ومبتدئهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع. وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك وجود هضمة ويكثر تحمل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت. فإذا صابر الشاب الجوع وتثبت في أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة في البدن فتغذيه بالاختلاط فيفسد الدهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وذكر العلماء التقليل الذى يضعف البدن. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز ابن على الأزجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل. قال. له

عقبة بن مكرم. هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم. فقال ما يعجبني سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض. قال الخلال. وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح. قال قلت لعبد الرحمن بن مهدي. يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية. فقال. لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون. وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة. ثم قال. خرج سفيان الثوري في سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالودج وكان فيها حمل. قال الخلال. وأخبرني المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل. وقال له رجل: اني منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس. وربما وجدت وسوسة أفكر فى الله عز وجل فقال لعلك كنت تدمن الصوم. افطر وكل دسما وجالس القصاص.

قال المصنف رحمه الله: وفي هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع في معدته أخلاط فجأة فتغذى المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شيء تهضمه. فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تهضم شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء. وذلك الغذاء الرديء يخرج إلى الوسواس والجنون وسوء الأخلاق. وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أرباً المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط. ويتفق لهم تعود التقلل بالتدرج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً. ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة. وإنما السبب ما عرفتكم وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثني أبى قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها. فقالت: كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال. قال كبرت رالت عنى. فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا. قال سمعت أبا على الدقاق يقول ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة.

وقال المصنف: فان قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة. وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعاً لا يأكل وإن ابراهيم التميمي بقى شهرين. قلنا. قد يجرى للانسان من هذا الفن فى بعض الأوقات غير انه لا يدوم عليه. ولا يقصد

الترقى اليه . وقد كان فى السلف من يجوع عوراً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن . وإذا ضعف البدن قلت العبادة . فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع بالراكب . وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائى ثنا جدى الحسين بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : انه اشترى ريداً وعسلاً وخبزاً حوارى . فقليل له : هذا كله تأكله فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

فصل

قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى : فقد تخيره رسول الله ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح ابن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ : أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال ان كان عندكم ماء بات فى شن وإلا كرعنا ، اخرجته البخارى ، وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدي ثنا الحسين ابن اسماعيل المحاملى ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا .

قال المصنف : وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوى الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة واذا كان الماء حاراً أقسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى إلى الاستسقاء والدق فان سخن بالشمس خيف منه البرص ، وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالى إذا أكل

الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت وإذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهدت نفسه الافلات من الدنيا بالموت .

قال المصنف رحمه الله: واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ورضى منا بالافطار فى السفر رفقا بها وقال: ﴿يُرِيدُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ أو ليست مطيتنا التى عليها وصولنا .

وكيف لا ناوى لها وهى التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجاهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم، ولا يحل للإنسان أن يؤذى نفسه، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى، ولا فى الثلج فى الشتاء. والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فاذا منعها أغذية آدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ. وكذلك منعه إياها النوم، قال ابن عقيل، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفائها من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام. وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الاموال لم يطلق لأربابها الا على وجه مخصوصة .

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد رويانا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً. وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبناً فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله، وكل ذلك من الرفق بالنفس. وأما ما رتبته أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها. وإنما يمدح الجوع اذا كان بمقدار. وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد. وما وجه صيام شهرين مستتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى. وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له « من أخلص لله أربعين صباحاً لم يجب الإخلاص أبداً » فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك فالإخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة،

ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا أبي قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب . لأن الناس أما أصحاب نقل وأثر وأما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذي للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغي لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينأى إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج .

قال المصنف رحمه الله : قلت : من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فإن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكا ن ثنا عباد بن يزيد العطار . وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البرورجردي ثنا عمير بن مرداس قال حدثنا محمد بن بكير الخضرى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم العمرى عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب . قال : جاء عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك يا عثمان . قال . تحدثنى نفسى بأن أختصى . فقال : مهلاً يا عثمان فان خصى أمتى الصيام قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال قال مهلاً يا عثمان ، فان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أسبيح فى الأرض ، قال مهلاً يا عثمان ، فان سياحة أمتى الغزو فى سبيلى الله والحج والعمرة ، قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله قال : مهلاً يا عثمان فان صدقتك يوماً ويوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك ، قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة

أمرأني، قال. مهلاً يا عثمان فإن هجرة أمتي من هجر ما حرم الله عليه، أو هاجر إليّ في حياتي، أو زار قبري بعد موتي، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثنى أن لا أغشاها، قال. مهلاً يا عثمان فإن الرجل المسلم إذا غشى أهله فإن لم يكن من وقته تلك ولد كان له وصيف في الجنة فإن كان من وقته تلك ولد فإن مات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة. قال. يا رسول الله فإن نفسي تحدثنى أن لا أكل اللحم، قال: مهلاً يا عثمان فاني أحب اللحم وأكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمني إياه كل يوم لأطعمني، قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثنى أن لا أمس طيباً، قال: مهلاً يا عثمان فإن جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبي بردة، قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأيتها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك فما في قريش رجل أغنى من بعلك، قالت: ما لنامنه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقبه فقال: يا عثمان أمالك بي أسوة، فقال بأبي وأمي أنت وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل. قال: إني لأفعل. قال: لا تفعل. إن لعينك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فصل ونم وصم وافطر. قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمي عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فاتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال: يا عثمان: إن الله عز وجل لم يبعثنى بالرهبانية مرتين أو ثلاثة. وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال

قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالي قال: أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي. فمكثت حولاً ثم أتيتته وقد ضممت ونحل جسمي فخفض في البصر ثم صعدته، قلت: أما تعرفني، قال ومن أنت، قلت: أنا كهمس الهلالي، قال: فما بلغ بك ما أرى، قلت: ما أفطرت بعدك نهراً، ولا نمت ليلاً. قال: ومن امرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوماً، قلت: زدني قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين، قلت: زدني قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد ابن عبد الملك ابن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا أبو حازم عمر ابن أحمد العبدوري نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ثنا حميد ابن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به ﷺ أن ناساً من أصحابه احتماوا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً، وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت. ثم قال: إني لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الخفيفة السمحة

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده في مأكله ومشربه وقال بكر ابن عبد الله: من أعطى خيراً فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمي بغيف الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وهذا الذي نهينا عنه من التقليل الزائد في الحد، قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همته في المأكول كما كانت همة متقدميهم في الجوع. لهم الغداء والعشاء والحلوى، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدنيا، وأعرضوا عن التعبد وافتروشوا فراش البطالة فلاهمة لأكثرهم إلا الأكل واللعب. فان أحسن محسن منهم قالوا: طرح شكرياً. وإن أساء مسيء. قالوا: استغفر، ويسمون ما يلزمه إياه واجباً. وتسمية ما لم يسمه الشرع واجباً جنائياً عليه. أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن

ثابت نا محمد بن أحمد بن عبد الله محمد الحافظ النيسابوري ثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادي، قال: قام أبو مرحوم القاضي بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة في الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال اجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب. فقال: اجلس فقد. فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه: قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فاكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسي وخمس مكايك أرز، وخمسة أمان سمن، وعشرة أمان سكر، وخمسة أمان صنوبر، وخمسة أمان فستق، فجاء بها كلها، فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها، قال: أخرجوها فيها أنهارها قال فأتى بذلك الشمس فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخواني كيف أصبحت الدنيا، قالوا مشرق لونها، مبيضة شمسها، مجرة فيها أنهارها فقال يا إخواني إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا، قالوا: مشرق لونها، مبيض شمسها، مجرى فيها أنهارها، وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، قال: يا إخواني ارموا الدنيا بحجارتها قال: فأتى بذلك السكر فألقى فيها، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال: يا إخواني. كيف أصبحت الدنيا. قالوا: مشرق لونها مبيضه شمسها وقد أجزيت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، فقال يا إخواني: مالنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها، قال: فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبي حاتم الرازي فقال إمله على فأملته عليه فقال: هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل ثم اختار من الطعام قربا ملاكميه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالأجماع ولقد رأيت شيئا منهم قد أخذ شيئا من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين، أحدهما: أنه يلهى القلب عن التفكير فى عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته، والثانى: أنه يميله إلى اللذات العاجلة التى تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فيبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث: الغناء رقية الزنا وقد ذكر أبو جعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاحى رجل من ولد قابيل يُقال له ثوبال. اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزمار والطبول والعيود فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمر .^١

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو إلى التذاده بغيره خصوصاً ما يناسبه ولما يشى إبليس أن يسمع من المعتبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فلججه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدرج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فإن النظر إلى الأمر مباح إن أمن ثوران الشهوة فإن لم يؤمن لم يجز. وتقيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع هناك فى الأغلب فإن وجد شهوة حرم ذلك، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فإن خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبغى أن ينظر فى ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات فإن أقوماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة ورزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفى معنى هؤلاء الغزاة: فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو. وفى معنى هذا إنشاد البارزين للقتال للأشعار تصاخراً عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلها وقالوا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والأدمى. إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال. وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر ابن المسلمة نا المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى إبراهيم ابن المنذر ثنا أبو البحتري وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم: أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حاديننا نام فسمعنا حاديكم فملت اليكم. فهل تدون انى كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يا يدها يا يدها فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتقت الحداء.

قال المصنف رحمه الله: وقد كان لرسول الله ﷺ حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنت الابل. فقال رسول الله ﷺ يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر ابن الأكوع. ألا تسمعنا من هنياتك وكان عامر رجلاً شاعراً أفترل يحدو بالقول يقول.

لا هم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فالقين سـكينة علينا وثبت الاقدام إذ لا قينا

قال رسول الله ﷺ. من هذا السائق: قالوا. عامر بن الأكوع فقال يرحمه الله .

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به .

قال المصنف رحمه الله: ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم.

طـلـع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشـكر علينا ما دعا لله داعى

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة. وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده. ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد

ابن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبى ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثنا الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها. أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه - فانتهرهما أبو بكر - فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه. وقال. دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد. أخرجاه فى الصحيحين.

قال المصنف رحمه الله: والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب اليها الجوارى فيلعبن معها. وقد أخبرنا محمد بن ناصر أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكى أنبأنا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد ابن جعفر بن محمد حدثهم: قال. قلت لأبى عبد الله احمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغني - أى شىء هذا الغناء. قال. غناء الركب: أتيناكم أتيناكم. قال الخلال وحدثنا احمد بن فرج الحمصى ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن نهيه عن عائشة رضى الله عنها. قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها. فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الأنصار اتاس فيهم غزل: فما قلت: قالت دعونا بالبركة: قال: أفلا قلت:

أتيناكم	أتيناكم
ولولا الذهب الأحمر	فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمر	ر ما حلت بواديكم
	لم تسمن عذارىكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلى عن أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها: أهديتم الجارية إلى بيتها. قالت نعم. قال: فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول:

أتيناكم	أتيناكم
فإن الأنصار قوم فيهم غزل	فحيونا نحييكم

قال المصنف رحمه الله: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس بما

يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم. ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونهم الزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا فى غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار احمد بن حنبل فى الاباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالى ثنا الفضل بن الفضل الكندى قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلفانى يقول لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شئ تقول فيها فقال: مثل أى شئ قلت يقولون:

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصمى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتىنى
فقال: أعد على، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب - فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصمى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتىنى
ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح، يثيرون بها الأحزان والبكاء فينها عنها لما فى ضمنها.

فأما الأشعار التى ينشدها المغنون المتهيثون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر:

ذهبى اللون نحسب من وجنتيه النار تقتلح
خوفونى من فضيحتة ليته وافى وأفضح

وقد أخرجوا لهذه الأغاني ألحانا مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال، وتثير حب الهوى، ولهم شئ يسمونه البسيط يزعج القلوب

عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجمع القلوب. وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيبي والإقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلجل، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقبل أن نتكلم في إباحته. أو تحريمه، أو كراهته: نقول. ينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه. ويحذر تلبس إبليس في إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التي يطلق عليها اسم الغناء. فلا يحمل الكل محملاً واحداً. فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان. فنبدأ بالكلام في النصيحة للنفس والاخوان فنقول.

معلوم أن طباع آدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فإذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لاتزعجه ولا تؤثر عنده ولا تنصره في دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع- فإن ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال، فإن تعلل فقال. إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعة في دمع العينين، ورقة الأنف ونقاء البياض، قلنا له في أنواع المباحات ما يكفي في العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة. فإن ميل الطبع شاغل عن ذلك، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندي ولا يلفت قلبي إلى حب الدنيا الموصوفه فيه - فإننا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم إن كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائباً عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وإن كانت قد طالت غيبته في سفر الخوف، وأقبح القبيح البهرجة، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى. ثم إن كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغي أن لا نبينه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الإطلاق للشباب المبتدى. والصبي الجاهل. حتى قال أبو حامد الغزالي. ان التشبيب بوصف الخدود. والأصدغ، وحسن القد، والقامة. وسائر أوصاف النساء الصحيح انه لا يحرم.

قال المصنف رحمه الله: فأما من قال اني لا أسمع الغناء للدنيا. وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطئ من وجهين. أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال اني أنظر إلى هذه المرأة

المستحسنة لاتفكر فى الصنعة- والثانى انه يقل فيه وجود شئ يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه انه يعشق. ويقع الهيمان به. وإنما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء.

فصل

أما مذهب أحمد رحمه الله: فانه كان الغناء فى زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه. فروى عنه ابنه عبد الله انه قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب، لا يعجبني. وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفى: أنه سئل عن استماع القصائد فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون. وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغيير بدعة، فقل له: أنه يرقق القلب. فقال هو بدعة. وروى عنه يعقوب الهاشمى: التغيير بدعة محدث. وروى عنه يعقوب ابن غياث أكره التغيير وأنه نهى عن استماعه.

قال المصنف: فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغنائى، قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له إنهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها قال المروزي. سألت أبا عبد الله عن القصائد. فقال بدعة. فقلت له: إنهم يهجرون. فقال لا يبلغ هذا كله.

قال المصنف: وقد روي أن أحمد سمع قولا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه. فقال له صالح يا أبت أليس كنت تنكر هذا. فقال. إنما قيل لى أنهم يستعملون المنكر فكرهته، فأما هذا فأنى لا أكرهه: قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحه اغناء. وإنما أشار إلى ما كان فى زمانهما من القصائد الزهديات. وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد. ويدل على ما قلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية. فاحتاج الصبى إلى بيعها. فقال لا تباع على أنها مغنية فقل له أنها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة.

قال المصنف: وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لاتغنى بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق، وهذا دليل على أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على التيسيم. وصار هذا كقول أبى طلحة للنبي ﷺ. عندى خمر لأيتام.

فقال أرقها فلو جار استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه قال . كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح . فبان من هذه الجملة أن الروایتين عن أحمد في الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملسحة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات .

﴿فصل﴾ قال المصنف: وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكي نا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد ابن محمد الديلمي نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السري ابن عثمان التمار قالنا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع قال: سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال: إنما يفعله أفساق . أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري قال: أنبأنا أبو الطيب الطبري قال: أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال إذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده فإنه قد حكى زكريا الساجي أنه كان لا يرى به بأساً .

فصل

وأما مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه . أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب الطبري . قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب قال: وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة: إبراهيم، والشعبي وحمام، وسفيان الثوري . وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك . قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأساً .

فصل

وأما مذهب الشافعي رحمه الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهاني ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جواد ثنا الحسن

ابن عبد العزيز الحروى قال سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول خلفت بالعرق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يشغلون به الناس عن القرآن.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر أبو منصور الأزهري - المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله عز وجل تغييراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى. وقال. الزجاج سموا مغيرين لتزهيدهم الناس فى الفانى من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة. وحدثنا هبة الله بن احمد الحريرى عن أبى الطيب طاهر ابن عبد الله الطبرى قال قال الشافعى الغناء لهو مكروه يشبه الباطل. ومن استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته. قال: وكان الشافعى يكره التعيير. قال الطبرى فقد أجمع علماء الأمصار كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبرى وقد قال رسول الله ﷺ. عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار. وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

قال المصنف قلت: وقد كان رؤساء أصحاب الشافعى رضى الله عنهم ينكرون السماع. وأما قدماءهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانكار. منهم أبو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أبنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطى عنه. قال لا يجرز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب. قال ومن أضاف إلى الشافعى هذ فقد كذب عليه. وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء. على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته.

قال المصنف رحمه الله قلت: فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه. وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادته المغنى والرقاص والله الموفق

فصل

فى ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما

قال المصنف. وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى. فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات. الآية الأولى قوله عز وجل ﴿ومن

الناس من يشتري لهو الحديث» أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالنا نا أبو محمد الصريفي نأ أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال هو والله الغناء أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالنا نا طراد بن محمد نا ابى بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال هو الغناء وأشباهه . أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى ابن علي المدبر قالنا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوي ثنا هذبه ثنا حماد بن سلمة بن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكي نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق نا أبو بكر المروزي ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعي .

الآية الثانية قوله عز وجل ﴿وأنتم سامدون﴾ أخبرنا عبد الله بن على نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا عبيد الله ابن عمر ثنا يحيى بن سعد عن سفیان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وأنتم سامدون﴾ قال : هو الغناء بالخميرية سمد لنا - غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن : سمد فلان إذا غنى .

الآية الثالثة قوله عز وجل : ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك﴾ . أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بNDAR نا عمر بن إبراهيم الزهرى نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمي عن سفیان الثوري عن ليث عن مجاهد : ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ . قال هو الغناء والمزامير .

أما السنة . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن

سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه. أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق. وهو يقول يانافع أسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا.

قال المصنف رحمه الله: إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم. أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبيد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبى نا إسماعيل بن سعيد ابن سويد نا أبو بكر بن الأنبارى نا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار نا ابن ابى مريم نا يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن عمر عن على ابن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن. وقال ثمنهن حرام. وقرأ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين».

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا أبو منصور محمد بن محمد المقرئ نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الجهمى نا منصور ابن أبى الأسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة. قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء. وقال ثمنهن حرام. وقال فى هذا أو نحوه. أو وقال شبهه نزلت على «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» وقال مامن رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتد فانه أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما فى صدره حتى يكون هو الذى يسكت، وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ثم قرأ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث». وروى عبد الرحمن ابن عوف عن النبى ﷺ أنه قال: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة.

أخبرنا ظفر بن على نا أبو على الحسن بن أحمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب ابن الحسن بن على بن الوليد نا محمد بن كليب نا

خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن بن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهي عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحققين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنه شيطان.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد بن سويد الطحان ثنا عاصم بن علي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير ابن نفير عن مالك بن نعام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه . أن النبي ﷺ قال . بعثت بهدم المزارم والطلل.

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعي ثنا عبد الله ابن محمد ابن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي . قال قال رسول الله ﷺ . بعثت بكسر المزامير أخبرنا أبو الفتح الكروجي نا أبو عامر الأزدی وأبو بكر العروجي قالنا نا الجراحى ثنا المحبوبي ثنا الترمذی ثنا صالح ابن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعارف قال الترمذی وحدثنا علي بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفسئ دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرمأ ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعارف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع . وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال . يكون في أمتي حسف وقذف ومسح . قيل يا رسول الله متى . قال . إذا ظهرت

المعارف والقينات واستحلت الخمر. أبتأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسد ابادى نا أبو منصور القومى نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجاني ثنا عبد الرارق أخبرنى يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولاً يقول أنه سمع يزيد بن عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أمية قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو بن قره فقال يا رسول الله: أن الله عز وجل قد كتب على الشفوة فما أرانى أرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء فى غير فاحشة. فقال له رسول الله ﷺ لا آذن لك ولاكرامة ولانعمة عين. كذبت ياعدو الله لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله. ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت. قم عنى وتب إلى الله عز وجل. أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضرباً وجيعاً. وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلِكَ. وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة. فقام عمرو وبه من الشر والخزى ما لا يعلمه إلا الله عز وجل. فلما ولى قال رسول الله ﷺ « هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشرة الله عز وجل عريان لا يستتر بهدمة كلما قام صرع ».

وأما الآثار فقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينب الماء البقل وقال. اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان. وقال: تغنه فان لم يحسن. قال له: تمته.

ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى. قال ألا لا سمع الله لكم. ومر بجارية صغيرة تغنى فقال: لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه. وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك. قال: أحرام هو؟ قال: انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل ففى أيهما يجعل الغناء. وعن الشعبي. قال: لعن المغنى والمغنى له. أخبرنا عبد الله بن على المقرئ ومحمد بن ناصر قال نا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا الحسين بن عبد الرحمن ثنا عبد الله بن الوهاب قال أخبرنى أبو حفص عمر بن عبيد الله الأرموى. قال. كتب عمر بن عبد العزيز الى

مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن عز وجل. فانه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعارف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب. ولعمري لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه. وقال فضيل بن عياض. الغناء رقية الزنا. وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب. وقال يزيد بن الوليد يابنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعل السكر. فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء، فان الغناء داعية الزنا.

قال المصنف رحمه الله قلت: وكم قد فتن الأصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بدم الهوى. أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت ابن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن ابن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه. قال: كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له. فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه: فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذ استمدتها بيده، وأشار اليها فاذا هى ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر. فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت. فاذا صوت رجل يغنى فأنصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر. ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً. فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهي فافاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل. فقال: هل بقى أحد يسمع منه. فقام رجل من القوم فقال. ياأمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان، قال. وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحية التى كان الغناء منها. فقال سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له، ما إسمك؟ قال، سمير، فسأله عن الغناء. كيف هو فيه فقال: حاذق محكم. قال ومتى عهدك به. قال. فى ليلتى هذه الماضية. قال. وفى أى نواحى العسكر كنت فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت. قال. فما غنيت فذكر الشعر الذى سمعه

سليمان. فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقة وهب التيس فشكرت الشاه. وهذل الحمام فزافت الحمامة. وغنى الرجل فطربت المرأة. ثم أمر به فخصى. وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون. قالوا: بالمدينة وهو فى المختشين وهم الخذاق به والائمة فيه فكتب الى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أخصى من قبلك من المختشين المغنين.

قال المصنف رحمه الله: وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل. وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه فى حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه. إلى غير ذلك مما فعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الحسر فى تغطية العقل. فينبغى أن يقع المنع منه. أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز ابن على الأزجى نا ابن جهضم نا يحيى ابن المؤمل نا أبو بكر السفاف نا أبو سعيد الخزاز. قال ذكر عند محمد ابن منصور أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لأفادهم فى سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقى. أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العبادى. قال قال أبو عبد الله بن بطة العكبرى. سألتى سائل عن استماع الغناء فنهيتة عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدیعة يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة. يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء. يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبههم لربهم وشوقهم اليه تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيراً.

فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء

فمنها حديث عائشة رضى الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدقين وفى بعض الفاظه دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جواری الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعث. فقال أبو بكر: أمزور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله: دعهما يا أبا بكر

إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا. وقد سبق ذكر الحديث: ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار. فقال النبي ﷺ يا عائشة ما كان معهم من اللهو. فإن الأنصار يعجبهم اللهو - وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال: الله أشد اذنأ إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته. قال ابن طاهر: وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ. أنه قال: ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن ومنها حديث حاطب عن النبي ﷺ أنه قال: فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف.

والجواب. أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبيننا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت في الانشاد وترجييع ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع في الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة في زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ما هذا الامغالطة للفهم أو ليس قد صحح في الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت. لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد، وإنما ينبغى للمفتى أن يزن الأحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الأنصار يوم بعثت من غناء أمر د مستحسن بالآلات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزاة والخال والخد والقدر والاعتدال فهل يشب هناك طبع هيهات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعى أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الإشارة من ذلك إلى الخسالى فقد استعمل في حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر. فأخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال. هذا الحديث حججتنا لأن أبا بكر سمي ذلك مزموور الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبى بكر قوله وإنما منعه من التغليظ في الإنكار لحسن رفعة لاسيما في يوم العيد. وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة في ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء. وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء

ويمع من سماعه وقد أخذ العلم عنها.

قال المصنف رحمه الله: وأما اللهو المذكور فى الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره. وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً. فإن الإنسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالأصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالاً أو حراماً لا يمنع من التشبيه. وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزّه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لا ننشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد. فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة. وإن افترقا فى الطهارة والنجاسة. واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح فقه الصوفية لا علم الفقهاء. وأما قوله له يتغنى بالقرآن فقد فسر سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسره الشافعى فقال. معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا. وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا - فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصرى يقول ليس الدف من سنة المرسلين فى شئ. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله ﷺ. وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر فى الناس.

قال المصنف رحمه الله قلت: ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل. أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبى اسحق عن عامر بن سعد البجلي قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بديراً فوجدته فى عرس له قال وإذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا أن رسول الله ﷺ رخص لنا فى هذا أخبرنا عبد الله بن على نا جدى أبو منصور محمد ابن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران

ثنا أبو علي أحمد ابن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعنى الدف .

قال المصنف رحمه الله: وكل ما احتجوا به لايجوز أن يستدل به على جوار هذا الغناء المعروف المؤثر فى الطباع، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فانه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه أنه استلقى يوما فترنم فانظر الى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب. وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيعثر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشئ فمنها أنه قال فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه. فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه. قال، استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافيه، وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل. قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما. فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ.

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما عجبه كيف يحتج على جوار الغناء بانشاد الشعر ومماثلة الاكمثل من قال. يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال. يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى بومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام، وقد نسى أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء. وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه، قال أخبرنا أبو محمد التميمي قال، سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال. ما أدري ما أقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون

شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة. فقال: أبو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة بسنة. ومعهم أبو عبد الله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقليل له قل شيئا فقال: وهم يسمعون.

خطت أنا ملها في بطن قرطاس

رسالة بعبير لا بأنفساس

أن زر فديتك قف لي غير محتشم

فان حبك لي قد شاع في الناس

فكان قولي لمن أدى رسالتها

قف لي لأمشي على العينين والرأس

قال أبو علي فبعد ما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا أباحة.

قال المصنف رحمه الله: وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الآيات على انه أنشدها لا أنه غنى بها بقضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغي أن يفتي بالإباحة وان كان ينظر في الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتي بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر في كتابه: باب إكرامهم للقول وإفرادهم الموضع له - واحتج بأن النبي ﷺ رمى برودة كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد. وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضع بمثل هذا التخليط. وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجي ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرئ ثنا أبي ثنا علي ابن أحمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني

ابراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزني قال مررنا مع الشافعي وابراهيم بن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم .

خليلي مابال المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص فقال الشافعي . ميلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعي لابراهيم : أيطربك هذا . قال لا . قال . فما لك حس .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله . ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري . قال : أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا . لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافعي . وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته . ثم غلظ القول فيه فقال وهو يديته .

قال المصنف رحمه الله : وإنما جعل صاحبها سفيها فاسقا لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيها فاسقا .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادى عن أبي محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمى . قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكي فى كتابه قال أدركنا مروان القاضى وله جوار يسمعون التلحين قد أعدهن للصوفية . قال : وكانت لعطاء جارتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقي فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وإن صحت الحكاية عن مروان فهو فاسق والسدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى . وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال : أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقي قالا أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابورى . قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفى فى دار أبي بكر الأبريسى للسمع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات .

قال المصنف : قلت . وهذا أقبح شئ من مثل الحاكم كيف خفى عليه

أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافى عدالته .

قال المصنف رحمه الله: فان قيل ماتقول فيما أخبركم به اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبد الله يقصُّ فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب. قال المغيرة. فأرسلت اليه أو أردت أن ارسل اليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحق. وان صنيعك هذا صنيع أحق. فالجواب أنا لا يظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفردا وهى ملكه. فقال له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن: وقد ذكر أبو طالب المكى أن عبد الله بن جعفر - كان يسمع الغناء.

قال المصنف رحمه الله: وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعى وقد ذكرناها آنفا بحكاية عن احمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن احمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول سمعت صالح بن احمد بن حنبل يقول: كنت أحب السماع وكان أبى احمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى إلى أن علمت أن أبى قد نام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتخطر على السطح كأنه يرقص.

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففى بعض الطرق عن صالح قال. كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجئ ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت نا احمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله بن احمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانى عن التغنى فكنت إذا كان ابن الخبازة عندى

أَكْتَمَهُ عَنْ أَبِي لَثْلَا يَسْمَعُ فَكَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدِي وَكَانَ يَغْنَى فَعَرَضْتُ لِأَبِي عِنْدَنَا حَاجَةً وَكُنَّا فِي رِقَاقٍ فَجَاءَ فَسَمِعَهُ يَغْنَى فَتَسْمَعُ فَوْقَ فِى سَمْعِهِ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ فَخَرَجْتُ لِأَنْظُرَ فَلِإِذَا بِأَبِي ذَاهِبًا وَجَائِيَا فَرَدَدْتُ الْبَابَ فَدَخَلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ . قَالَ لِي : يَا بَنِي إِذَا كَانَ هَذَا : نَعَمْ . الْكَلَامُ أَوْ مَعْنَاهُ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا ابْنُ الْخُبَّارَةِ كَانَ يَنْشُدُ الْقَصَائِدَ الزَّهْدِيَّاتِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْآخِرَةَ . وَلِلَّذَلِكَ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ ، وَقَوْلُ مِنْ قَالَ يَنْزَعُجُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَزْعُجُهُ الطَّرْبُ فِيمِمْيلَ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَأَمَّا رَوَايَةُ ابْنِ طَاهِرٍ الَّتِي فِيهَا فَرَأَيْتُهُ وَذِيلُهُ تَحْتَ أَبْطُهُ يَتَسَبَّخْتُ عَلَى السَّطْحِ كَأَنَّهُ يَرْقُصُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَغْيِيرِ الرِّوَاةِ وَتَغْيِيرِهِمْ لَا يَظُنُّونَهُ الْمَعْنَى تَصَحِيحًا لِمَذْهَبِهِمْ فِي الرِّقْصِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا الْقَدَحَ فِي السَّلْمَى وَفِي ابْنِ طَاهِرٍ الرَّائِيْنَ لَهُذِهِ اللَّفْظَاتِ . وَقَدْ احْتَجَّ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ عَلَى جَوَازِ السَّمَاعِ بِمَنَامَاتٍ وَقَسَمَ السَّمَاعَ إِلَى أَنْوَاعٍ وَهُوَ تَقْسِيمُ صَوْفِي لِأَصْلِهِ لَهُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مِنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَسْمَعُ الْغَنَاءَ وَلَا يُؤْثِرُ عِنْدَهُ تَحْرِيكَ النَّفْسِ إِلَى الْهَوَى فَهُوَ كَاذِبٌ . وَقَدْ أَخْبَرْنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَرِيرِيُّ عَنْ أَبِي طَالِبٍ الطَّبْرِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُهُمْ . إِنَّا لَا نَسْمَعُ الْغَنَاءَ بِالطَّبِيعِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ : قَالَ وَهَذَا تَجَاهُلٌ مِنْ عَظِيمِ الْأُمُورِ . أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَلْزِمُهُ عَلَى هَذَا أَنْ يَسْتَبِيحَ الْعُودَ وَالطَّنْبُورَ وَسَائِرَ الْمَلَاهِي لِأَنَّهُ يَسْمَعُهُ بِالطَّبِيعِ الَّذِي لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَبِيحْ ذَلِكَ فَقَدْ نَقَضَ قَوْلَهُ وَإِنْ اسْتَبَاحَ فَقَدْ فَسَقَ . وَالثَّانِي أَنَّ هَذَا الْمَدْعَى لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَدْعَى أَنَّهُ فَارِقُ طَبِيعِ الْبَشَرِ وَصَارَ بِمَنْزِلَةِ الْمَلَائِكَةِ . فَإِنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ تَخَرَّصَ عَلَى طَبِيعِهِ وَعَلِمَ كُلَّ عَاقِلٍ كَذِبَهُ إِذَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَوَجِبَ أَنْ لَا يَكُونَ مُجَاهِدًا لِنَفْسِهِ وَلَا مُخَالَفًا لِهَوَاهُ وَلَا يَكُونُ لَهُ ثَوَابٌ عَلَى تَرْكِ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ . وَهَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ وَإِنْ قَالَ أَنَا عَلَى طَبِيعِ الْبَشَرِ الْمَجْبُولِ عَلَى الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ : قُلْنَا لَهُ : فَكَيْفَ تَسْمَعُ الْغَنَاءَ الْمَطْرَبُ بِغَيْرِ طَبْعِكَ ، أَوْ تَطْرَبُ لِسَمَاعِهِ لَغَيْرِ مَا غَرَسَ فِي نَفْسِكَ .

أَخْبَرْنَا ابْنَ نَاصِرٍ نَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمَى قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الدَّمَشْقِيَّ يَقُولُ : سَثَلَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْدْبَارِيَّ عَمَّنْ سَمِعَ الْمَلَاهِيَّ وَيَقُولُ هِيَ لِي حَلَالٌ لِأَنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَا تُؤْثِرُ فِي اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ فَقَالَ نَعَمْ . قَدْ وَصَلَ لِعَمْرِي وَلَكِنْ إِلَى سَقَرٍ .

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به. قلنا. لا ينكر أن يسمع الإنسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لالأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول.

كل يوم تـلـوون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين. وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الآيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع. ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه

قال المصنف رحمه الله: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال: ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال: لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الأحاد فلا يحرم المجموع. فان أفراد المباحثات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال: ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شئ محظور حرم نشره ونظمه، وحرم التصويت به.

قال المصنف رحمه الله قلت: وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج، وكذلك ماء العنب جاتز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم.

وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك. وقال ابن عقيل: الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح. فالمحرم الزمر والنأى والسرنا والطنبور والمعزقة والرباب وما مثلها، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك. ويلحق به الجرافة والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما يفعل المسكر، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور. لأن النبى ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نغمة وصوت عند

مصيبة . والمكروه القضيبي لكنه ليس بمطرب في نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول . والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيبي كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل . وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسمع في حقه مؤكد لعشقه .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أي تأكيد لعشقه في قول المغني :

ذهب اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : أن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حذاها الحادي إلى الله بالاناشيد فقال ابن عقيل : لأكرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وما قال : وإذا أنشدت عليه القصائد طربت . فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنه . ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتنون ، بل ينبغي النظر إلى المحال التي أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فإنها منظورات لا تهيج طبعا بل تورث استعظاما للفاعِل . وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم رنادقة في رى عباد ، شريهين في رى زهاد مشبهة ج تعتقدون أن الله عز وجل ويعشق ويهيم فيه . ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهي تتوأنس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية في الأشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب في الصورة يتأكد الأنس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته في أخص النوع به أو أقربه إليه فأين المشاركة للمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق . وما الذي بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما

هؤلاء يصورون الباري سبحانه وتعالى صورة تثبت في القلوب، وما ذاك الله عز وجل ذاك ضم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الأنفس وإنما مباينة الإلهية للمحدث أوجبت في الأنفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله إنما هو وهم اعترض. وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فإذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق إليها فنالهم من الوجد وتحرك الط والهيمنان ما ينال الهائم في العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدئ السماع لعلهم بما يثير من قلبه. أخبرنا عمر بن ظفر المقرئ نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي ثنا بن جهضم ثنى أبو عبد الله المقرئ ثنا عبد الله ابن صالح قال قال لي جنيد: إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت أحمد بن محمد البردعي يقول سمعت أبا الحسين النوري يقول لبعض أصحابه: إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترخ خيرة.

قال المصنف رحمه الله: هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب الله فتعدى شرهم من وجهين. أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا. والثاني: أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامي حجة في لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا و يفعل كذا.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فأثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وماذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأبنانا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي وقال سمعت أبا حاتم محمد بن أحمد بن

يحيى السجستاني قال سمعت أبا نصر السراج يقول . حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبني دائماً فى قطيعتي . ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه . ثم قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوارن نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول . فأخرجت إلى مرو فى حياة الاستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختومات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتدخلت من ذلك شئ فكنت أقول قد استبدل مجلس الختومات بمجلس القوال . فقال لى يوماً . أي شئ تقول الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول . فقال من قال لأستاده لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله: هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله . فإن الأدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالوسط .

فصل

وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم

ابن هوارن القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا علي الدقاق يقول .
السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول
مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

قال المصنف : رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها
اناقد ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه يباح سماعه لكل أحد . وأبو حامد
كان أعرف من هذا القائل . والثاني أن طباع النفوس لا تتغير وإنما
المجاهدة تكف عملها . فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال . فإذا جاء ما
يحرك الطباع . واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة . والثالث أن
العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السماع لعلمهم
أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى
المحال . والرابع أن الاجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وإنما غايته
الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع . والخامس أنه يلزم من
هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما
حرم لأنه يوتر في الطباع ويدعوها إلى الهوى فإذا أمن ذلك فينبغي أن
يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبري .

فصل

قال المصنف رحمه الله : . وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة
إلى الله عز وجل . قال أبو طالب المكي . حدثني بعض أشياخنا عن
الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن . عند
الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة . وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون في
مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد
ويشهدون حقاً .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا إن صح عن الجنيد وأحسننا به
الظن كان محمولا على ما يسمعون من القصائد الزهدية فإنها توجب
الركة والبكاء ، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل
ذلك على صفات الباري سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح
أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع .
ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما

ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال . فحدثني أبو جعفر احمد بن أرهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروز بادی شيخ رباط الزورنى صديقاً لى ، فكان يقول لى والله إنى لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول ، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول: أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم ، وقال ابن عقيل: قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى، قال وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً، قال والناس بين تحريمه وكرهيته. أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أبوبكر احمد بن على بن ثابت قال أخبرنى على بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنى أبو همام قال حدثنى ابراهيم بن أعين قال قال صالح المري، أبطا الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندى يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحارث الاولاسى يقول رأيت إبليس فى المنام على بعض سطوح اولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا، فاستغرقنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون. ثم قال لى: يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الوجد

قال المصنف رحمه الله: هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت، وصفتت وصاحت ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس فى ذلك وبالغ. وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو على الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن على الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن على السراج

الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : ﴿وَأَن جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ : صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخ . نا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين ابن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الحياط قال أخبرنا احمد بن محمد ابن يوسف بن دوست قال : أخبرنا الحسين ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال : أخبرنا علي بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل . قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار فنظر الربيع إليها فقال ليسقط ثم أن عبد الله مضى حتى أتينا على أنون على شاطئ الفرات فلما راه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبد الله حتى يصلي الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فممنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح ، وهذا كثير في كتب الزهد : والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً . وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه معمر . أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامي قال أخبرنا أبو الحسن احمد بن محمد العتيقي قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلاني قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي : قال قال احمد بن حنبل عيسى ابن سليم عن أبي وائل لا أعرفه . قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن احمد قال حدثني أبي قال حدثني بن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروي هذا إنما كان يرويه ذاك القاص - يعني عيسى بن سليم - فلقيته فقلت . عن تروى أنت ذا - منكراً عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع

ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السميت الأول، وما كان في الصحابة من يجرى له مثل هذا ولا التابعين. ثم نقول على تقدير الصحة. ان الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكنه فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب. فأما من يدعى الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فإننا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن علي بن الفتوح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول: كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صبيحة فصباح يوماً صبيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجانب حلقة أبي عمران الأشيب فحرد أبو عمران وأهل حلقة .

قال المصنف رحمه الله: واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب. وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع. فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله ﷺ في الإنكار عليه. فأخبرهم محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال أنبأنا أبو علي بن المذهب قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال حدثنا عبد المتعال ابن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال. وعظنا رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق. فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء ابن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك. قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد .

قال المصنف رحمه الله: وهذا حديث العرباض بن سارية. وعظنا

رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب . قال أبو بكر الأجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان. أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن ابراهيم قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصري قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي قال حدثنا حصين ابن عبد الرحمن. قال قلت لأسماء بنت أبي بكر. كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها إن ههنا رجلا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال. سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت. لا ولكنهم كانوا ييكون .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد ابن عبد الرحمن الجمحي عن أبي حازم قال. مر ابن عمر رضي الله عنه برجل ساقط من العراق. فقال. ماشأنه؟ فقالوا. إذا قرئ عليه القرآن ييصبه هذا. قال. انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط .

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمى نا أبو الحسين ابن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله بن أبي بردة عن ابن عباس. أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن. فقال انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون .

أنبأنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر ابن عبد الرازق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج

الشامى ثنا شبيب بن مهران عن قتادة . قال قيل لأنس بن مالك ان ناساً إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال . ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا عمر ابن على بن الفتاح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامراً صعب قوماً يتصعقون عند قراءة القرآن . فقال له . يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلدأ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبونعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثنا عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ثنى أبى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال . جئت إلى أبى فقال لى . أين كنت فقلت . وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم . يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يخشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال . لا تقعد معهم بعدها . فرأى كأنى لم يأخذ ذلك فى فقال . رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أباً بكر وعمر يتلو ان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبى بكر وعمر . فرأيت أن ذلك كذلك فتركهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن احمد فى كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النميرى ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال : بينا نحن عند أبى الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقبل له ، يا أبا الجوزاء ، انه رجل به الموتة . فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفارين ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال ﴿تفويض أعينهم من الدمع﴾ أو قال : ﴿تقشعر جلودهم﴾ .

أخبرنا أبو محمد بن على المقرئ نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبد الله البصرى ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيدنى عمر بن مالك البكرى قال قرأ قارىء عند أبى الجوزاء قال فصاح رجل من

أخريات الفوم أو قال من القوم. فقام اليه أبو الجوزاء فقبل له. يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال طيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لودعت رجلى على عنقه. وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا رجلاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه. فقال محمد بن سيرين. يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران ابن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق. فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن على العشاري نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي محمد بن على عن ابراهيم بن الأشعث. قال سمعت أبا عصام الرملى عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل فى مجلسه. فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك، وإن كان لغير الله فقد هلكت.

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا روح ثنا السرى بن يحيى ثنا عبد الكريم بن رشيد قال. كنت فى حلقة الحسن فجعل رجل ييكى وارتفع صوته. فقال الحسن إن الشيطان لييكى هذا الآن.

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلانى نا أبو العلاء الواسطى نا محمد بن الحسين الأزدى ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن ابراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يا بنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا

محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه . فقال له . يا بني إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك ، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

فصل

قال المصنف رحمه الله : فان قال قائل إنما يفرض الكلام وفي الصادقين لا في أهل الرياء . فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج في الباطن فان كف الانسان نفسه كيلاً يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السخيتاني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام . وإن أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخراز عن ابن أخى زينب عن امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندي عجوز ترقيني من الحموة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطاً . فقال ما هذا الخيط . قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الرقى والتمايم والتولة شركاً قالت فقلت له لم تقول هذا ، وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقىها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً .

قال المصنف رحمه الله : التولة - ضرب من السحر يحجب المرأة الى زوجها . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبى السنن عن أبى عيسى أو عيسى . قال . ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوماً عندنا إذا قرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله . قال كذبت . قال

بلى ورب هذه البنية. قال ويحك إن كنت صادقاً فإن الشيطان ليدخل جوف أحدهم. والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ.

فصل

فإن قال قائل. فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق أنه لا يقدر على أن يدفع، ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل: ﴿فخر موسى صعقاً﴾.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله ثنا إبراهيم ابن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفي ثنى حاتم بن الليث الجوهري ثنا خالد بن خدّاش. قال. قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة. فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام.

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد مات خلق كثير من سماع الموعدة وغشى عليهم قلنا، هذا التواجد الذي يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبّطهم فظاھرہ انه متعمل والشيطان معين عليه.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل. نعم من جهتين. أحدهما أنه لو قوى العلم أمسك. والثاني أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفي هذا نقصاً.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا هبة الله بن عبد الرزاق السنّي وأخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمى قال نا أبو الحسين ابن بشران نا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول. كان خوات يرعد عند الذكر فقال له إبراهيم. إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك. وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك. وفي رواية فقد خالفت من هو خير منك.

قال المصنف رحمه الله: قلت إبراهيم هو النخعي الفقيه، وكان متمسكاً

بالسنة شديد الاتباع للأثر. وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب إبراهيم له. فكيف بمن لا يخفى حاله في التصنع .

فصل

فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا. أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي نا أبو عبد الرحمن السلمي. قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخرار يصفق له .

قال المصنف رحمه الله : قلت والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتنتزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية. وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال. ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ - فال مكاء الصغير - والتصدية - التصفيق. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو علي بن شاذان نا أحمد ابن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى أبي ثنى عمى عن أبيه عن جده عن بن عباس «إلا مكاء» يعنى التصفير «وتصدية» يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله : قلت وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

فصل

فاذا قسوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لا يوب: ﴿أركض برجلك﴾.

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء. قال بن عقيل أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجاراً من الرقص. ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جوار الرقص في الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى «اضرب بعصاك الحجر» دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلى: أنت منى وأنا منك - فحجل وقال لجعفر -

أشبهت خلقى وخلقى - فحجل وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا - فحجل ومنهم من احتج بأن الحبشة زفت والنبي ﷺ ينظر اليهم. فالجواب: أما الحجل فهو نوع من المشى يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص، وكذلك زفن الحبشة نوع من المشى بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب.

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد ابن منصور الهمداني نا اسماعيل بن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ثنا أبو العباس احمد ابن سعيد المعداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس الرقيقى ثنا عبد الله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن على بن منصور ثنا أبو عتاب المصرى عن ابراهيم ابن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى بعض أرقعة مكة قسمع الأخصر الحذاء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة عطرات
فلما رأت ركب النميرى أعرضت وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد ابن المسيب. قال المصنف قلت: هذا إسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب، ولا هذا شعره. كان ابن المسيب أقر من هذا، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبد الله ابن نمير النميرى الشاعر ولم يكن نميراً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقفى وزينب التى يشب بها هى بنت يوسف أخت الحجاج، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان، فقال: كانت أحمره عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه.

قال المصنف رحمه الله: ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص، فإن الانسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقها بيده لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً. فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى العقول أى معنى فى الرقص إلا اللعب الذى يليق بالأطفال،

وما الذى فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة . هذه والله مكبر باردة ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى أنه قال: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب، وقال أبو الوفاء ابن عقيل . قد نص القرآن على النهى عن الرقص . فقال عز وجل: ﴿لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ . وذم المختال فقال تعالى «إنه لا يحب كل مختال فخور» والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لا تفاقمهما فى الاطراب والسكر . فما بالناس لا نقيس القضيبي وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب، وهل شئ يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف اذا كانت شبهة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصاً اذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلاً عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن زيدان، وعبد الملك ابن بشران ، وأبى طاهر بن العلاف، والجنيدي والدينورى .

فصل

فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد فاذا قام قام الباكون تبعاً له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباكون رؤوسهم موافقة له، ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلاً له .

فصل

فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب، أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذي ذكر فى القرآن إلقاءها

فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا. كان في غيبة حتى لو كان بين يديه حيثئذ بحر من نار لحاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بثر إن كانت عندهم. ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى في الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلدأ لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل في كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين. ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غالبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل. فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم اثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجدأ إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب. واحتج لهم ابن طاهر في تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت. نصبت حجلة لى فيها رقم فمدها النبى ﷺ فشققها.

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد. أو كان عن قصد لأجل الصور التي كانت فيه: وهذا من التشديد في حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان في الخمر فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد.

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن على بن حشيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال سمعت أبا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه. أشرح لى عن قلبه .

فصل

وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية . فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقه إذا طرحت صارت ملكاً لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحضر رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقه أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا .

قال المصنف رحمه الله : لقد تلاعب هذا الرجل بالشرعية واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية . فإننا ما عرفنا هذا فى أوائلهم وبيان فساد استخراجهم أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جازله تخريقه وإن كان غائباً فليس له تصرف جائز شرعاً لا هبة ولا تمليكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشئ الذى يقع من الإنسان ولا يدري به فلا يجوز لأحد أن يملكه وإن كان رماه فى حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغنى لم يملكه لأن التملك لا يكون إلى بعقد شرعى والرمى ليس بعقد : ثم نقدر أنه ملك للمغنى فما وجه تصرف الباقيين فيه . ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين : أحدهما انه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى أنه إضاعه للمال . ثم ما وجه أسهام من لم يحضر فأما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى عن شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه . وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقه لمن جاء . وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البهيرة والسائبة والوصيلة والحام . قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقه المخرقه وما انبعث من الخرقه الصحاح الموافقة لها

ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ . واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه: الغنيمة لمن شهد الواقعة . وخالفهم شيخنا أبو اسماعيل الانصارى فجعل الخرقعة على ضربين . ما كان مجروحاً قسم على الجميع وما كان سليماً دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل ؟ قالوا: سلمة ابن الأكوع: قال له سلبه أجمع . فالقتل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من تليس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشرعة وإجماع مشايخهم الذى لا يساوى إجماعهم بكرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليماً ولا يجوز لغيره التصرف فيه: ثم إن سلب القتل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به ثم ينبغى أن يكون الأمر على عكس ما قاله الانصارى لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغى أن يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبى الفتوح الاسفرائينى وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس قال التكريتى إنه رقص يوماً فى خف له ثم ذكر أن الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفاً كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقسموه خرقاً، قال ابن طاهر: والدليل على أن الذى يطرح الخرقعة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن فى صدقتك .

قال المصنف: أنظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الأحاديث فان الخرقعة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

فصل

وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريغها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهاءهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق يتفع بها وليس هذا بتفريط، فقلت:

وهل التفريط إلا هذا، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقاً في بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير فقلت له: إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر. وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسي فانه قال: يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخلط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعي فنظر إلى ارتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل لا تنتفع بها ولو كسر السيف نصفين لا تنتفع بالنصف غير أن الشرع يتلجم الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلاقاً ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلييس إبليس على الجاهل منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين .

فصل

ولقد أغربوا فيما ابتدعوا، وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال. ولقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه باب الستة في أخذ شيء من المستغفر، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته: يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزمه أكثر منها. واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي ﷺ أنه قال في الزكاة «من منعها فانا آخذها وشطر ماله» .

قال المصنف رحمه الله: قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً كفر. ومن مذهبه كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافي الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه في الاحرام ما كان له وجه. وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتي ان أنخلع من مالي، فقال له رسول الله ﷺ «يجزئك الثلث الا على سبيل الالتزام له. وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها

عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الإلزام إنما يفرد بالالزام الشرع وحده. وهذا كله جهل وتلاعب بالشرعة فهو لاء الخوارج عليها حقا .

ذكر تليس إبليس على كثير من الصوفية فى صحبة الأحداث

قال المصنف: أعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على انفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة فأمالهم إبليس اليهم، وأعلم أن المتصوفة فى صحبة الأحداث على سبعة أقسام: القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلل. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج قال بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية، ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات، وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا وأجاروا أن يكون فى صفة الأدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود. القسم الثانى: قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم، ويقصدون الفسق. القسم الثالث: قوم يستيحيون النظر إلى المستحسن. وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه سنن الصوفية فقال فى أواخر الكتاب: باب فى جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن. وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وأنه قال: ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله: وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله ﷺ أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله ابن أحمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد ابن عبد الرحمن بن المخير عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال. اطلبوا الخير عند حسان

الوجه. قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء. قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلي لا يثبت عن النبي عليه السلام فى هذا شيء، وأما الحديث الآخر فأنا أبو منصور بن حيرون نا أحمد بن على بن ثابت نا أحمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى نا أبو بكر محمد بن أحمد ابن هارون نا أحمد ابن عمر بن عبيد الريحاني قال سمعت أبا البختري وهب بن وهب يقول: كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه فقال: أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك. قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترمينى بما ليس قى. وأما ادمان النظر إليه فان جعفر الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ. ثلاث يزدن فى قوة النظر. النظر إلى الخصرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء فى أبى البختري انه كذاب وضاع، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجاهولين، ثم قد كان ينبغى لأبى عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن. وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى تجوار النظر إلى الرد.

قال المصنف رحمه الله: قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمر حرم عليه أن ينظر إليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمر المستحسن فهو كاذب وإنما أبيع على الاطلاق لثلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى. قال سعيد بن المسيب اذا رأيت الرجل يلح النظر الى غلام أمرد فاتهموه. القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وإنما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فإن الطباع تتساوى فمن ادعى تزده نفسه عن أبناء جنسه فى الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع. أخبرتنا شهدة بنت أحمد الأبرى قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله بن الزبير الحنفى قال كنت جالسا مع أبى النظر

الغنوى وكان من المبررين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت على أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضى فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هذا بنظرى اليه وجهاً جل عن التشبيه وتقصد عن التمثيل وتعاضم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه ومولاتى لأوليائه حتى أصير الى ما أودته من نظرى الى وجهه الكريم وبهائه العظيم. ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحسنى فى النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى عليه. وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس اليينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له: بعد أن قام انك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون. فقال لى تقول هذا: يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث فقلت وما هي قال سر الإيمان وعفه الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع على وأنا جائم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا.

قال المصنف رحمه الله: قلت انظروا الى جهل الأحق الأول ورمزه الى التشبيه وإن تلفظ بالترية والى حماقة هذا الثانى الذى ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم. ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تكذبها شهوة النظر. وقد حدثنى بعض العلماء أن صبيّاً أمرد حكى له قال قال لى فلان الصوفى وهو يحبنى: يا بنى لله فيك اقبال والتفات. حيث جعل حاجتى اليك. وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد الغزالى وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر

الى الورد تارة. والى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا .
فقال: أى والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف انه كتب إليه فى رقعة انك تحب غلامك
التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه
وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله : قلت انى لا أعجب من فعل هذا الرجل
والقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف
سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس .
وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال: بلغنى عن هذه
الطائفة التى تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأمرد وربما
ريته بالحللى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد
فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية
فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى ﴿ وفى
أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وقال ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾
وقال: ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ فعدلوا عما
أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه ، وإنما تفعل هذه الطائفة ما
ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم
طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد
ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر . قال أبو الطيب وقد
أخبر بعضهم فى شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال
السماع فقال :

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى فأسكرت النفوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشاوى سروراً والسرور هناك صاحى
إذا لى أخو اللذات فيه منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً أرقناها لألحاظ ملاح

فال فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى
السماع نفعاً أو ينفيد فائدة . قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية

الصور المستحسنة ليس بشيء. فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص. وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» وقال «أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت» فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمارجها شهوة. ولا تعترها لذة فأما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة. ولذلك ما بعث الله امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً. كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين. القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماءهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروزبارى .

أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنع نفسى أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى ماله أنه على الجبل الصلد الاصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله: وسيأتى حديث يوسف بن الحسين. وقوله: عاهدت ربى أن لا أن أصحب حدثاً مائة مرة ففسخها على قوام القدود وغنج العيون. أخبرتنا شاهدة الكاتبة باسناد عن أبى المختار الصبى قال: حدثنى أبى قال قلت لأبى الكميت الأندلسى وكان جوالاً فى أرض الله حدثنى بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلاً منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى على سليمان لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم

يقول ياليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم، قال فوالله يا أخى لأدارى من قلبى ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقاً بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزة الصوفى رأيت بيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدأً وعظماً من الضنا والكمد فقلت له يوماً لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله: هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا غيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه فآثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة إن لم يهلك .

فصل

وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد. أخبرتنا الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال: قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيت يماشى غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه، فقلت له

لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت اراه معك بعد أن كنت له مواصلاً وإليه مائلاً. فقال والله لقد فارقتك عن غير قلبى ولا ملل. قلت ولم فعلت ذلك؟ قال: رأيت قلبى يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى لم أتيتك سقطت من عين الله عز وجل فهجرتك لذلك تنزيهاً لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن.

فصل

ومنهم من تاب وأطال عن إطلاق نظره. أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي بإسناد عن عبيد الله. قال سمعت أخى أبا عبد الله محمد بن محمد يقول: سمعت خيراً النساج يقول: كنت مع أمة بن الصامت الصوفى إذ نظر إلى غلام فقراً وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير» ثم قال. وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحننى به من نظرى إلى هذا الغلام ماشبهت نظرى إليه إلا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال. استغفر الله من بلاء جنته عينائى على قلبى. لقد خفت ألا أنجو من معرفته ولا أتخلص من أئمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقاً. ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه فسمعته يقول فى بكائه ياطرف لا شغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء.

فصل

ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة. أخبرتنا شهيدة الكاتبة بإسناد عن أبى حمزة الصوفى قال. كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صباية وحباً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعدته عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشى خطوة فاتتته يوماً لأعوده. فقلت يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى، فقال، أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة، ورب ذنب يستصغره الإنسان هو عند الله أعظم من كبير، وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت ما يبكيك؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقائى فانصرف عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقى وكان من خيار عباد الله إلى غلام

جميل فغشى عليه، فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجله وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلاً فكنا نأتيه نعوذه ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فمارال يعوده حتى قام على رجله وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوماً أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيوخ، وما الذي تكره من ذلك، فقال، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

فصل

وفيه من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه. حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى قال، كان ببلاد فارس صوفى كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه أن دعتة إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» فغرق في البحر.

قال المصنف رحمه الله: أنظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمر وإلى إدمان النظر إليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه «ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام. عفى لأمتى عما حدثت به نفوسها، ثم إنه ندم على هيمته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فاقتلوا أنفسكم» ونحن نهينا عنه بقوله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم» فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال، من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.

فصل

وفيه من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه. بلغنى عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا

عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى إلى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده ييكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبى فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبى ييكى فجلس الصوفى ييكى ويقول له بالله عليك الا ما أقدتنى به فقال الآن قد عفوت عنك: فقام الصوفى إلى قبر الصبى فجعل ييكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى ويهدى له الثوب.

فصل

ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة، والحديث باسناد عن إدريس بن إدريس قال: حضرت بمصر قوما من الصوفية. ولهم غلام أمرد يغنيهم قال: فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال: يا هذا قل لا إله إلا الله، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله. (القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبى ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فليس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لاعتن قصد فيثير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه. وربما وثقوا بدينهم فاستفزه الشيطان فرماهم إلى اقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته.

(القسم الرابع): قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك. والحديث باسناد عن الرازى يقول: قال يوسف ابن الحسين: كل ما رأيتمنى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن. ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها على حسن الحدود وقوام القدود وغنج العيون وماسألنى الله معهم عن معصية. وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً.

إن ورد الحدود والحدق النجـ ل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخد وما فى الصدور من رمان
تركنتى بين الغوانى صريعاً فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هي الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية. فانظر إلى الجاهل كيف يصنع بأربابه. والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال: حكى لي عن أبي مسلم الخثعمي أنه نظر إلى غلام جميل فأطال. ثم قال سبحانه الله ما أهاجم طرفي عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذي قد حزر عنه. لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحني عند جميع من عرفني في عرصات القيامة ولقد تركني نظري هذا وأنا استحي من الله تعالى وإن غفر لي ثم صعب. وإسناد عن أبي بكر محمد بن عبيد يقول: سمعت أبا الحسين النوري يقول: رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أرد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة، وتمشون في الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم.

فصل

وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبطاً، ومن استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» سلم في البداية بما صعب أمره في النهاية، وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك. والحديث بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجوارى العواتق.

والحديث بإسناده عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذاري. والحديث بإسناد عن الشعبي قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضأة فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره وقال: كانت خطيئة داود عليه السلام النظر وعن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد. وقال عمر بن الخطاب: ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد. وإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال: لا يجالسوا

أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى .
وياسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال : . كان يقال
لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد . وياسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب
عن أبيه قال : لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء . وعن
أبى على الروزبارى قال : سمعت جنيدا يقول جاء رجل إلى احمد بن
حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا ، قال ، ابنى . فقال احمد :
لا تمبئ به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ
وفى رواية الخطيب فقيـل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه
فقال احمد الذى قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على
هذا رأينا أشياءنا وبه أخبرونا عن أسلافهم . وياسناد عن أبى بكر المروزى
قال : جاء حسن البزاز إلى احمد ابن حنبل ومعه غلام حسن الوجه
فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا على لا تمش
مع هذا الغلام فى طريق فقال له إنه ابن أختى ، قال وإن كان لا يهلك
الناس فيك . وباسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول
احذروا هؤلاء الأحداث . وياسناد عن فتح الموصلى أنه قال ، صحبت
ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتقى
معاشرة الأحداث . وباسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى
رجل ينظر إلى حدث فقال له يا هذا ابق على جاهك عند الله فإنك لا تزال
ذا جاه مادمت له معظما . وباسناد عن أبى منصور عبد القادر بن طاهر
يقول من صحب الأحداث وقع فى الأحداث وعن أبى عبد الرحمن
السلمى ، قال : قال مظفر القرميـسنى من صحب الأحداث على شرط
السلامة والنصيحة اداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير
وجه السلامة .

فصل

وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول
الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن
عطاء بن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمرداً يجالسه . وروى إبراهيم بن
هانيئ عن يحيى بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتى . ولاحمد بن حنبل
قال فى طريق . وباسناد عن أبى يعقوب . قال كنا مع أبى نصر بن الحرث

فوقفت عليه جارية مارأينا أحسن منها فقالت: يا شيخ أين مكان باب حرب. فقال لها هذا الباب الذى يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه: فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه. فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد فقال باب حرب. فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبته وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه. فقال: نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال. مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسى من شيطانيه وباسناد عن عبد الله بن مبارك يقول. دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه. فإنى أرى مع كل امرأة شيطاناً ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً. وباسناد عن محمد بن احمد بن أبى القسم. قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه مارفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه. فقال له. قم من حداثى فاجلسه من خلفه. وباسناد عن أبى إمامه قال: وكنا عند شيخ يقرى فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام، وكره أن يخلو مع هذا الغلام. وباسناد عن أبى الروربارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له ياسيدى أنت بهم أعرف، وقد تصحبهم السلامة لى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيماناً منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط.

فصل

وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف ابن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان. وباسناد عن ابن الفرغ الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك إلينا

طريق فقال كيف رأيت ما شملت به قلوبكم بإستماع الغناء ومعاشرة الاحداث . وباسناد عن ابن سعيد الخزاز يقول رأيت إبليس فى النوم يمرغنى ناحية فقلت تعال، فقال ايش أعمل بكم، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس قلت ماهو، قال الدنيا، فلما ولى التفت إلى فقال غير ان فيكم لطيفة، قلت وماهى؟ قال، صحبة الاحداث. قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية.

فصل

فى عقوبة النظر إلى المردان، عن أبى عبد الله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصوانى حسن الوجه فمر بى أبو عبد الله البلخى . فقال إيش وقوفك فقلت . ياعم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار . فضرب بيده بين كتفى . وقال لتجدن غبها ولو بعد حين . قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن . وباسناد عن أبى الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبى بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرأى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يا بنى لتجدن غبه ولو بعد حين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله . وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض على سيثاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم . ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت انى استحى أن أقر فقال انى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مريبى غلام حسن الوجه فنظرت اليه . وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبد الله الزراد انه روى فى المنام فقليل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى . فقليل له ماالذنب فقال نظرت الى شخص جميل . وقد بلغنا عن أبى يعقوب الطبرى أنه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الاحداث فوعزتى انى لا أشغل بالأحداث الا من باعدته عن قربى . قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا

للبيغدادى فصاح صريحة ومات فغسلناه ودفناه، واشتغل عليه قلبى فرأيتة بعد شهر فى النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عني قلت . إنما مددت النفس يسيرا فى هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بدم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الأموال

أخبرنا المحمدا بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن احمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بيننا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص . وباسناد عن ذى النون المصرى انه قال سافرت سنين وماصح لى التوكل إلا وقتا واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لى نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل .

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهمها كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال استحيت أن أجيبك وعندى شئ وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج اليهم صرة فيها أربعة دنانق فقال اشترؤا بهذه شيئاً . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقليل له فى ذلك فقال . استحيت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دنانق . وقال سهل بن عبد الله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان .

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا انه ليس بينه وبين الأسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالأسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى «ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً» أى قواماً لأبدانكم وقال ﷺ . نعم المال

الصالح مع الرجل الصالح، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس. واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال «خذوا حذرکم» وقال «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وقال «أن أسر بعبادی لیلاً» وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيیین واختفى فی الغار. وقال من يحرسنى الليلة. وأمر بغلق الباب. وفى الصحيحین من حدیث جابر أن النبى ﷺ قال اغلق بابك. وقد أخبرنا أن التوكل لا ینافى الاحترار.

أخبرنا إسماعیل بن أحمد السمرقندى نا عبدالله بن یحیی الموصلى ونصر بن أحمد قالأ أخبرنا أبو الحسین بن بشران ثنا الحسین بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى أبو جعفر الصیرفى فی ثنا یحیی بن سعید ثنا المغيرة ابن أبى قره السدوسى قال سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه یقول جاء رجل إلى النبى ﷺ وترك ناقتة بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقته وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسین بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الارجى نا إبراهيم ابن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن اسماعیل الكرمانى ثنى عبد الرحمن ابن محمد بن سلام ثنا الحسین بن زیاد المروزى قال سمعت سفیان بن عیینة یقول تفسیر التوكل أن یرضى بما یفعل به. وقال ابن عقيل یظن أقوام أن الاحتیاط والاحتراز ینافى التوكل. وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى یقتضى من العقلاء التوبیخ والتهجین ولم یأمر الله بالتوكل الا بعد التحرر واستفراغ الوسع فی التحفظ. فقال تعالى: ﴿وشاورهم فی الأمر﴾، ﴿فإذا عزمْتَ فتوكل على الله﴾ فلو كان التعليق بالاحتیاط قادحا فی التوكل لما خص الله به نبیه حین قال له: ﴿وشاورهم فی الأمر﴾ وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه یؤخذ التحفظ والتحرر من العدو ولم یقنع فی الاحتیاط بأن یكله الى رأیهم واجتهادهم حتى نص علیه وجعله عملا فی نفس الصلاة وهى أخص العبادات. فقال: ﴿فلتقم طائفة منهم معك ولیاخذوا أسلحتهم﴾ و بین علة ذلك بقوله تعالى: ﴿ود الذین كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتکم فیمیلون علیکم میلة واحدة﴾ ومن علم

أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لاوسع فيه ولا طاقة . قال عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل» . ولو كان التوكل ترك التحرر لخص به خير الخلق ﷺ في خواص الأحوال وهى حالة الصلاة . وقد ذهب الشافعى رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله: «ولياخذوا أسلحتهم» فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له : «إن الملاء يأمرون بك ليقتلوك» . خرج . ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتأمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوى التحرر حقه ثم توكلوا وقال عز وجل فى باب الاحتياط ﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾ وقال ﴿ لا تدخلوا من باب واحد ﴾ وقال : فامشوا فى مناكبها ﴿ وهذا لأن الحركة للذب عن النفس إستعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمة المبدأ يريد إظهار وداعته فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتمادا على ما جاد به . لكن يجب استعمال ما عندك ثم أطلب ما عنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهايم دروع وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للادمى عقلا يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ولقد عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعا أو مرضاً . ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغى أن تكون أعضاء المتوكل فى الكسب وقد ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى . لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة . فمنعه عطاء فى المعنى . وكم زاد للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل قصاروا غرورهم بمشابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزما . ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سهلا للشبع والماء للرئى والدواء للمرض . فإذا ترك الإنسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فرجما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببا فإذا لم تتناوله كله إهوانا لعطائنا فرجما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وما هذا إلا بمشابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلبا للمطر فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعا ولا عقلاً .

قال المصنف رحمه الله: فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لا تحترز مع الأوامر من المقدر فالذى قدر هو الذى أمر. وقد قال تعالى (وخذوا حذرکم) أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسين نا ابن بشران ثنا أبو صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى شريح بن يونس نا على ابن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبى عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شئ بقضاء وقدر. قال نعم قال فالتق نفسك من الجبل وقل قدر على فقال. يالعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى.

فصل

وفى معنى ما ذكرنا من تليسه عليهم فى ترك الأسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول: من فى طعن التوكل فقد طعن فى الإيمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا اسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هى فقال التوكل حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله.

أنبأنا عبد المعمر بن عبد الكريم نا أبى قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال: اذا رأيت المرید يشتغل بالرخص والكسب فليس يجئ منه شئ.

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا كلام قوم مافهموا معنى التوكل

وظنوا انه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطاً وإبراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقراريط.

فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفئ لم يحتاج الى الكسب. وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين. وكذلك أبو حنيفة. وكان سعد بن أبي وقاص يبرى النبل وكان عثمان بن طلحة خياطاً. وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب.

أخبرنا محمد بن أبي طاهرنا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن إبراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبتة أثواب يتجر بها فلقه عمر وأبو عبيدة فقالا. أين تريد: فقال السوق قالاً تصنع ماذا. وقد وليت أمور المسلمين قال. فمن أين أطعم عيالي. قال ابن سعد وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال. لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين. فقال ريدوني فإن لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة.

قال المصنف رحمه الله: قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فممنهم من يسعى الى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له.. وإما الجلوس في الرباط في هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو طالب العشارى نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ثنا أبو بكر ابن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم بن أدهم قال . كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف فى السؤال .

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدى إسماعيل بن لجيدى يقول: كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل .

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف ينهاون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبد الجبار نا محمد ابن على بن الفتوح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكرى نا أبو بكر بن عبيد القرشى نا عبيد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيمى قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يامعشر الفقراء أرفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهري وأبو الخير القزوينى قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليمانى نا أبو الحسن المداينى عن محمد بن عاصم قال: بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عيى .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله النقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان ابن احمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبد الله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى تجر الشام منهم طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز ابن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا احمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم بن الخثلى: سألت أحمد بن حنبل وقلت: ماتقول فى رجل جلس

فى بىته أو فى مسجده وقال لا أعمل شىئا حتى يأتىنى رزقى فقال اءمء هذا رءل ءهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ . ءعل الله رزقى تحت ظل رمى؁ وحءىء الآخر فى ذكر الطىر تغءو ءماصاً فذكر انها تغءو فى طلب الرزق. قال تعالى ﴿وآءرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله﴾ وقال : ﴿لئس عليكم ءناء أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتءرون فى البر والبحر ويعملون فى نءلهم ولنا القءوة بهم. وقد ذكرنا فىما مضى عن اءمء أن رءلا قال له. أرىء الءء على التوكل فقال له فأءرء فى ءىر القافلة. قال لا. قال فعلى ءراب الناس توكلت.

أءبرنا ابن ناصرنا أبو الءسفن بن عبء الءبارنا عبء العزفز بن على الأزءى نا اءراهم ابن مءمء بن ءعفر الناءى نا أبو بكر عبء العزفز بن ءعفر نا أبو بكر اءمء ابن مءمء الءلال نا أبو بكر المروزى قال : قلت لأبى عبء الله هؤلاء المتوكلة يقولون نءعء وأرراقنا على الله عز وءل. فقال هذا قول رءى. أئس قء قال الله تعالى : ﴿إءا نوءى للصلاة من يوم الءمعة فاسعوا إلى ذكر الله وءروا البفع﴾ ثم قال إءا قال لا أعمل وءىء الىه بشئ قء عمل واكتسب لأى شئ فقبله من ءىره. قال الءلال : وأءبرنا عبء الله بن أءمء قال : سألت أبى عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال. فنبغى للناس كلهم فتوكلون على الله. ولكن فعودون على أنفسهم بالكسب. هذا قول انسان أءمق.

قال الءلال : وأءبرنى مءمء بن على قال ثنا صالح انه سأل أباه فعنى اءمء ابن ءنبل عن التوكل فقال التوكل ءسن ولكن فنبغى أن فكتسب فعمل ءتى فعنى نفسه وعفاله ولا فترك العمل. قال وسئل أبى وأنا شاهد عن قوم لا فعملون فقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتءعون. قال الءلال وأءبرنا المروزى انه قال لأبى عبء الله أن ابن عففنة كان فقول هم مبتءعة. فقال أبو عبء الله هؤلاء قوم سوء فرفءون تعطفل الءنا. وقال الءلال وأءبرنا المروزى قال سألت أبا عبء الله عن رءل ءلس فى بىته وقال اءلس واصبر واقعء فى البفء ولا أطلع على ذلك أءءاً فقال. لو ءرء فاءءرف كان أءب إلى فاذا ءلس ءفت أن فءرءه ءلوسه الى ءىر هذا قلت الى أى شئ فءرءه قال الى أن فكون فءوقع أن فرسل الىه

قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله
أحمد بن حنبل أنسى في كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على
عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك . وقال أحمد بن
حنبل قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد
حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول . ما أحسن الاستغناء عن
الناس . وقال الخلال وأخبرني يعقوب بن يوسف المطوعى قال . سمعت أبا
بكر بن جنادة . يقول : الجصاصى قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أحب
الدرهم إلى درهم من تجارة وأكرهها عندى الذى من صلة الإخوان .

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان إبراهيم بن أدهم يحصد وسلمان
الخواص يلقط وحذيفة المرعى يضرب الائن ، وقال ابن عقيل السبب
لا يقدح فى التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص فى
الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام : ﴿ إن الملأ يأترون بك ليقتلوك ﴾
خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجبر نفسه ثمان سنين . وقال تعالى
﴿ فامشوا فى مناكبها ﴾ وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى
فاستعمل ما عندك ثم أطلب ما عنده . وقد يطلب الانسان من ربه وينسى
ماله عنده من الذخائر فإذا تأخر عنه ما يطلبه بسخط . فترى بعضهم يملك
عقاراً وأثاثاً فإذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له . لو بعت
عقارك . قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما يفعل
هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقلاً له فكانوا بين
أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم أنه
متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم .
وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنئ النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل
الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إثارةً للكسل أو لإسم يتزين
به بين الجهال فإن الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهرأ يتسبب
به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه .

فصل

وقد تثبت القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا
لابد من أن يصل إلينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فإن الانسان لو ترك

الطاعة وقال لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله على فان كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار. قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ما قضى على. ومعلوم اننا مطالبون بالأمر لا بالقدر. ومنها انهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ «الحلال بين والحرام بين». ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع في تناوله وإنما قولهم لهذا احتجاج للكسل. ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن علي نا ابن جهضم نا علي بن محمد السيرواني قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال في كل شئ حتى طلبته في صيد السمك فاخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فالقيت الشص فخرجت سمكه فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لي سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائي لطمة لأدرى من يد من هي ولا رأيت أحداً وسمعت قائلاً يقول أنت لم تصب رزقاً في شئ إلا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت. أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ثنا أبي قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عثمان بن آدمي قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذه القصة ان صحت فان في الروایتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذي هتف به لان الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد الى من يذكرنا فتقتله وهو الذي أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الأبدان لأنه لا يُقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل ما يصنع والى إبليس كيف يفعل. أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن علي بن ثابت نا عبد العزيز بن علي الأرجي ثنا علي بن عبد الله الهمداني نا محمد بن جعفر نا احمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلي أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً الا وتطعمه لعيالك فلم تصدو تبع ذلك

الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض.

قال المصنف رحمه الله : قلت إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب اليه فإذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغاً لأنه لا يجوز لنا إذا أن نبيع الخبز لليهود والنصارى .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى ترك التداوى

قال المصنف رحمه الله : لا يختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه . وقد ذكرنا كلام الناس فى هذا وبيننا بما اخترناه فى كتابنا لقط المنافع فى الطب . والمقصود ههنا أنا نقول اذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوى ، ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل .

وفى الصحيح من حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر . قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد مايقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به فى جسده بدواء إذا ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع . وفى إطلاق النبى ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ماقاله الذين ذكرنا قولهم ، وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرج فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت . وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع . وقد كان قادرا أن يحيى خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى .

ذكر قليس-إبليس على الصوفية فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف . كان الخيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم . وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالي فى كتاب الأحياء المقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جيبته أو يتدثر بكساء ، أو أزار . ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله : قلت أنظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوسواس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقليل فى المطعم فإنه يغلب عليه المالىخوليا . وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوسواس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن فى الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكير البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوسواس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا عثمان ابن آدمى قال كان أبو عبيد التستري إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طينى باب البيت والتى إلى كل ليلة من الكوة

رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً فى الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهاى لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندى بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقاء آدمى شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح : والثانى ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهى واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا فى التلبس بقية . قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقى ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وسمعت أبا الحسن البوشنجى الصوقى غير مرة يغتاب فى ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة فى الجماعة فإن السلامة فى العزلة .

فصل

وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو . أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنى على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شئ من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغاو فيقوته ما كان فيه وفيه شئ من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أنى أتيت نبى الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لى فعلت والا لم أفعل فأتاه فقال يا نبى الله انى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . قال فقال نبى الله ﷺ « انى لم أبعث باليهوديه ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة » .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية

فى التخشع ومطاطاة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله : إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متادباً متذللاً وقد كانوا يجتهدون فى

ستر ما يظهر منهم من ذلك - وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويكي بالليل . ولسنا نأمر العالم بالانسياط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم . فقد روى عن علي رضي الله عنه إذا ذكرت العلم فاكظموا عليه ولا تخلصوه بضحك فتمجج القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعلم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطاطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيو للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيا للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حملة الخوف على شدة اللذ والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى: ﴿أولم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ وقال: ﴿قل انظروا ماذا تفي السموات والأرض﴾ وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء . وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحتزرون من فتون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالوا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلائي نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدائني عن

محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال: نظر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له. يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن أحمد الملقب ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنا يعقوب بن إسماعيل قال: قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهيم بن الحسين أن رجلاً تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحاذن فلكره عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن غاصم بن كليب الجرمي: قال لقي أبي عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط مستخسفاً هكذا. وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبي مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط: أما والله أن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حبة نا أبو الحسن ابن معروف ثنا الحسين بن القهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتية يمشون فى المشى ويتكلمون زويداً فقالت ما هذا قالوا نساك. قالت. كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً ..

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع. وقد ذكرنا عن أيوب السخيتاني أنه كان فى ثوبه بعض الطول ليستر حاله. وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له وراه يصلى ما أجراك تصلى والناس يرونك. قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو عبد الله يعنى السلمى ثنا بقية عن محمد ابن زياد قال: مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن

[illegible]

بمقري ودع الذين اذا نكحوا قنسكوا واذا خلوا فهم ذئاب خفاف
ان اخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن القزويني ان اجمدا بن علي بن ابي طالب
ابو عمير الخزاز بن عثمان بن ابي عوف بن ابي جعفر بن ابي حمزة بن ابي اسحق بن ابي
بن عبد الله الازاري قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول كنت واقفا على
باب المأمون فقال لي يا ابراهيم قلت لبيك قال عشرة من اعمال البر لا
يصح ان يبين الله والى الله منها شيء قلت يا امير المؤمنين رفق بالعباد
يا ابراهيم اعلمني النجاة وخبرني عن عبد الرحمن بن اسحاق بن
سما عيسى وصلة خبويه بالليل وصلة عيسى بن ابي حمزة بن ابي
السندی الاثنى عشر والخميس وما حديث ابي ابراهيم بن ابي حمزة
وصلة حفصويه وكتاب الشامي ليعلى بن قريش

[illegible]

النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش . وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبي ﷺ وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوم قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن عبيد قال: قال ابن عباس رضى الله عنه: «إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء». قال ابن سعد وأخبرنا أحمد ابن عبد الله بن قيس ثنا ميذل عن أبى رجاء الجزرى عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس زوجنى فإن رسول الله ﷺ أوصانى أن لا ألقى الله عزياً. وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى ذر قال. دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمى الهلالي فقال له النبي ﷺ «يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت اذاً من إخوان الشياطين لو كنت من النصرارى لكنت من رهبانهم إن ستتنا النكاح شراركم عزابكم وأرذال موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمر سوم ما للشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين من ترك النساء». أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبى ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال: «لعن رسول الله ﷺ مخشى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء الاتى يقلن ذلك» أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا أحمد بن جعفر الجلى ثنا أحمد بن محمد ابن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء النبى عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبى ﷺ يصبح وما عندهم شىء وكان يختار النكاح ويحث عليه

وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له. والنبي عليه الصلاة والسلام قال حبيب إلى النساء. قلت فإن إبراهيم ابن آدم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى وقال وقعنا فى بنات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج .

فصل

وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقد ماؤهم تركوا ذلك تشاغلاً بالتعبد ورأوا النكاح شاغلاً عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إليه النكاح أو بهم نوع تشوق اليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وإن لم يكن بهم حاجة اليه فأتتهم الفضيلة. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عن رسول الله ﷺ أنه قال «وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يأتى أجدا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر» ثم قال «أفحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب وهذه حجة للترفة عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال «دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقة ودينار أنفقته فى الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك». ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الداراني انه قال: اذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم. وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلى من أن أموت غارياً فى سبيل الله. وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول «تناكحوا تناسلوا» فما أرى هذه الأوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخري الصوفية فانهم

تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا. قال أبو حامد ينبغي أن لا يشغل المرید نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله: واني لأعجب من كلامه أترأه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد من على الخلق بقوله: ﴿وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾. وفي الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال له «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك». وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى. أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجاً عن الأنس بالله. هذه كلها جهالات بالعلم.

فصل

واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول المرضى بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منية. قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى. أعرف قوماً كانوا كثيرى المتى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض المالىخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال. ورأيت رجلاً ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمره وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً. النوع الثانى الفرار إلى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جعواً فلا مسوا النساء ولا بسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطل الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر. النوع الثالث الانحراف إلى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد.

فصل

وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا

أن الأغلب في طلب النكاح إرادة السنة جار وإن زعموا انه لا شهوة لهم
في نفس النكاح فمحال ظاهر .

فصل

وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء
من الله تعالى وهذه غاية الحماسة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى
بهذه الآلة وخلفها لتكون سبباً للتناسل والذي يجب نفسه يقول بلسان
الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس
فما حصل لهم مقصودهم .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك طلب الأولاد

أخبرنا المحدثان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا حمد بن احمد نا أبو
نعيم احمد ابن عبد الله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا
احمد بن أبي الخوارى قال . سمعت أبا سليمان الداراني يقول الذي يريد
الولد أحرق لا للدنيا ولا للآخرة ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجمع نقص
عليه وان أراد أن يتعبد شغله .

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد
الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان
الآدمي غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله
فحثه على سببه في ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من
باب الشرع بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ
عِبَادِكُمْ﴾ وقول الرسول ﷺ «تَنكَّحُوا تَناسَلُوا فإني أباهي بكم الأمم
يوم القيامة ولو بالسقط» وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
الأولاد. فقال تعالى حكاية عنهم ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إلى غير
ذلك من الآيات. وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه
ولد مثل الشافعي واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة. وقد
جاءت الأخبار باثابة المباشعة والانفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له
ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد
خالف آلمسنون والأفضل وحرم أجراً جسيماً ومن فعل ذلك فأنما يطلب

الراحلة أخبرتنا بالحضر، ابنه ظفر، أنا الجلف فوسجل. أحمد بن السراج. نا أبو القاسم
الأرجى ثبار بن جهم. ثعلج الجلفي قال سمعت الجنيذ يقول: الأولاد بعقوبة
شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة قبح الحرام.

قال المصنف رحمه الله: وهذا غلط فان تصمية المباح عقوبة لا يحسن
لانه لا يباح شيء ثم يكون ما تجد منه عقوبة ولا يستلزم إلى شيء إلا
وحاصله مثوية .

ذاكر تلميين إيليس على الطنوفية في الأسفارة والسياسة

[illegible]

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا فتية تقدم من محدثي الذين مذهبون
إليه يقال يا رسول الله إن نفسي تجددني بأن أسبح في الأرض. فقال
النبي ﷺ له: مهلا يا عثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والجهاد
والعمرة. وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانيء عن أحمد بن حنبل أنه

سئل عن الرجل يسبح يتعبه أحب اليك أو المقيم في الأمصار قال . ما السياحة من الإسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

فصل

وأما الخروج على الوحدة فقد نهى الرسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده . فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا أحمد بن سليمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر ابن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال «الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب» . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال «لعن رسول الله ﷺ راكب الفلاة وحده» .

فصل

وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة . وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبي ﷺ . لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً . قال عبد الله وحدثني أبي ثنا محمد بن أبي عدى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ «أقلو الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يث في خلقه ما شاء» .

قال المصنف رحمه الله : وفيهم من جعل دابة السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي ﷺ «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله ، فمن جعل دابة السفر فقد جمع بين تضيق العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد . أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكبي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرماً في عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس على وتغرب كلما أحللت أحرمت .

ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد

قال المصنف رحمه الله: قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال ألك ومذح هؤلاء هؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب. والاختبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة. أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينورى نا طاهر بن عبد الله نا الفضل ابن الفضل الكندى ثنى أبوبكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطى نا محمد بن السفاح عن على بن سهل المصرى قال أخبرنى فتح الموصلى قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بـغلام صغير فقلت يا عجباً بادية يبداء وأرض قفراء، وغلام صغير فأسرعت فلاحقته فسلمت عليه ثم قلت يا بنى إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال يا عم قد مات من كان أصغر سنأ منى فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال يا عم على المشى وعلى الله البلاغ، أما قرأت قوله تعالى. «والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا» فقلت له مالى لا أرى معك لا راداً ولا راحلة. فقال يا عم. زادى يقينى وراحلتى رجائى. قلت: سألتك عن الخبز والماء قال يا عم أخبرنى لو أن أخاً من إخوانك أو صديقاً من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله فى منزله. فقلت أزودك فقال اليك عنى يا بطل هو يطعمنا ويسقينا قال فتح. فما رأيت صغيراً أشد توكلأ منه ولا رأيت كبيراً أشد رهداً منه .

قال المصنف رحمه الله: بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذ كان الصغير قد فعل هذا فانا أحق بفعله منه. وليس العجب من الصبى بل من الذى لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر وأن الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد ابن على الحافظ نا أبو نعيم الاصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على اليعظى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون

فيموتون في البرارى. فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل
أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى
قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول. قال
رجل لأبى عبد الله بن الجلاء. ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد.
قال هذا من فعل رجال الله ، قال فإن مات قال :الدية على القاتل .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذا لا
خلاف بين فقهاء الإسلام انه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل
ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار. وكذلك إذا
تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال: ﴿ ولا
تقتلوا أنفسكم ﴾ وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى.
ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله «وتزودوا».
أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال:
سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت
من شيراز فى السفرة الثالثة فتهدت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع
والعطش ما أسقط من أسناني ثمانية وانثر شعرى كله .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا قد حكى عن نفسه مظاهره طلب
المدح على ما فعل والذم لاحق به : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن
على بن ثابت نا عبد الكريم ابن هوزن قال : سمعت أبا عبد الرحمن
السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ . وأخبرنا أبو بكر بن
حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا
أبو الفضل يوسف بن على البلخى ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة
الصفوى . قال : انى لا يستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد
اعتقدت التوكل لئلا يكون شعبى زاداً تزودته . قال المصنف رحمه
الله . قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل
ترك الأسباب . ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج
إلى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود
حوتا . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم واستخفوا ما معهم
ولما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد .

فقال لا يسجور دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين أحدهما أن يكون الإنسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام اسبوعاً ونحوه والثاني أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلوا البادية من أن يلقاه آدمى بعد أسبوع أو ينتهى إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته .

قال المصنف رحمه الله : قلت أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يلبه أحد . ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجترأ بحشيش وأى فضيلة فى هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكان هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه هل يرزقهم فى البادية ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب ما لم تجر به العادة الا ترى ، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وقولها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى ﴿ ان اهبطوا مصرا ﴾ وذلك لأن الذى طلبوه فى المصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الارجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر احمد ابن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرماني ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو ابن دينار عن عكرمه عن ابن عباس . قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ . أخبرنا أبو المعمر الانصارى نا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده نا أبو طاهر محمد بن احمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر احمد ابن هارون المردنجى ثنا عبد الله بن الأزر ثنا أسباط ثنا محمد بن موسى الجرجاني قال سألت محمد بن كثير الصنعاني عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا يتتعلون ولا يلبسون الخفاف . فقال سألتني عن أولاد الشياطين ولم تسألني عن الزهاد . فقلت له . فأى شيء الزهد : قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبي ﷺ . أخبرنا محمد

بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأرجي نا
 ابراهيم ابن محمد الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر
 أحمد ابن محمد الخلال نا أحمد بن الحسين بن حسان. أن أبا عبد الله
 أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفارقة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديداً
 وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورققاء قافلة. قال الخلال :
 وقال أبو بكر المروزي وجاء رجل إلى أبي عبد الله فقال رجل يريد سفراً
 أيما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل. فقال له أبو عبد الله. يحمل
 معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس قال الخلال : وأخبرني إبراهيم بن
 الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم أن رجلاً سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل
 إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبني فمن أين يأكل قال
 فيتوكل فيعطيه الناس قال فإذا لم يعطوه اليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا
 يعجبني هذا. لم يبلغني أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ والتابعين فعل
 هذا. قال الخلال. وأخبرنا محمد بن علي السمسار أن محمد بن موسى
 بن ميسس حدثهم أن أبا عبد الله سأل رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا.
 اعمل واحترف وأخرج النبي ﷺ زود أصحابه فقال : فهؤلاء الذين
 يعرفون ويحججون بلا زادهم على الخطأ قال نعم هم على الخطأ قال
 الخلال وأخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازي قال سمعت الحسين
 الرازي قال شهدت أحمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له
 يا أبا عبد الله معي درهم أحج بهذا الدرهم. فقال له أحمد اذهب إلى
 باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبة واحمل على رأسك حتى يصير عندك
 ثلثمائة درهم فحج. قال يا أبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال أحمد
 لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب في هذا يريد أن يفسد على الناس
 معاشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع
 الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا
 فانت متوكل على جراب الناس.

سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحاتهم

من الأفعال المخالفة للشرع

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن
 علي ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم

الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول :

سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه لمجوز وتترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة، فقال الآخر : فما نصنع قال : فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا. فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شىء فجعلاه على رأسها غطوها به. فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً. فمكثت يومى وليلى فلما كان الغد نادانى شىء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شىء خشن فتمسكت به فجعلاه وطرحنى فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف. أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأرذستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن حسن المحرمى سمعت ابن المالكى يقول : قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى بئر فنارعتنى نفسى إن استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وباريه فهمهمتم فقلت إلى من هو أقرب إليك فمنها وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشئ قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجله وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هو سبع فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن لجيناك من التلف بالتلف .

أخبرنا أبو منصور القزار نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد ابن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول : سمعت أبى عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى فأغنيتهني بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لي بالغيب حتى كأننى تبشرني بالغيب إنك فى الكف
أراك وبى من هيتى لك وحشة وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحمى محباً أنت فى الحب حتفه وإذا عجب كون الحياة مع الختف

قال المصنف رحمه الله: قلت اختسلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى
البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى: هو أبو حمزة الخراسانى وكان من
أقران الجنيد. وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقى. وقال أبو نعيم
الحافظ: هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب
فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية، وأيهم كان فهو مخطىء فى فعله
مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن
يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد
قتله. وقوله لا أستغيث كقول القائل: لا أكل الطعام ولا أشرب الماء
وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فإن الله تعالى
وضع الأشياء على حكمة فوضع للأدمى يداً يدافع بها ولساناً ينطق به
وعقلاً يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح. وجعل الأغذية والأدوية
لمصلحة الأدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه فقد
رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع. فإن قال جاهل فكيف احترز مع
أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى: ﴿خذوا
حذرکم﴾ وقد اختفى النبى ﷺ فى الغار وقال لسراقة «اخف عنا
واستأجر دليلاً إلى المدينة». ولم يقل اخرج على التوكل وما زال بيدنه مع
الأسباب وبقلبه مع المسبب. وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم. وقول
أبى حمزة فنوديت من باطنى هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد
استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالأسباب لأن الشرع لا
يطلب من الإنسان ما نهاه عنه وهلا نافرته باطنه فى مديده وتعليقه بذلك
المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب
الذى يسميه التوكل لأنه أى فرق بين قوله أنا فى البئر وبين تمسكه بما
تدلى عليه لا بل هذا أكد لأن الفعل أكد من القول فهلا سكنت حتى
يحمل بلا سبب. فإن قال: هذا بعثه الله لى. قلنا: والذى جاز على
البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملاً

للاسباب التي خلقها الله تعالى ليتنفع بها للدفع عنه فلم يستمعها وإنما بسكوته عطل الاسباب التي خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصيح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنا أبو منصور القزازنا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبي الحسن قال سمعت علي بن عبد الله بن جهضم المكي يقول . ثنا الخلدی قال : قال الجنيد قال لى محمد السمين : كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين قباء والصخرة التى تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملاً قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت وكانوا على قارعة الطريق . فقلت لى نفسى تميل يميناً أو شمالاً فأبيت عليها الا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف فإذا هى الروح معى قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فإذا الروح معى فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فوضعت جنبى فتمت مضطجعاً فتغاشانى النوم فتمت وأنا على تلك الهيئة والسباع فى المكان الذى كانوا عليه فمضى بى وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شىء وإذا الذى كنت أجده قد زال فتمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله : قلت فهذا الرجل قد خالف الشرع فى تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر عما يؤذيه أو يهلكه . وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : «إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه» . وقال ﷺ : «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد» . ومروى ﷺ بحائط مائل فأسرع . وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج . وهذا شىء ما سلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . فإن صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لأن طباع الآدميين تتساوى . فمن قال لا أخاف السبع بطبعى كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهى النظر إلى المستحسن . وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل . وهذا خطأ لأنه لو كان هذا هو التوكل

ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشبى من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامى الذى إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقتين قوى وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه ﷺ الدرع فى غزواته كلها وقت الحرب حتى قال ﷺ فى غزوة الخندق «ليس لنى أن يلبس لامة حربه ثم يترعها من غير قتال» . وعلى حالة أبى بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذى الحيات : وهيهات أن تعلق مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخالل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل .

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن أحمد الجبرى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت محمد ابن عبد الله الفرغانى قال سمعت مؤملا المغابى يقول . كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينما نحن فى برية نسير إذ زار السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهى وهممت أن أبادر فأفر فضبطنى وقال يا مؤمل التوكل ههنا ليس فى المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك فى أن التوكل يظهر أثره فى المتوكل عند الشدائد . ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابن جهضم ثنا إبراهيم بن أحمد بن على العطار . قال له الخواص : حدثنى بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازى . مالنا لا نراك مع أبى طالب الجرجانى . قال : خرجنا فى سياحة فمنا فى موضع فيه سباع فلما نظر إلى رأى لم أتم طردنى . وقال : لاتصحبى بعد هذا اليوم .

قال المصنف رحمه الله : لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك فى قدرته ولا فى وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبتاه على الجهل .

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأرجى ثنا بن جهضم . قال سمعت الخلدی يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول . سمعت حسناً أخوا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل في رجلى الشوكة فيمنعني ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الأرض وامشى .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الحساب نا عبد الله بن علي السراج قال سمعت احمد ابن علي الوجدی يقول : حجج الدينوري اثنتي عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل في رجله شوك يمسح رجله في الأرض ويمشى ولا يتطأ إلى الأرض من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله : قلت انظروا إلى ما يصنع الجهل بأهله وليس من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قرينة تحصل بهذا ولو لا وجوب كشف الرأس في مدة الإحرام لم يكن لكشفه معنى . فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالأرض إلا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقي بالإخراج . وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها . ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر في إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطي رأسه ويفدى . ولقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى في الظل .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن أبى الحسن القرميسينى قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت في وسط السنة إلى مكة وأنا حدث السن في وسطى نصف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عيني في الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الإرادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عيني في تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت في بدننى قبلت يدي ووضعتها على عيني سروراً منى بالبلاء . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ

قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كان سبب ذهاب بصري أني خرجت في وسط السنة أريد مكة وفي وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالجل ففرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني. أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنا أبو محمد التميمي أنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازي يقول قلت لأبي بكر الدقاق. وكان بفرد عين ماسبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسي أن لا أكل لأهل المنازل شيئا تورعا فسالت إحدى عيني على خدى من الجوع.

قال المصنف رحمه الله: اذا سمع مبتدئ حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التي افتخر فيها فنونا من المعاصي والمخالفات منها خروجه في تصنيف السنة على الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل، ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه الى الله تعالى وإنما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه، فلو أن إنسانا قال أريد أن أضرب نفسي بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصيا. وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لأنه إنما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه فلو أن إنسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية في حماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطراب وحمله على النفس في شدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هذا تورعا حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم. وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهاني ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقي ثنا مطرف ابن مارن عن سفيان الثوري. قال: من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.

قال المصنف رحمه الله: فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه. ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة التسبب فاذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التي هي كسب مثله في تلك الحال فاذا تركه فقد فرط في حق نفسه التي هي وديعة عنده فاستحق العقاب. وقد روى لنا في ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن

أحمد ثنا حمد بن أحمد الخداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا أحمد القلانسي يقول قال أبو علي الروزباري يحكى عن أبي بكر الدقاق قال: استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت إليها فقلعت عيني التي نظرت بها إليها. وقلت مثلك من نظر لله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشرعية والبعدها عنها لأنه ان كان نظر إليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم فضم إليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قرينة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحذور قرينة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل انه نظر الى امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جارت فى شريعتهم . فاما شريعتنا فقد حرمت هذا، وكان هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو الحسن على بن أحمد البصرى غلام شعوانة قال أخبرتنى شعوانة انه كان فى جيرانها امرأة سالحة فخرج ذات يوم الى السوق فرأها بعض الناس فاقتن بها وتبعها الى باب دارها. فقالت له المرأة أى شئ تريد منى قال فتنت بك فقالت: ما الذى استحسنت منى قال عينك. فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك .

قال المصنف رحمه الله: فانظروا اخوانى كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلاً أجنبياً. وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لا يحل له . وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة .

فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحي نا محمد بن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذى النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت وما للرجال أن

يكلّموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشئ. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز الأرجى ثنا علي ابن عبد الله الهمداني ثنى علي بن اسماعيل الطلائى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد. دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا أكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فبقيت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهى وغشى علىّ وغلب علىّ من القمل شئ ما رأيت مثله ولا سمعت به فسينا أنا كذلك اذ مر بى ركب فأرونى على تلك الحالة فتزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار فمر بى ركب فحملونى الى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصبت اللبن فى حلقي ففتحت عينى قليلاً وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين قالوا : جبل الشراة فحملونى الى الشراة.

قال المصنف رحمه الله: قلت لو يحكى أن رجلاً من المجانين أنحل من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا: وإلا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قرية نسأل الله العافية. أخبرنا أحمد بن ناصر نا أحمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الريحانى يقول سمعت إبراهيم الخواصى يقول: رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب فى البرية فنراه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب. قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وإن أطيق بفضيلة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. قال سمعت جدى اسماعيل بن لجيد يقول : دخل إبراهيم الهروى مع شبة البرية. فقال ياشبة اطرح مامعك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقت ديناراً فخطا خطوات ثم قال: اطرح كل مامعك لا تشغل سرى قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح مامعك. قلت ليس معى شئ. قال بعد سرى مشغل ثم ذكرت أن معى دستجة شسوع فقلت ليس معى إلا هذه. قال فأخذها فطرحها ثم قال

امشى فمشيننا فما احتجت الى شبع فى البادية إلا وجدته مطروحا بين
يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله : قلت كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب
من يرمى مايملكه ويأخذ ما لايلدى من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال :
سمعت نصر ابن أبى نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى
قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتنى
فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولى ثم فكرت فى نفسى أنى
شكيت وأنى توكلت على غيره فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت
اليها فخفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى
فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا يأهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه
فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد
منه مالم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى مايحب ولا لوم على
العطشان إذا هش إلى الماء ولا على الجائع إذا هش إلى الطعام فكذلك
كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبى ﷺ : إذا قدم من سفر
فلاحت له المدينة أسرع السير حبا للوطن . ولما خرج من مكة تلفت اليها
شوقا . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول .
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم
حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شئ فى هذا من التقرب إلى
الله سبحانه إنما هو محض جهل . أبنا نا ابن ناصر نا جعفر بن احمد
السراج نا عبد العزيز ابن على بن أحمد ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا
بكر بن محمد . قال كنت عند أبى الخير النيسابورى فبسطنى بمحادثته لى
بذكر باديته إلى ان سألته عن سبب قطع يده . فقال يد جنت فقطعت . ثم
اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت
اسندرية فأقمت بها اثنى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت أجيئ
اليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون وإذا حم الكلاب على
قمامة السفر وأكل من البردى فى الشتاء فنوديت فى سرى ياأبا الخير تزعم

انك لا تشارك الخلق فى اقواتهم وتشير الى التوكل وانت فى وسط القوم
 جالس فقلت : إلهى وسيدى وعزتك لامددت يدي إلى شئ مما تنبته
 الارض حتى تكون الموصل إلى رزقى من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى
 عشر يوماً أصلى الفرض وأتفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر
 يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوماً
 أصلى الفرض لاغير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى
 جالساً لاغير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسى ذهب
 فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت على فرضاً
 تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضممت لى تفضل على برزقى ولا تؤاخذنى
 بما عقدته معك فوعزتك لا جتهدن ان لا حللت عقداً عقدته معك فإذا
 بين يدي قرصان بينهما شئ فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل
 ثم طولت بالسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع
 قاصاً يذكر قصة زكريا والمنشار وان الله تعالى أوحى اليه نشر فقال إن
 صعدت إلى منك انه لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع
 شطرين . فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتني لاصبرن .
 وسرت حتى دخلت انطاكية فرأى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر
 فدفع إلى سيفاً وترساً وحرية فدخلت الثغر وكنت حيثئذ أحشم من الله
 تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة
 أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطئ البحر فأغرر الحربة على
 الساحل وأسند الترس إليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فإذا
 صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهاري اجمع فبدوت فى
 بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسننت ثمرها ونسيت عقدي مع الله
 وقسمى به إنى لا أمد يدي إلى شئ مما تنبت الأرض فمددت يدي
 فأخذت بعض الثمرة فيينما أنا امضغها ذكرت العقد فرميت بها من فى
 وجلست ويدي على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى
 الساحل فإذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا
 يقطعون الطريق وقد أخذهم واقرقت الخيل فى طلب من هرب منهم
 فوجدونى أسود معى سيف وترس وحرية فلما قدمت إلى الأمير قال ايش
 أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا ، قال : بلى هو

رئيسكم وإنما تفدونهم بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلاً رجلاً ويقطع يده ورجله حتى انتهى إلى فقال تقدم مد يدك فمدتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمدتها ورفعت رأسى إلى السماء وقلت إلهى وسيدى يدى جنت ورجلى ايش عملت فإذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبى الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدى المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بنى يقبل صدرى ويكى ويقول سألتك بالله أن تجعلنى فى حل . فقلت قد جعلتك فى حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد الزهاد أكثر من الجهل . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى قال سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شيئاً الا حتى يفتح فمه ويوضع فى فيه والا ما ياكل فقال لأصحابه . تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئاً فلما كان فى اليوم العاشر جاء إليه إنسان فوضع بين يديه شيئاً يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثاً فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة فى فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه . أنبأنا محمد بن أبى طاهرنا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضى احمد بن سيار . قال حدثنى رجل من الصوفية قال صحبت شيخاً من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيماننا عظيمة لا ذقت مأكولاً أو يبعث لى بجمام فالودج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف على . قال وكنا نمشى فى الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتبهنا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شئ ففارقت الجماعة

غيرى فطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلما للموت ضعيفا . فاقمت عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انطصف الليل وكاد الشيخ يتلف . إذا بباب المسجد قد فتح ، إذا بجارية سوداء معها طبق مغطى . فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالودج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل ، فقال كل معى فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ماخبرك وخبر هذا الجام ؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية ، وهو رجل حاد ، طلب منا منذ ساعة فالودخ فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم ، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب ، فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غريبا فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضربا إلى أن يأكل لثلا تطلق سيدتى من زوجها ، قال : فقال الشيخ : كيف تراه إذا أراد أن يرزق .

قال المصنف رحمه الله : ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة ومافعله الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع مالا يجوز له وهذا لايجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديثا لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لايجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم ي مضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قرينة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه إلا من المالىخوليا . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزار نا أحمد ابن على ابن المحسن قال حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى قال : قال لى جعفر الخلدى : وقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب . فقلت لأبى إسحق : وأى شئ أراد بقوله - على المذهب - فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كمية حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسبر .

قال المصنف رحمه الله: وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول: ﴿وتزودوا﴾. ورسول الله ﷺ قد تزود، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمي لا يحتاج إلى شئ في مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب اثم وإن سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال. وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال: أخبرني أبي عن بعض الصوفية؛ أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتكم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب. انتم ماجئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن إلى مائدة الحرم، ثم قال: وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد وتتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم. فجئنا إلى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشئ فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحدائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول: لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشئ حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة.

قلت: اسمعوا إخواني إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس. ثم ظنهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب. ومن عجب ما بلغني عنهم في أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغدادي نا أبو محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: بلغني أن أبا شعيب المقتع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمره وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجته الأخيرة رأى كلبا في البادية يلهث عطشا، فقال: من يشتري حجة بشربة ماء، قال: فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لى من حجي لأن النبي ﷺ قال: «في كل ذات كبء حراء اجر». أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا ابن أبي الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن موري الجوساني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بابن السراج قال: سمعت

الوجهي يقول سمعت أبا علي الرورباري يقول : كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفى فرما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة ، قلت : وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتنزه العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعري كيف يصنع من يخرج منهم ولا شئ معه بالوضوء والصلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر . فأخبرنا أبو منصور الفزار نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً فى التوكل يدقق فيه وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شئ ، فقال : مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فرما يتخرق ثوبه وإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا أبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر

قال المصنف رحمه الله : قلت من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فإذا توضع جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة وهذا ما ابتدعه متأخريهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهي بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبدعين . أخبرنا ابن الحصين نا ابو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير» أخرجاه فى الصحيحين

ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء . أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة فى تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه واحتج بحديث عمر رضى الله عنه دخلت على النبى ﷺ وغلام له حبشى يغمز ظهره فقلت ماشأنك يا رسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتنى .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخوانى إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغى أن يقول باب السنة فى تغميز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له أنه كان فى سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبى ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره ، ومن مذهبيهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة للقادم واحتج بحديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ سافر سفراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب فى بيت عائشة رضى الله عنها بدف فلما رجع فقال النبى ﷺ إن كنت نذرت فاضربى .

قال المصنف رحمه الله : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفى فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافرين .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت

له فى ذلك تلبيسان الأول . أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف قال ابن عقيل . وهذه دعوى تزيد على الشرع فهى حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهى انحراف عن المزاج المعتدل فينبغى أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبى كريم فقال : ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ وقال : ﴿يا أسفى على يوسف﴾ . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال « إن العين لتدمع » وقال « واكرباه » . وقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمما يندب أخاه ويقول :

وكنا كندمانى جزيمة حقية من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليتنى كنت أقول الشعر فأندب أخى زيدا فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارئيته ، وكان مالك

مات على الكفير وريد قتل شهيدا فقال عمر: ما عراني أحد في أخى كمثل تعزيتك، ثم لا تزال الإبل الغليظة الأكباد تحن الى مآلفها من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع. وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب. وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع فقال للذي قال: لم أقبل أحداً من ولدى - وكان له عشرة من الولد - فقال «أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك» وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لائلطم خذاً ولا نشق جيباً فاما دمة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك.

التليس الثانى : انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه، والتليس فى هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذ أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والأصل فى أتخاذ الطعام لأجل الميت. ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الأردى وأبو بكر العورجى قال أخبرنا الجراحى ثنا المحبوى ثنا الترمذى ثنا احمد بن منيع وعلى بن حجر قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعى جعفر فقال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. والثانى انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأننا لا نتيقن انه غفر له وما يؤمننا أن نفرح له وهو فى المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك. أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن عيسى نا الفربرى ثنا البخارى ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهرى ثنى خارجة بن زيد الانصارى عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ «وما يدريك ان الله أكرمه» والثالث أنهم يرقصون ويلعبون فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التى

يؤثر عندها الفراق. ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذبا فأين أثر الحزن.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء. وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب. أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة. أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهاني ثنا أبو حامد بن حيّان ثنا أبو الحسن البغدادي ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول: أسس التصوف على الكسل. وبيان ما قاله الشافعى ان مقصود النفس اما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل. والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد. واستجلاب الدنيا فإنها اليهم سريعة.

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطنجيرى ثنا أبو حفص بن شاهين قال. ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.

والثانى انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرة فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس فى ذلك لذة. وكشف هذا التلبس انه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن تطلب الفضائل ويتقى مافى ضمنها من الآفات. فأما ما فى الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون. طلبنا العلم لغير الله فأبى الا أن يكون لله. ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع مافى طبعه لم يمكنه. والثالث انه أوهم قوما منهم ان المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى

الأعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعباد بغير علم على غير الطريق. والرابع انه أرى خلقا كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي. وكان الشبلي يقول:

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن علي الطناجيري نا أبو حفص بن شاهين ثنا علي بن محمد بن جعفر بن احمد بن عنبسة العسكري ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعاني قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن الحسن بن علي عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ انه قال «علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه».

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا حديث لا أصل له عن النبي ﷺ . وفي إسناده مجاهيل لا يعرفون. أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي السهلكتي نا أبو علي عبد الله بن ابراهيم النيسابوري ثنا أبو الحسن علي ابن عبد الله بن جهضم ثنا أبو الفتح احمد بن الحسن ثنا علي بن جعفر عن أبي موسى قال: كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصده أبا يزيد وقال له قد حكى لى عنك عجائب. فقال أبو يزيد. ومالم تسمع من عجائبي أكثر. فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من. فقال أبو يزيد علمي من عطاء الله تعالى. ومن حيث قال ﷺ «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم». ومن حيث قال ﷺ «العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه، وعلم باطن وهو العلم النافع». وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمي من الله إلهام من عنده. فقال له الشيخ علمي عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل. فقال له أبو يزيد. يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم: ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول

هو من عند الله، قال: نعم أئنه لك قدر ما يستقر فى قلبك معرفته. ثم قال: يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليماً وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً. وإن حلم الأنبياء وحى. قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالهام منه وفوائده من من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة: وما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمرى) وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما: إن ابنة خاتمة بنت: وألهم عمر رضى الله عنه فتادى ياسارية الجبل. أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلوى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتية يقول حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون فلان لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلاناً. فقال أبو يزيد. مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت.

قال المصنف رحمه الله: هذا الفقه فى الحكاية الأولى من قلة العلم أذ لو كان عالماً لعلم أن الإلهام للشئ لا ينافى العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشئ كما قال النبى ﷺ «إن فى الأمم محدثين وإن يكن فى أمتى فعمراً». والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه: وأما الخضر فقد قيل أنه نبى ولا ينكر للأنبياء الإطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم فى شئ إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشداً: فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشئ إذ لولا العلم الثقلى ما عرفنا ما يقع فى النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان. واعلم أن العلم الإلهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا. وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت. أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدرى ما فى ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة أنبأنا ابن حصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين، قال: من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطلالة وقالوا نحن علومنا بلا

واسطة. قال وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤساً في القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسي اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون. بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنهه الهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ.

قال المصنف رحمه الله: قلت عزيز عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم. وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ماسلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولاً. وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرده ذلك فيلعب بها إبليس أي ملعب فيريها الوسوسة محادثة. ومناجاة ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهو وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب إلى مانهيه عنه كما لا يستباح الرخص في سفر قد نهى عنه. ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها. وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه. وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه وإنما كان يفتى في هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان. أنبأنا ابن ناصر عن أبي علي بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب، والرسول حجاب ليس إلا عبد ورب فافتتن جماعة به فاهملوا العبادات واختفى مخافة القتل. أنبأنا محمد ابن عبد الملك نا أحمد ابن علي بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائي

ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربي عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى ييس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذي لا إله غيره ماعمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

فصل

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق . فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن أبى الحسن غلام-شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبد الله ويده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعنى الله به . فقال اكتب ، ان استطعت أن تلقى الله وييدك المحبرة والكتاب فافعل : قال يا أبا محمد أفندنى فائدة . فقال : الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً ، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً ، والعمل كله موقف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة . وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر الا تزندق وعن سهل ابن عبد الله انه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً . وعن أبى بكر الدقاق قال . سمعت أبا سعيد الخزاز يقول . كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل . وعن أبى بكر الدقاق انه قال . كنت ماراً فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مبين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر .

قال المصنف رحمه الله : وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي فى كتاب الأحياء فقال . من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان . وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسماً وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبدهاتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شئ واقع فى النفس من لقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع .

ذكر تلبس إبليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتب العلم والقائها فى الماء

قال المصنف رحمه الله: قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم. فقد روى أن أحمد ابن أبى الخوارى رمى كتبه فى البحر، وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال. ولقد طلب أحمد بن أبى الخوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها. وقال: يا علم لم أفعل بك هذا تهاونا ولا استخفافا بحقك ولكنى كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربى فلما اهتديت بك استغنيت عنك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أحمد ابن محمد بن إسماعيل. أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب. ولقد أخبرت انه رمى بجملته من سماعاته القديمة فى دجلة. فأول ماسمع على أبى العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير. أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقي قال. سمعت أبا عمرو بن أبى جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنايدى يقول. لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته.

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول. سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون - ورث أبو عبد الله المقرئ عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال: فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال. أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحلة حين لم يبق لى شئ أرجع إليه. وكان اجتهدى أن أزهى فى الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا إسماعيل الحيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول سمعت الشبلى يقول. أعرف من لم

يدخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق في هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله: قد سبق القول بأن العلم نور وان إبليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فرما استدلووا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محذور وجعل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأنبتها وكانوا يكتبونها في العصب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده في المصحف أبو بكر صونا عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقيّة الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . وأما السنة . فإن النبي ﷺ قصر الناس في بداية الإسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عنى سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في الكتابة . فروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال . أبسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبي عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئا بما حدثنيه رسول الله ﷺ وفي رواية أنه قال استعن على حفظك يمينك يعنى بالكتابة . وروى عنه ﷺ عبد الله بن عمرو انه قال «قيدوا العلم فقلت يا رسول الله وما تقييده . قال الكتابة» . وروى عنه أيضاً رافع ابن خديج قال قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها . قال : اكتبوا ولا حرج .

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ونادية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان . وقد كان احمد ابن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له : إمله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال على ابن المدينى . أمرنى سيدى احمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقتهما التابعون وسافر

المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من ههنا وصححوا ما صحح وزيفوا ما لم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله في حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا. فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد الى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة. وقد رويانا عن الإمام احمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب في طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبي عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى». فقال الامام احمد ابن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغني وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفت على م يعتمد في الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

فصل

قال المصنف رحمه الله: ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل. فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً في إتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم. وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفیان الثوري وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلنى عن العبادة. قيل له جوابك من ثلاثة أوجه: أحدها انك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات. والثاني أن اليقظة التى وقعت لك لاتدوم فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات. واعلم أن القلوب لاتبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم. وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط، والثالث أننا نقدر تمام يقطتك ودوامها والسغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفها على المتفيعين بها أو بعثها وتصدقته بثمنها أما إتلافها فلا يسحل بحال. وقد روى المروزي عن أحمد بن حنبل

انه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبني أن يدفن العلم .
وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قال أنبأنا أحمد بن على بن
ثابت نا عبيد الله ابن عبد العزيز البرادعى نا محمد بن عبد الله السحير ثنا
أبو بكر محمد بن حمد بن النحاس قال : سمعت المروزي يقول :
سمعت احمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى .

ذكر تلييس إبليس على الصوفية فى إنكارهم

من تشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم
وبين ظان أن العلم هو مايقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك
العلم : العلم الباطن نهواً عن التشاغل بالعلم الظاهر .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزار نا أبو بكر احمد بن على نا على
بن أبى على البصرى ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى
قال سمعت جعفر الخلدى يقول : لو تركنى الصوفية لجتكم باسناد الدنيا
لقد مضيت الى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً
وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال :
إيش هذا معك . فأريته إياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم
الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد الى عباس .

قال المصنف رحمه الله : وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال كنت أنزل
رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة
يوماً من كمى فقال لى بعض الصوفية استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصر أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبو
بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد الصفار قال :
كان بيدى محررة فقال لى الشبلى غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال
سمعت عبد الله العزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول : وقفت
ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلى ومعى محررة فأنشأ يقول :

تسريلت للحرب ثوب الغسرق وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغسوى وعنك نطق لى من نطق

إذا خاطبوني بعلم السورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله: قلت من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ماتفطنوا لما فعلوا. أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فاني كنت أخبئ محبرتي في جيب مرقتي والكاغد في حزة سراويلي وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بي خاصمونى. وقالوا لاتفلح ثم احتاجوا الى بعد ذلك. وقد كان الامام احمد ابن حنبل يرى المخابر بأيدى طلبة العلم فيقول: هذه سرج الاسلام. وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل الى متى يا أبا عبد الله فقال: المحبرة الى المقبرة وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام «لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» فقال احمد: ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم. وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون. وقيل له ان رجلاً قال فى أصحاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فقال احمد: هو رديق وقد قال الامام الشافعى رحمه الله: اذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ. وقال يوسف بن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض.

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن على ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال: رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد. الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فاتانى مالك فتأملت فادا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله. فقلت أين النبى ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لآخوانه الصوفية. فقلت وأنا من الصوفية فقبل نعم. ولكن شغلك كثرة الحديث.

قال المصنف رحمه الله: معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم وفى إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله. وأما ابن مسروق فأخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف قال سمعت الدارقطنى يقول أبو العباس بن

مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشره يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين:

ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلي قال سمعت جعفر ابن محمد الخلدى قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ فقال الجنيد لا تنس العمل به، وسأله عن قوله تعالى ﴿ودرسوا ما فيه﴾ فقال له الجنيد تركوا العمل به، فقال لا يفضض الله فاك قلت: أما قوله - لا تنس العمل به - فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر. لأنه فسرته على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره - فما تنس - إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾ إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل ﴿وبما كنتم تدرسون﴾. لا من دروس الشيء الذى هو اهلاكه. أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا حمد ابن احمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت احمد بن محمد ابن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلى. وسئل عن قوله عز وجل. ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾. فقال: لمن كان الله قلبه. وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله: ﴿فنجيناك من الغم﴾. قال لنجيناك من الغم بقومك وقتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله: وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكلیم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه. وجعل محبته تفتن غاية فى

القباحة. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي الحافظ نا أبو حارم عمر ابن إبراهيم العبدري قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول في قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل. والريحان الاستماع لكلامه. وجنة نعيم: هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل. قلت: هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبد الرحمن النسلمى في تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأديت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل: وقال فى قول الإنسان (آمين) أى قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة. وقال فى قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى﴾ قال قال أبو عثمان: غرقى فى الذنوب. وقال الواسطى: غرقى فى رؤية أفعالهم. وقال الجنيد أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق. قلت: وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرعوهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتموهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح. وقال محمد بن على: ﴿يحب التوابين﴾ من توبتهم وقال النورى: ﴿يقبض ويبسط﴾. أى يقبضك بآياه ويبسطك لآياه. وقال فى قوله: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان. وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الآية لفظ الحير ومعناه الأمور تقديرها من دخل الحرم فأمنوه. وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوسوس وذكر فى قوله ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾: قال أبو تراب هى الدعاءوى الفاسدة ﴿والجار ذى القربى﴾. قال سهل هو القلب ﴿والجار الجنب﴾ النفس ﴿وابن السبيل﴾ الجوارح. وقال فى قوله: ﴿وهم بها﴾. قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها. قلت: هذا خلاف لصريح القرآن وقوله

﴿ ما هذا بشراً ﴾ . قال محمد بن علي ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة . وقال الزنجاني الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكأؤهم . وقال في قوله ﴿ ولله المكر جميعاً ﴾ قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سيلاً إليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله : ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو العلاج وهذا يليق بذلك . وقال في قوله ﴿ لعمرك ﴾ أي بعمارتك شرك بمشاهدتنا . قلت . وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهديان . وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فليتنظر في ذلك الكتاب . وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : ﴿ ادعوا إلى الله على بصيرة ﴾ قال الواسطي : معناه لا أرى نفسي . وقال الشبلي : لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا . قلت : هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الأقوال في كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب ذم المال في قوله عز وجل : ﴿ واجتنبني وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ قال : إنما عني الذهب والفضة إذ رتبة البوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام ، وإنما عني بعبادته حبه والاعتزاز به .

قال المصنف رحمه الله : وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور في حقه الإشراك والكفر فجاء أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجتنبني وبنى » ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام . أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين ابن علي الطنাজيري نا أبو حفص بن شاهين قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز فقالت في قوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب ﴾

فقال هم لايات لى ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب « وهذا تبديل للقرآن وقالوا: «ولسليمان الريح» قالوا: ولى سليمان .

وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: قال أبو حمزة الخراسانى: قد يقطع بأقوام فى الجنة فيقال: «كلوا والشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية» فشغلهم عنه بالاكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المعنى به مكرراً، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى. وعلى مقتضى قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل. فما أجراً هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح. وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر. وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين. وإنسى لا تعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن إلى ما هذه حده. وقد أخبرنا على بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا: حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الحربى ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجونى عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ» . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» .

قال المصنف رحمه الله: وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إنى لا أقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قال: أخبرنا أبو عبد الله ابن خفيف قال سمعت رويما يقول: اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لثلاً تذهب ليلتنا فقالوا: نتكلم فى المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو. وكان فى القوم

عمرو ابن عثمان المكي فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله اليهم وقال: يا قوم اسكنوا فان هذا جوابكم. أنظروا ما في هذه الرسالة فإذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم تدعون حبه وأحرم البعض واغترقوا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله: قلت هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صححت فان شيطناً ألقى ذلك الرق، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنونهم الفاسدة. وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر. فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة .

وقد أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأرجى ثنا ابن جهضم ثنا الخلدی قال سمعت رويما يقول: إن الله غيب أشياء في أشياء غيب مكره في علمه. وغيب خداعه في لطفه وغيب عقوباته في باب كراماته. قلت: وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة. أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلکی قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالي يقول قال الحسن بن علويه. خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون التقى له حافتا النهر. فقال سيدي. ايش هذا المكر الخفي. وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر قال السهلکی. وسمعت محمد بن احمد المذكر يذكران أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت: وهذه جرأة عظيمة في إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التي هي نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا لعارفين فكيف تكون لغيرهم. وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورياني ثنا احمد بن الحسن بن محمد ثنى محمد بن جعفر الوراق ثنا احمد بن العباس المهلبی قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون في ريادة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وإن شاءت وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبداً فقليل له كيف ذلك قال. إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقاً ما فيه شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع الى ريادة الله أبداً قال وقال أبو يزيد. في الدنيا يخدعك

بالسوق وفي الآخرة يخذلك بالسوق فانت أبدأ عبد السوق.

قال المصنف رحمه الله: تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم في أخذ ما في السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة. ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبدأ نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم في العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها إلا نبي فمن أين له علمها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب: جمعني الله وإياك في سوق الجنة أفترأه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات علمه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلاً فثمرات الجهل كلها حظه. ورأيت بخط ابن عقيل: جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قلة علم وهو أن قوله - كف عظام - احتقار للآدمي فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام: وقوله - جرت عليهم القضايا - فكذلك جرى على فرعون، وقوله، أعف عنهم، جهل بالشرعية لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته في كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه، ومحمد ﷺ في أمه فنعوذ بالله من قلة العلم.

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قورى الخوياني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود. فقال: معذورين. ومر بقبر المسلمين. فقال مغرورين. قال المصنف رحمه الله. وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشقاوة. من غير فعل كان موجوداً في الارل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر.

قال المصنف رحمه الله: وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره.

ومن كلامهم فى الحديث وغيره . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهرى نا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال جاء أبو تراب النخشبى الى أبى فجعل أبى يقول: فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب . يا شيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبى إليه وقال له . ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة . أنبأنا يحيى بن على المدبر نا أحمد بن على ابن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى يقول سمعت محمد بن الفضل العباسى يقول . كنا عند عبد الرحمن بن أبى حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين . استحيت إليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا وراحلهم فى الجنة منذ مائة سنة أو مائتى سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن ابن أبى حاتم فانه لو كان فقيهاً لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبى تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لا يدرى الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه . وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله ابن يزيد الاربيلى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرى نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهوازى وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفى وقال سمعت الشبلى وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله ، فقال الشبلى . استحى أن أوجه إثباتاً بعد نفى . فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه . فقال اخشى أنى أؤخذ فى كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها. وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في كل دبر صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لا إله إلا أنت وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا إله إلا الله فإنظروا إلى هذا التعاطى على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن علي الحساب نا عبد الله بن علي السراج قال بلغني أن أبا الحسن النوري شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقبل له في ذلك فقال. ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده﴾ .

قال المصنف رحمه الله: انظروا اخواني عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النوري أنه رأى رجلاً قابضاً على لحيته نفسه إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغني أنه نبج كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ فقلت لبيك لأنه ذكر الله . فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصي غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل . نح يدك عن لحيته لله . قلت نعم . أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما في الدنيا والآخرة له . قلت عدم العلم أوقع هؤلاء في هذا التخييط وما الذي أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أحمد ابن محمد ابن عبد العزيز قال سمعت الشبلي يقول: وقد سئل عن المعركة. فقال. ويحك ما عرف الله من قال الله. والله لو عرفوه ما قالوه. قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البراداني يقول سمعت الشبلي يقول يوماً لرجل يسأله. ما اسمك؟ قال آدم. قال

وبلك. أتدرى ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمه. ثم كان يقول سبحانه من عذرني بالسوء قال ابن باكويه وسمعت بكران بن أحمد الجيلي يقول. كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال. بع مالك، واقض دينك، وطلق امرأتك. ففعل. فقال: أيتم أولادك بأن تؤسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قد جمعها. فقال اطرحها بين يدي الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي. قال: سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الخرقاني يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا أحمد ابن محمد الحلفاي قال. رأى الشبلى فى الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر. فقال له يا غلام ألا تغطى عورتك. فقال له: اسكت يا بطل: ان كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل. لأن الحق مشغول بالحق، والباطل مشغول بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرا فى الفقيه. قال حضرت بشيراز عند قاضيهما أبي سعيد بشر ابن الحسن الداودى - وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية - قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى فلما حضرا قالت له: أيها القاضى، ان هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه. قال. فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب - وحنق على مذاهب الصوفية - ثم قال لها. وكيف ليس له ذلك قالت: لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكران معناه قد انقضى منى وأنا معنای قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه أن يصير حتى ينقضى معنای منه كما انقضى معناه منى فقال لى أبو سعيد: كيف ترى هذا الفقه: ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق. وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الأحياء ان بعضهم قال: للربوبية سرلو أظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم. وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام .

قلت: فانظروا إخوانى إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

أن ظاهرها يخالف باطنها قال أبو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك فقال: اعتراضى عليه فيما يقضى أشد على من ذهاب ولدى .

قلت: لقد طال تعجبي من أبى حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالى: دخل يهودى الى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى . فقال له أريد أن أسلم على يدك فقال: لا ترد فاجتمع الناس وقالوا: يا شيخ تمنعه من الاسلام فقال له: تريد بلائد قال: نعم . قال له برئت من نفسك ومالك قال: نعم قال: هذا الاسلام عندى احملوه الآن الى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين . يعنى لا إله إلا الله قلت: وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فانه فى غاية القبح . ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الاسلام . ما أخبرنا به أبو منصور الفزارى نا أبو بكر بن ثابت أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضمى قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن احمد بن احمد الماسرخسى يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فانفقا على أن يسلما فقصد حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصارى وعبدالله بن المبارك خارج فى هذه السنة الحج واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت: وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الإسلام . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة قال: كان سهل بن عبد الله اذا مرض أحد من أصحاب يقول له: إذا أردت أن تشكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم بهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرئ يقول سمعت أبا محمد عبد الله

ابن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب ابن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول . صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

ذكر تلبس إبليس فى الشطح والدعاوى

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له وقال ابن مسعود : ليتنى اذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها : ليتنى كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثورى لحماذ بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لثلى .

قال المصنف رحمه الله : وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال ﷺ أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن على السهلکى قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو بكر عمر بن يمن ثنا أبو عمر الرهاوى ثنا احمد بن محمد الجزرى قال سمعت أبا موسى الدثلى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : وددت ان قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال : انى أعلم أن جهنم اذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه نى ابراهيم بن محمد نى حسن بن علوية نى طيفور بن عيسى نى أبو موسى الشبللى قال : سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلنى النار فقل له لم : قال حنى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه .

قال المصنف رحمه الله: هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ في وصفها فقال: ﴿واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ وقال: ﴿إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ الى غير ذلك من الآيات. وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ان ناركم هذه ما يوقد بن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم. قالوا له الصحابة والله ان كانت لكافية يا رسول الله. قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه في الصحيحين وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا أبو على التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا عيسى بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر ابن الخطاب: يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لاردت عملك مما ترى فأطرق عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال: ردنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها. فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال: ردنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم غير نفسي. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا محمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ نا أبي ثنا احمد بن محمد بن الحسن البغدادى نا ابراهيم بن عبد الله الجنيد نا عبد الله ابن محمد بن عائشة نا سالم الخواص عن فرات ابن السائب عن راذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل اتنى بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك

مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزغ كل امرئ الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتى لا أسألك الا نفسى . ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك الا نفسى . وان عيسى ليقول بما أكرمتنى لا أسألك الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى . قلت وقد روينا أن النبى ﷺ قال يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال: ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها ويكى عبد الله بن رواحة يوماً فقالت: امرأته مالك تبكى قال أنبئت انى وارد ولم أنبا أنى صادر .

١ قال المصنف رحمه الله: فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدري به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة . وقد قال ﷺ «من قال انى فى الجنة فهو فى النار» . وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بى يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو الى النار أو يعفو عنى . قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تليس إبليس . وقد كان ابن عقيل يقول: قد حكى عن أبى يزيد انه قال . وما النار والله لئن رأيتها لأطفأها بطرف مرقعتى أو نحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشئ ثمرة الجحود لأن من يؤمن بالجن يقشعر فى الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذونى . ومثل هذا القائل ينبغي أن يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول: سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول . سمعت أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى . ثم قال: حسى من نفسى حسى: قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه «سبحانى» حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد بشئ إن لم يرجع إلى ما قلته

فليس بشيء فأنبأنا ابن ناصر نا السهلكى نا محمد بن القاسم الفارسى
 سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفر الخلدى يقول: قيل للجنيذ
 إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى أنا ربى الأعلى : فقال الجنيذ. إن
 الرجل مستهلك فى شهود الجلال فنطق بما استهلكه، أذهله الحق عن
 رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعتة. قلت وهذا من الخرافات. أنبأت
 الحسن عن محمد ابن الفضل الكرماني ناسهل بن على الخشاب، وأنبأت
 أبو الوقت عبد الأول نا احمد ابن أبى نصر الكوفانى نا الحسن بن محمد
 بن فوزى نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت احمد بن سالم البصرى
 بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون
 قال «أنا ربكم الأعلى» والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر. وقال
 أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله. فقلت قد صح عندك هذا عن
 أبى يزيد فقال قد قال ذلك. فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات
 يحكى بأن الله يقول سبحانى لأنا لو سمعنا رجلاً يقول «لا إله إلا أنا»
 علمنا أنه يقرأ. وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن
 هذا فقالوا لا تعرف هذا. أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال
 سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن احمد قال سمعت
 الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدثيلى قال سمعت أبا يزيد يقول. كنت
 أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى. قال
 الشيرازى. وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول
 سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة
 فرأيت البيت: وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت.
 وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت. قال الشيرازى
 وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت
 أبا موسى الدثيلى يقول سمعت أبا يزيد «وسئل عن اللوح المحفوظ». قال
 : أنا اللوح المحفوظ. قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى الراغى.
 يقول سمعت سيرين يقول سمعت أبا موسى الدثيلى. يقول قلت لأبى
 يزيد بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت
 كيف. قال قلبى واحد. وهمى واحد. وروحي واحد. قلت وبلغنى أن
 واحداً قلبه على قلب إسرافيل. قال وأنا ذلك الواحد ومثلى مثل بحر

مصطلم لا أول له ولا آخر: قال السهلکی وقرأ رجل عند أبي يزيد ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ فقال أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه. وقيل لأبي يزيد بلغنا إنك من السبعة. قال: أناكل السبعة. وقيل له. إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال. والله إن لوائي أعظم من لواء محمد. لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين، وقال أبو يزيد. سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني ليس مثلي في السماء يوجد ولا مثلي صفة في الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو. أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا حمد ابن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد ابن أبي عمران ثنا منصور بن عبد الله. قال سمعت أبي يقول قيل لأبي يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أناكل السبعة. أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلکی قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسی قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخاری يقول سمعت أبا الحسين على بن محمد الجرجاني يقول سمعت الحسن بن على بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني» فقالوا: جن أبو يزيد فتركوه، قال: الفارسی وسمعت أبا بكر احمد، ابن مجمل النيسابوری قال: سمعت أبا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالي على ابن الحسين يقول سمعت الحسن بن على بن حياة يقول سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبي يزيد قال سمعت أبي يقول قال أبو يزيد: رفع بي مرة حتى قمت بين يديه فقال لي. يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك قلت يا عزيزي وأنا أحب أن يروني. فقال يا أبا يزيد إني أريد أريكهم. فقلت يا عزيزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك. قربني بوجدانيتك، وألبسني ربانيتك، وارفعني إلى أحديتك. حتى إذا رأيته خلقتك. قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك وأقامني وزيني ورفعني. ثم قال اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى على فنادى ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني ساعة. أنبأنا ابن ناصر نا السهلکی. قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ. يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه

يقول سمعت احمد بن محمد الصوفى يقول سمعت ابا موسى يقول
حكى عن ابي يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله
تعالى. وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يرانى. أخبرنا أبو بكر
ابن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق الحيرى ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا
أبو الطيب بن الفرغانى قال سمعت الجنيد بن محمد يقول. دخل على
أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع ابا يزيد البسطامى يقول: اللهم
ان كان فى سباق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقى
حتى لا تسع معى غيرى .

قال المصنف رحمه الله: أما ما تقدم من دعاويه فما يخفى قبورها. وأما
هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه. أحدها أنه قال ان كان فى سابق علمك
وقد علمنا قطعاً انه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل
منهم خلقاً. كفرعون وأبى لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين
إن كان والثانى قوله تعظم خلقى فلو قال لا دفع عن المؤمنين ولكنه قال
حتى لا تسع غيرى فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله
عز وجل. والثالث أن يكون جاهلاً بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه
بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت: ثم قال والله لقد تكلمت أمس
مع الخضر فى هذه المسألة وكانت الملائكة يستحسنون قولى. والله عز
وجل يسمع كلامى فلم يعب على ولو عاب على لاخرسنى. قلت لولا
أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغى أن يرد عليه. وأين
الخضرومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله. وكم من قول معيب لم
يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغنى عن ميمون عبده قال بلغنى عن سمون
المحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب آياته التى قال فيها .

وليس لى فى شواك حظ فكيفما ما شئت فامتحنى

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب
وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب .

قال المصنف رحمه الله: إنه ليقشعر جلدى من هذه أتراه على ما
يتقاوى وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا
العافية. وقد قال من عرف الله كل لسانه. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو
سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال: سمعت محمد بن داود الجورجاني

يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثني الثقة عن أبي الحسين النورى وسأله فقال كذا كان. قال: كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبى الحسين أخرج لنا من دجله سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى فحرك شفثيه. فاذا سمكة فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقى ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميريه. فقل لأبى الحسين: سألتك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال: قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أراقى لأغرقن نفسى فى دجلة.

أخبرنا أبو منصور القزار نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد ابن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمداني قال سمعت جعفرأ الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول: كنت بالركة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها. وقالوا نخرج ونصطاد السمك. فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص. فقلت لمولاي إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات. فأخرجت سمكة فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان. قال الجنيد: فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط. قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لأأكل شيئاً. قال فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه. أخبرنا ابن حبيب نا بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول: أكبر ذنبى إليه معرفتى إياه.

قال المصنف رحمه الله: هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى وإلا فهو قبيح. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى احمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول: أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني
 نا سهل بن علي الخشاب. وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبي نصر نا
 الحسن بن محمد بن فوري قال نا عبد الله ابن علي السراج قال سمعت أبا
 عبد الله احمد بن محمد الهمداني يقول. دخلت على الشبلي فلما قمت
 لأخرج كان يقول لي ولمن معي الى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم
 حيث ما كنتم وأنتم في رعايتي وكلاءتي. نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله
 الحميدي نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستاني نا أبو عبد الرحمن السلمي
 قال سمعت منصور بن عبد الله يقول. دخل قوم على الشبلي في مرض
 موته الذي مات فيه. فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول:

ان سلطان حبه قال لا أقبل الرشا
 فسلوه فديته ما لقتلى تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلي أنه قال أن الله سبحانه وتعالى
 قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾. والله لأرضى محمد ﷺ
 وفي النار من أمته أحد. ثم قال: إن محمداً يشفع في أمته وأشفع بعده
 في النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبي
 ﷺ كاذبة فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار. كيف وقد لعن في
 الخمر عشرة. فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى
 باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع. ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في
 الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه
 من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام
 يزيد على مقام النبوة بل يزيد على مقام المحمود وهو الشفاعة العظمى.
 قال ابن عقيل والذي يمكنني في حق أهل البدع لسانى وقلبي ولو اتسعت
 قدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء خلق.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد ثنا أبو طاهر
 محمد ابن علي العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد
 الله العلقمي صاحب أبا العباس ابن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء
 يقول. قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأنشئ عليه حتى
 ابتلاه. فسألت الله تعالى أن يتلينى فما مضت الأيام والليالي حتى خرج
 من دارى نيف وعشرون ميتاً مارجع منهم أحد. قال وذهب ماله، وذهب

عقله، وذهب ولده وأهله. فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها. وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته

حقاً أقول لقد كلفتنى شططا حملى هواك وصبرى أن ذا عجب

قلت: قلة علم هذا الرجل أثمر أن سأل البلاء. وفى سؤال البلاء معنى التقاوى وذاك من أقبح القبيح. و- الشطط- الجور ولايجوز أن ينسب إلى الله تعالى. وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت فى زمان التغير، أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا محمد بن الحسين السلمى سمعت أبا الحسن على بن ابراهيم الحصرى. يقول، دعونى وبلائى أستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأمره بأمره فخالفه. إذا كان أول الدن دردى كيف يكون آخره. قال وقال الحصرى كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيز من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق.

قال المصنف رحمه الله: قلت أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب. وأما الثانى فمخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال «إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» أخبرنا أبو بكر بن أبى طاهر نا عباد ابن ابراهيم النسفى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب أبى بخطه سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول. قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سمواً الطبع زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمدوم طيبة وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، واتباع الهوى ابتلاء، والرجوع الى الدنيا وصولاً والسؤال عملاً. وبدأ اللسان ملامة وما هذا طريق القوم. وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة، أوقات. وقالوا فى المردان شب وفى المعشوقة أخت. وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب وجد، وفى مناخ اللهود والبطالة رباط. وهذا التغير للأسماء لايباح.

بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة

قلت: قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وأما نذكر ههنا من

امهات الأفعال وعجائبها. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج. قال ذكر عن أبي الكريتي - وكان أستاذ الجنيد - انه أصابته جنابة. وكان عليه مرقعة تخينة. فجاء إلى شاطئ الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج. وقال : عقدت أن لا أنزعها عن بدني حتى تجف على فلم تجف عليه شهراً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن على ثنا على بن عبد الله الهمداني ثنا الخلدی ثنی جنید قال سمعت أبا جعفر ابن الكريتي يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً وحدثتني نفسي لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حماماً. والا اعبا على نفسك. فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى في طول عمري. يجب له على حق لا أجد المسارعة اليه. وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر. آليت لا أغتسل الا في نهر. وآليت لا أغتسل الا في نهر. وآليت لا أغتسل الا في مرقعتي هذه. وآليت لا أعصرنها وآليت لا جففنها في شمس أو كما قال. قلت قد سبق في ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريتي وأنه وزن أحد كميتها فكان فيه أحد عشر رطلاً وإنما ذكر هذا للناس ليعين أنى فعلت الحسن الجميل. وحكوه عنه ليعين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصي الله سبحانه وتعالى بما فعل. وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء. ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيب: إلقاؤها في الماء البارد، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد. ولعله قد يقى من مغابته ما لم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة، وبقائها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه لذة النوم. وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله.

أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي قال أخبرنا حمد بن احمد ابن عبد الله الأصبهاني، قال: كانت أم على زوجة احمد بن حضرويه قد أحلت زوجها احمد من صداقها على أن يزورها أبا يزيد البسطامي فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها. فلما قال

لها أحمد: رأيت منك عجباً. أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد: قالت لأنني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي. وكلمنا نظرت إليك رجعت إلى حظوظ نفسي. فلما أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصني. قال تعلم الفتوة من زوجتك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازي «وفار قرية بطرسوس» سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول: كان بين أحمد بن أبي الخوارى وبين أبي سليمان عقد أن لا يخالفه في شيء يؤمره به فجاءه يوماً وهو يتكلم في المجلس فقال ان التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له في الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك. فقال أبو سليمان الحقوه فإن بيني وبينه عقداً أن لا يخالفني في شيء أمره به فقام وقاموا معه فجاؤا إلى التنور فوجدوه قاعداً في وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش.

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صححت كان دخوله النار معصية. وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنّها قال فهم القوم ان يدخلوا فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا عجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها فرجعوا إلى النبي ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ «لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف». أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزار نا أحمد ابن علي بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر ابن علي أخبرني عبد الله بن ابراهيم الجزري قال: قال أبو الخير الدثيلي كنت جالسا عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطيني المنديل الذي دفعته إليك قال نعم فدفعه إليها قالت كم الأجرة قال درهمان قالت مامعي الساعة شيء وأنا قد ترددت إليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير ان آتيني بهما ولم تجدني فارمي بهما في دجلة فإنني إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك

افعللى ماأمرتك . قالت ان شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائباً واذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة واذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصّة وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به فى حياتى فأجبتة إلى ذلك .

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفى الصحيح أن النبى ﷺ «نهى عن إضاعة المال» . ولا تلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفاً لشرعه . أخبرنا أبو منصور القزار نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الوريانى سمعت على بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النورى ذات يوم قرأيت رجلية متفختين فسألته عن أمره . فقال طالبتنى نفسى بأكل الثمر فجعلت أدافعها فتأبى علىّ فخرجت فاشتريت . فلما ان أكلت قلت لها قومى فصلى فأبت علىّ فقلت لله على ان قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا فى التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ماأحسن هذه المجاهدة ولايدرى أن هذا الفعل لايجل لأنه حمل على النفس مالا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء قال كان بعض الشيوخ فى بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحر إذا خاف من تفرقه على الناس رعونة الجود ورياء البذل : قال وكان بعضهم يستأجر من يشتبه على ملاء من الناس لعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغى للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه

فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان ، وان رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم . وان رآه عزياً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره إن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وأنى لأتعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً وكيف يحل رمى المال فى البحر . وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب . وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بآداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف .

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن ابن على الدامغانى . قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبى يزيد لا يفارقه . فقال له ذات يوم . يا أستاذ . أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجِد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئاً البتة . فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما آراك لا تجد من هذا العلم زرة . قال ولم يا أستاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له : أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال : بلى أقبل واعمل ماتقول . قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس واهرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة وأملأها جوراً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلا صوتك يا صبيان . من يصفعنى صفعة أعطيه جورة وادخل إلى سوقك الذى تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا . فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها . فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله . فقال أبو

يزيد ابتدر هذا قبل كل شئ حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك مايصلح لك قال: لا أطيق هذا. قال: انك لا تقبل.

قال المصنف رحمه الله: قلت ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شئ بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام «ليس للمؤمن أن يذل نفسه». ولقد فأتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لثلا يرى بعين النقص فى قصة الصلاة. وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ «من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله». كل هذا للإبقاء على جاه النفس. ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحا فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدئ بما لا يرضاه الشرع فينفر.

وقد حكى أبو حامد الغزالي فى كتاب الأحياء عن يحيى بن معاذ انه قال قلت لأبى يزيد هل سألت الله تعالى المعركة يقال عزت عليه أن يعرفها سواء. فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسمع أحداً من المسلمين جهله وان تخايل له أن معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به.

وحكى أبو حامد: أن أبا تراب النخشبى قال لمريد له. لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة، قلت. وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكرينى انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبى فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى وخرجت فجعلت أمشى قليلا فلحقونى فتزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى. قال أبو حامد. فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عاجلوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام. قلت سبCHAN من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب

الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل : والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمى أصحابه أرباب أحوال وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة فى النهى عنه وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى وقد عدم فى الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل مالا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الامراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك الشريعة ماتفى بالسياسة . وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصيا بذلك، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه . ثم فى نص مذهب احمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثيابا عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبنى من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبنى من هذا المستلب الثياب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا بن باكره قال : سمعت محمد بن احمد النجارى يقول . كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوما من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته .

قلت : واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز فى الطباع إن الإنسان لا يحب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحى من العرى وكشف الرأس والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والقفل فهو إسقاط مروءة لارياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء فى الحديث «الأكمل فى السوق دناءة» . فان الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقترحوا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبها . فقيل له : لم تعزل . فقال

بلغنى أن العزل مكروه فقليل له ومابلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المدينى . يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فينا أنا أمشى على شاطئ النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتهما وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسعيت همهمة وتخبيطا فى الماء . فنظرت فإذا بأبى الحسن النورى قدلقى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأيته علمت أن الشياى له فنزلت إليه فنظر إلى ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بى . قد أمانى موتات وقال لى مالك منا الا الذكر الذى لسانه الناس . وأخذ يبكى ويقول ترى ما يفعل بى . فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين والبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا: السباع تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . اين أنت ياسبع . فما شككنا أن الأسد قد أفرسه أو قد هلك فى أصول القصب . فلما كان قريب الصبح . جاء فطرح نفسه وقد هلك رجله . فأخذنا بالمنقاش ما قدرنا عليه فبقى أربعين يوما لايمشى على رجله . فسألته أى شئ كان ذلك الحال . قال : لما ذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعا فقلت لأطرحنك إلى ما تفرعين منه .

قلت : لا يخفى على عاقل تخييط هذا الرجل قبل أن يسقع فى الماء والطين . وكيف يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تحف الألسن فى أفواهها هبة . ثم الذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان نفسه إلى سبع .

أترى إراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا فهو طوقها ولا طلبه الشرع منها. ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبي صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الخواط نا ابو احمد المغازي قال: رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول: من الخلق أو حشنتى، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى. ويقول مامعك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط. أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسن النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار يبيع له: وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول. جئتى - تريد أن تخذعينى منك بمثل هذا. قال السراج. فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له فقلت. إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفه عين كان الواجب أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصة من فتنها كما قال الله عز وجل: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾. قلت: لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل. وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم إلا الى رشيد، وجعله قواماً للآدمى، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح: فاذا رمى به الانسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع، واعتذار السراج له أقبح من فعله. لأنه ان كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه الى فقير ويتخلص، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق، ويظن بذلك جوار الفساد والفساد لا يجوز فى شريعة، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد سبق بيان هذا، وقال أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج، خرج استاذى يوماً يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلاً وبات لم يأكل شيئاً. فلما رجع قلت له، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جوع، فقال أخذه؟ رده، ثم قال لى بعد ذلك: خذه واشتر به شيئاً، فقلت له، بحق معبودك ما أمر هذه القطع

فقال: لم يرزقني الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصي أن تدفن معي فإذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذي أعطيتني من الدنيا. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبد الله الحصري يقول، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله: قلت لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل، ولو قدرنا جوارها، فأين أنفة النفس من ذل الطلب، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا احمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن جنبل ثنى أبي ثنا اسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال قال رسول الله ﷺ . لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله عزوجل وما على وجهه مزعة لحم، قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال: قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلاً فيحتطب ثم يجيء فيضعه فى السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

قلت: انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله، وفى حديث عبد الله ابن عمرو عن النبى ﷺ انه قال: لا تحمل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى - والمره - القوة، وأصلها من شدة قتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا أحكمت قتله. فمعنى المره فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب. قال الشافعى رضى الله عنه. لا تحمل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الفزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد المالينى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والآخرى على الدار. فسمعتة يقول لئن أطرقت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى: يا بنى ما سمعت الليلة ذاكراً لله عز وجل إلا ديكا يساوى دانتين .

قال المصنف رحمه الله: هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان.

أحدهما: مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيماً على نفسه ولا شك أنه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية، والثاني: أنه منع عينه حفظها من النوم. وقد قال ﷺ إن لجسدك عليك حقاً وإن لزوجتك عليك حقاً. وإن لعينك عليك حقاً وقال: إذا نعس أحدكم فليرقد ومر بحبل قد مدته زينب فإذا فترت أمسكت به فأمر بحبله. وقال ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الأحاديث في كتابنا هذا أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الأردستاني ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا العباس البغدادي يقول: كنا نصحب أبا الحسن بن أبي بكر الشبلي ونحن أحداث، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن لا تدخل علينا أباك، فقال لا يدخل. فدخلنا داره فلما أكلنا إذا نحن بالشبلي وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة - ثمان شموع - فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه، فقال يا سادة عدوني فيما بينكم طشت شموع، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم إليه فقال غننى الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حاً دى جملى حاراً
فقلت احطط بها رحلى ولا نحفل بمن سراً

فغنيت فتغير وألقى الشموع من يده وخرج. أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله ابن عبد الله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد بن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للناس فطر وعيد انى فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا التنوخى ثنا أبو الحسن على بن محمد بن أبى صابر الدلال قال: وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجهاً منه يعرف بابن مسلم فقال له: تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا سثروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لتضيء لا لتعبد . وباسناد عن احمد بن محمد النهاوندى يقول مات للشبلى ابن ولد كان اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه ، وكان للشبلى حية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقيّل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال . جرت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتى على موجود . وباسناد عن عبد الله بن علي السراج قال : ربما كان الشبلى يلبس ثياباً مثمّنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار ، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج : إنما أحرّقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله . قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ «اخشثوا فيها» فقال ليتنى كنت واحداً منهم ، قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلى يوماً فى مجلسه إن الله عبادة لو بزقوا على جهنم لأطفؤوها ، قلت ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبى يزيد وكلاهما من إناء واحد . وباسناد عن أبى على الدقاق يقول : بلغنى أن الشبلى اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا فعل قبيح لا حل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال . وباسناد عن أبى عبد الله الرازى قال ، كسانى رجل صوفاً فرأيت على رأس الشبلى قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيته فى نفسى ، فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلى قتبعتة ، وكان عادته إذا أراد أن

أتبعه يلتفت إلى فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما، قلت، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها في دجلة وقال، ما أعزك أحد إلا أذاله الله، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه. وبإسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قالى. حدثني من كان مجالسا لبنان أنه قال: تعذر على قوتي يوماً ولحقني ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطرحة في الطريق فأردت أخذها فقلت لقطعة فتركتها، ثم ذكرت الحديث الذي يروى «لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالاً» فأخذتها وتركتها في فمي ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم، فقال له واحد، متى يجد العبد حقيقة الصدق، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمي ورميتها.

قال المصنف رحمه الله: لا يختلف الفقهاء أن رميه إياها لا يجوز، والعجب أنه رماها بقول صبي لا يدرى ما قال، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن شقيقاً البلخي جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له أي شيء معك قال لوزات دفعها إلى أخ لي وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فاغلق الباب في وجهي ودخل.

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وقد أذخر رسول الله ﷺ لأرواحه قوت سنة وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأذخر الباقي ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد. وبإسناد أحمد بن إسحاق العماني قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له يا صابر ما بلغ من صبرك قال إنى هويت النظر إلى رينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عيني منذ ثمانين سنة فلم أفتحها، وقد حكى لنا عن آخر، انه قير أحد عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا

بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول. وقد حكى يوسف بن أيوب الهمداني عن شيخه عبد الله الجوني انه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم في الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى أذهبت عمرك فى هذا فقلت انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس الهثر ورميت نفسى فيها وجعلت أدخل النجاسة فى قمى فجاؤا وأخرجونى وغسلو بى قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وإدخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخييطهم. وبإسناد عن محمد بن على الكتانى يقول دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى أخذنا منها قملة فورناها فإذا فيها نصف دائق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذية من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته .

وبإسناد عن أبى عبد الله بن ملحق يقول كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاء مرة جوعاً شديداً فقال يا رب إما أن تطعمنى إما أن ترمينى بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم، ويقول، إيش تبالى بقتل العالم، قلت، قتل الله هذا ولا أحياء فى مقابله هذا الاستنباط، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية. وبإسناد عن غلام جليل قال: رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول ! أشهدكم على الله هو ذا يقتلنى، وسقط ميتاً .

فصل

وفى الصوفية قوم يسمون الملائنية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفى القوم طائفة يظهر من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ : من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . وقال فى حق ما عز هلا سترته بشؤبك يا هذا، واجتاز على رسول الله

عليه السلام بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفيه زوجته فقال له أنها صفيه وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لثلا يسوء ظن الناس به وقد قدمنا هذه. وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إنى لمست امرأة وقبلتها، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبی ﷺ وقال إنى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال: ألم تصل معنا قال بلى يا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة إنى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس.

فصل

وقد اندس فى الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول، كفار فممنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقربه ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئاً يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفره وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله، والقسم الثانى قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين: القسم الأول يقلدون فى أفعالهم لشييوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها. والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا ييغضون إسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمر و يقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فإن أنكر عليهم عالم قالوا لاتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد فى خلافهم قالوا: هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ثم

عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم، فقد بطل إنكارهم العلم، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات:

الشبهة الأولى : أنهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة، وأقواما بالشقاوة، والسعيد لا يشقى، والشقى لا يسعد والأعمال لا تتراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة، وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ لأن المكتوب فى القدر واقع لا محالة .

والجواب عن هذه الشبهة، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وإبطال لجميع أحكام الكتب وتبكيك للأنبياء كلهم فيما جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فمصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فمصيرى الى الشقاوة فما تنفعنى إقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقصيتان قد فرغ منهما، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك الى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول، ما فائدة ارسالك الرسل وسيجزى ما قدرته . وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا الا نتكل، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم ان للأدمى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب، فإذا خالف تبين لنا ان الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه . ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر، وإنما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لانعلمه من المقضى وقول «فكل ميسر لما خلق له» إشارة إلى أسباب القدر، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قبله، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح، ومن لم يقض له بولد لم يسر له .

الشبهة الثانية: أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى غير فائدة .

وجواب هذه الشبهة أن نحيب أولا - بالجواب الأول، ونقول هذا رد

على الشرع فيما أمره فكأننا قلنا للرسول وللمرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله عز وجل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جلا جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالح من الأغذية ومضار فلأنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح، هذا مذهب من علل وأكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعلل، وجواب آخر، وهو أنه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته، فكذلك أوجب طاعته، فينبغي أن ننظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره .

الشبهة الثالثة: قالوا قد ثبت سعه رحمه الله سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

فالجواب كالجواب الأول، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت في التحذير منه في ذلك وبالغت في ذكر عقابه وما يكشف التلييس في هذا أن الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يستلون بالأمراض والجوع يأخذون بالزلزل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة، فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى، والكليم يقول نفسى نفسى، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الربيل لعمران لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد ررع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني». وقد قال معروف الكرخي: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق. واعلم أنه ليس في الأفعال التي تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما

فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو برىع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا .

الشبهة الرابعة: ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من أكارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا فى أمر لا يحصل لبشر فتركوا العمل . وكشف هذا التلبس انهم ظنوا ان المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان ولولا شهوة النكاح انقطع النسل . ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مكرور فى الطباع لأنه يوصل الى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردھا الى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان إلى نهىها، وقد قال الله عز وجل: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ وما قال والفاقدين الغيظ، والكَظْم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرتة اذا ردها فى حلقة فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطماع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاح كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالي بما جنى .

الشبهة الخامسة: ان قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا لا نبالى الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهي رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف لأننا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا ان من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبى فلم يقشعر جلده فان أقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لما تفتت نفسه فسموا الغيرة نفساً

وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخائث كمال الإيمان . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستجلون الحرمت فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته .

وكشف هذه الشبهة انه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس ، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شئ يحركه كالمدررة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغير طبعه كذب ومن قال انى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا أقواماً منهم يضافحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يضافح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردى وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالآخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز . وباسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم للمرأة تؤاخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن على المروزى كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذى ، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت ، أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الادمى وإنما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهى اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قيل لأبى نصر النصر إباحى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترىء

على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو على الروريارى وسئل عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن إلى سقر. وبإسناد عن الجريرى يقول سمعت أبا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندى عظمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا، وأن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله واليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها لأنه أؤكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى. وبإسناد عن أبى محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول من رأيت يدهى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى فلا تقربنه ومن رأيت يدهى حالة باطنه لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه.

الشبهة السادسة: أن أقواماً بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا انهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شىء ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال الا انهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية فى المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم.

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة. فمنهم من عبد سواه تعظيماً له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد الا أنه أسقط العبادات وقال - هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وحو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لدعها وقال لأهل المعرفة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للإنسك والاستقبال فابان عن حقائق الايمان به فقال. ﴿وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله﴾ وقال ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفى مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وبإسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه. قال: أخبرنى جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقة ألف من الناس وأنه فاره فهم حاذق. فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال: فمات رجل منهم من أصحابه وخلف روجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بآتمهن غير هن: فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت. قد تعزيت. فقال لها ههنا غير. فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم، وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار، وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنز البركات. قال فقلن النساء إذا شئت. قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا. قال المحسن. قوله ههنا غير أى ههنا غير موافق المذهب. فقالت لا غير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممارسة فى الوطء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن فى كل جسم نوراً الهياً. وقوله الاخلافات أى يكون لكن خلف بمن مات أو غاب من أزواجكن. قال المحسن وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ما حكيت له عظمه عندى واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام، قال: وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا.

فصل

ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لا يحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم

وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبى. قال: كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا. فقلت له: يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا قال ويحك ومسلمين هم. قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه:

يا هذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط .
وياسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول: لو أن
رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحرق. وعنه أيضاً أنه
قال. مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً وأنشد الشافعي:
ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حفاف
وياسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبي الخوارى. قال: قال أبو
سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مروق. قال وأنا
أرق لهم.

وياسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: مارأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس
الخلواني. قال السلمى. هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون .
وياسناد عن يونس بن عبد الأعلى: يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة
ما رأيت فيهم عاقلاً الا مسلم الخواص. وياسناد عن أحمد بن أبي
الخوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً
يقول: مارلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث. وياسناد
عن سفيان عن عاصم يقول: قال لى وكيع لم تركت حديث هشام. قلت
صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً. فقالوا: إن لم تمنح حديث
هشام قاطعناك فاطعتهم: قال إن فيهم حمقاً. وياسناد عن يحيى بن يحيى
قال الخوارج أحب إلى من الصوفية. وياسناد عن يحيى بن معاذ يقول
اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين
والمتصوفة الجاهلين. وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا
الكتاب. إن الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به وبسطام
على أبى يزيد وأخرجوه، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى، وهرب من
أيديهم أحمد بن أبي الخوارى وسهل التستري. وذلك لأن السلف كانوا
ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكاً بالسنة ولقد حدثنى أبو الفتح
بن السامري. قال: جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقهاء مات
فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوزانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب
الرباط وقال: يعز على لورأتى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل
هذا الرباط. قلت: على هذا كان أشيائنا.

فاما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعاً والمشاذ بالوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة، من تلميع السقلاطون بالوان الحرير، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبى الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس، ويستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة لباسهن الخرقه، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه، ويسمون الطرب وجداً، والدعوة وقتاً، واقتسام ثياب الناس حكماً، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق. ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قرينة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخذة مجاب اعتقاداً منهم أنه قرينة وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قرينة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكراهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم فان عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه . فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه فى سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفى الأفعال المعلومه كونها فى الشريعة فسقاً . فان قبل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبيه قيل بنته وقد لبست الخرقه، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكة قيل حكم الخرقه . وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم . والضرب بدل من الخطاب، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه . وقد قال إن اعوججت فقومونى ولم يقل فسلموا إلى . ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد أمنا^(١) وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل ؟ وآخر

يقول: أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: ﴿اتجعل فيها﴾. ويقول موسى: ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلوكها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل. وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي إليها العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون في الصغائر. فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات. وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع. ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة. فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق. فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين. وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع. وإن سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا مساكين أخذوا علمهم مينا عن ميت. وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات لقلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال. لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات. وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم. والحق يثقل كما تثقل الزكاة. وما أخف البذل على المغنيات. وإعطاء الشعراء على المدائح. وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمير «بشئ سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم» سموه الماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمته فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع باللفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات .

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت

وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودمائة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال . واعلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان يحبون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا فى باب العقائد عبيد تسليم وفى باب الآخر أرباب جدد . قال : ونصيحته إلى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به . ومن قال حدثنى قلبى عن ربي فقد صرح انه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأينا يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثنى قلبى عن ربي أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : ﴿وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقي فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوسوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ للذايين عن الشريعة حفظاً لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

قال ابن عقيل: والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرق من الرجال الأجانب فإذا حضروا السماع والطرب فرما جرى في خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمي بالذيوث وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيّق الخناق ولا يحجر على الطباع. ويقال: تابت فلانة والبسها الشيخ الخرق وقد صارت من بناته. ولم ينعنوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة في القلوب. هذا لله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقدًا مجيدًا متلمحًا فقيهاً أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغوني قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكري قالوا أنشدنا أبو بكر السعيري لنفسه في الصوفية .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصير في نا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبي قال أنشدنا الحسن بن علي بن سيار :

قال الصوري وأنشدني بعض شيوخنا :

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزي لأبي العلاء المعري:

زعموا بأنهم صفوا للمليكم كذبوك ما صافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها غرضي خلاف الحق لا الصفصاف
أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازي الفقيه
لبعضهم:

أرى جيل التصوف شر جيل
فقل لهم واهون بالحلـول
أفال الله حين عشقتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

الباب الحادى عشر

فى ذكر تلبس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن إبليس انما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد من يرى ضوءاً أو نوراً فى السماء فان كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وان كان فى غيره قال قد فتحت لى ابواب السماء . وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس .

والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة . وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمى أنهما قالاً : ان الشيطان ليلعب بالقرءاء كما يلعب الصبيان بالجرور ولقد استعوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن لجة الحوطى قال : ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان . قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبى الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ فى التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب الى أبيه يابته أعجل على فإننى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال : فزاده أبوه غيماً وكتب إليه . يابنى أقبل على ما أمرت به إن الله يقول : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ ولست بأفأك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجئ إلى أهل المساجد رجلاً رجلاً فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى يرضى قبل والاکتم عليه : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتى إلى رخامة فى المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف فى الشتاء ويقول : أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجلاً على خيل ، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إنى نبي فقال له القاسم كذبت ياعدو الله فقال

له أبو إدريس بشس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيرة فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال . إن كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر . قال فانظر . فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى قلبى وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر آن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصرى يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له . أئذن لى فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها . قال فأذن له فخرج مسرعا إلى عبد الملك وهو بالصنيرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . ومانصيحتك قال نصيحة لأمر المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال ومانصيحتك قال . اخلى لا يكن عندك أحد فأخرج من فى البيت وقال له ادنى قال أدن فدنا وعبد الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال : ياأمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا وهنا فمرنى بما شئت . قال : ياأمير المؤمنين ابعث معى قوما لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطقوا مع هذا فما أمركم به من شئ فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلانا هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرنى بما شئت . فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت . أسرجوا أسرجوا جميعا فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب

استأذن لى على نبى الله قال فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح . قال أعلمه أنى ما رجعت الا شوقا اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى اسرجوا الشموع فأسرجت حتى كان كأنها النهار ثم قال من مر بكم فأضبطوه كائنا من كان ودخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث : هيهات تريدون تقتلون نبى الله قد رفع إلى السماء . قال فطلبه فى شق قد هياه سرباً فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه فبينما هم يسرون به على البريد اذ قال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك انت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلاً فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الأنبياء لايجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل بتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنقذها فقتله . قال الوليد : بلغنى أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ماأمرتك بقتله . قال ولم . قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية ﴿ قل ان ضللت فإنما أضل على نفسى وان اهتديت فيما يوحى إلى ربي ﴾ . فتقلقت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأم رجلاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فائتنت فتكلم الناس وقالوا ماينبغى لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسى برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه . وسمعت من قال قال عبد الملك للذى ضربه بالحربة لما انتنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه

فذكر الله ثم طعنه فأنفذهـاـ.

فصل

وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبي عمران قال : قال لى فرقد. ياأبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريتي وهى ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندى فدعوت فيينما أنا أمشى على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هى ستة لا تزيد ولا تنقص. فقال تصدق بها فانها ليست لك. قلت. أبو عمران هو ابراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة. فانظروا الى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم. وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت الى مايشبه الكرامة. وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لايجب التعريف لما دون الدينار. وكأنه إنما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها. وباسناد عن ابراهيم الخراسانى أنه قال احتجت يوما إلى الوضوء فاذا أنا بكور من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستنكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت. قلت فى هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لايجوز ولكن قل علمه فاستعمله. وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبى الفضل الهمدانى المؤرخ قال حدثنى أبى قال كان السرمقانى المقرئ يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى إلى المسجد بدرب الزعفرانى واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم فى وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذى يأوى اليه السرمقانى أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبز أسميداً ومعها دجاجة وحلوى سكرأ ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام. فأتى السرمقانى فى أول يوم فرأى ذلك مطروحا فى القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب. وقال فى نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانـه وأن لاأحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدنى :
من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه. فأخذ يورى ولا يصرح، ويكسني ولا يفصح. ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه. فقال له ابن العلاف. يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذى فعل ذلك فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار.

فصل

ولما علم العقلاء شدة تليس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تليسه. روينا بإسناد عن أبى الطيب يقول : سمعت زهرون يقول : كلمنى الطير وذاك أنى كنت فى البادية فتهدت قرأيت طائرا ابيض فقال لى يا زهرون أنت تائه. فقلت : يا شيطان غرغيرى. فقال لى : أنت تائه فقلت : يا شيطان غرغيرى. فوثب فى الثالثة وصار على كفى. وقال : ماأنا بشيطان أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عنى. وبإسناد عن محمد ابن عبد الله القرشى قال حدثنى محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثتنى زلفى قالت : قلت لرابعة العدوية ياعمة لم لاتأذنين للناس يدخلون عليك قالت وماأرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى مالم أفعل. قال القرشى. وزادنى غير أبى حاتم. أنها قالت. يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى، ويطيخ لى القدر بغير نار. ولو رأيت مثل هذا فزعت منه : قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول. يقولون إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب فهل تجددين شيئا فيه. قالت : يابنت أخى لو وجدت فى منزلى شيئا مامسسته ولا وضعت يدى عليه. قال القرشى وحدثنى محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو. وحدثتنى زلفى عن رابعة لأنها أصبحت يوما صائمة فى يوم بارد قالت فنارعتنى نفسى إلى شئ من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندى شحم فقلت. لو كان عندى بصل أو كراث عالجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب فى منقاره بصلة. فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان. وبالإسناد عن محمد بن يزيد. قال كانوا يرون لو هيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه. قال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد س أبى عثمان النيسابورى يقول خرجنا جماعة

مع أستاذة أبي حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا قطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأبل قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديدا. فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا قطابت قلوبنا، فلما جاء هذا لاوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك. فقال: نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى لو أن شاه ذبحها ودعوتكم عليها. فما نحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيلى لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه. قلت فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الآخرة فقيرا لاشئ لى. فهذا الذى أزعجنى.

فصل

وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل. أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد ابن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد عبد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال: قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل. كذا فى الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الأولياء فى طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة. وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل. فأقام فى المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم. فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف. قال وبى على فاقتي فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم فى الاسلام وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لانكلم محجوبا بما معه فامض واطرح مامعك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع إلينا حتى تنال ماننال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى

مامعى فدفنته ورجعت. فقال لى. رميت مامعك. قلت نعم. قال:
فرايت شيئا قلت. لا، قال مارميت شيئا إذن فارجع فأرم به فى الوادى
فرجعت ففعلت. فإذا قد غشيتنى مثل الدرع نور الولاية فرجعت فإذا فى
الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم ألث دون
المضى إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين رزم والمقام فأقبلوا إلى بأجمعهم
يسألونى عن حالى ويسلمون علىّ. فقلت: قد غنيت عنكم وعن
كلامكم آخرأ كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فى غير الله موضع.

قال المصنف رحمة الله: عمرو بن واصل ضعفه ابن أبى حاتم.
والأدمى وأبوه مجهولان. ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم اطرح
مامعك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال.
وقوله غشيتنى نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه
الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة
لهم. أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكتى قال: سمعت محمد بن
على الواعظ. قال: وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد قال
قال: أبو موسى السديلى، دخلت على أبى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف
يضطرب فقال لى تعال ثم قال إن رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه
بشئ من علم الحياء فدار دورانا حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد
وقال أحمد بن حضرويه، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصا
فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص
حتى لم يبق منه شئ، قل وهذه من المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال
ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئا لكان الاضراب عن ذكرها
أولى. أبنا أبو بكر ابن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه
قال ثنا أبو حنيفة البغدادي قال ثنا عبد العزيز البغدادي قال كنت أنظر فى
حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلًا يقول: ﴿وهو
يتولى الصالحين﴾ فالتفت فلم أر شيئا فطرحت نفسى من السطح فوقفت
فى الهواء.

قال المصنف رحمه الله: هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا
صحته فإن طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى
عنه فقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فكيف يكون

صالحا وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك . قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه .

فصل

وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد رويانا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والخلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فإذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشى والناس معه فإذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فتركهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده إلى الهواء وي طرح الذهب فى أيدي الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن أو من بك إذا أعطيتنى درهما عليه إسمك واسم أهلك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن احمد ابن عمار الصيرفى ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال : لما أخرج حسين الحلاج المقتل مضيت فى جملة الناس فلم أرل أراحم حتى رأيته . فقال لأصحابه . لا يهولنكم هذا فأنى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحا . وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئا من اعتقاده وتخليطه وبيننا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائرا فى الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعلم من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك إليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم العيب . قال ، وما كان ينعله

أنه يأخذ طير عصفور ويشد في رجله تلفكا ويجعل في التلفك بطاقة صغيرة ويشد في رجل حمامة تلفكا ويشد في طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاما له في السطح والحمامة بيد آخر فيه مافى تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر في الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى يبارش كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد في اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبته الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر ما فى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتابا إلى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا ويجعله فى رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد آتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجئ ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام.

قال ابن عقيل : وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم الى التلاعب بالدين فأى بقاء للشرعية مع هذا الحال. قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس على بن الحسين بن محمد البغدادي توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة. وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الامامية والعلاة الباطنية وقد ذكرت فى التاريخ عن ابن الشباس ان بعض أصحابه اكتشفت له نار بخيائته وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها

بعض أصحابه من الشيعة الإمامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه قال: حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ولم نر للنار أثرا ولا للرماد ولا للعظام خبرا. قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده ويفتح السرداب وإذا أراد أن يظهر النار أعاد الطبق إلى قم السرداب فتري للناس.

قال المصنف رحمه الله: وقد رأينا في زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول: هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا إلى. وأخذ رجل في زماننا ابريقا جديدا فترك فيه عسلا فتشرب في الخنزف طعم العسل واستصحب الابريق في سفره فكان إذا غرق به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل ومافى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف في الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان.

.....

الباب الثاني عشر

فى ذكر تلبيس إبليس على العوام

قد بينا أن إبليس إنما يقوى تلبسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحضر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرتة وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق. فمن ذلك أنه يأتى الى العامى فيحمله على التفكير فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ «تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله» قال أبو هريرة: فوالله انى لجالس يوما إذ قال لى رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله. قال ابو هريرة. فجعلت أصبغى فى أذنى ثم صحت - صدق رسول الله - الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وبإسناد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك، فيقول: الله، فيقول: من خلق السموات والأرض، فيقول: الله. فيقول: من خلق الله، فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل أمنت بالله ورسوله».

قال المصنف رحمه الله: وإنما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه مارأى شيئا إلا مفعولا. وليقل لهذا العامى ألس تعلم أنه خلق الزمان لافى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شئ وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئا إلا فى مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس. وشاور عقلك فانه سليم المشاورة. وتارة يلبس إبليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه. وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاثل فى أمر لا يعرف حقيقته. فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه. ومنهم من يخص عليا. وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال

ما يطول ذكره وترى كثيرا ممن يخاصم فى هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس و أبوبكر وعلى بريثان منهم . وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب . ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى . ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر . ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء يعد بنائها . ومنهم من يستبعد البعث . ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يستلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى . وربما غلب فاجر نصرانى مؤمنا فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب . ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض .

فصل

ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها على ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك . هذا وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذي أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل .

فصل

ومن تلبسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإشاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم .

فصل

ومن تلبسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من آقبح الجهل . وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم عن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية . وإنما ينبغى تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ ومن الله سبحانه فى إرسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ . وقال : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ .

فصل

وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وإن خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتنمى يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدق . ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتنميين أموراً لا تحل كمؤاخاه النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليماً لهم أحوالهم .

فصل

ومن تلبسه على العوام اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة . فمنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيئته . ولو فهموا لعلوا أن هذا ليس بتقد لأنه محرم وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فاذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلوا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلوا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما أثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ماتعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى . ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيههم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات فقال : أخبرونى

لو أذنبت إلى ولديّ ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقدفاني في تنور مملوءاً جمرأ. قالوا لا إنما كانا يرحمانك. قال: فإني أوثق برحمة ربي منهما. قلت: وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم. ويأسناد عن عباد قال: الأصمعي كنت مع أبي نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود. فقال لي أبو نواس. والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود. فقلت: ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال: مامنه بد. ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فإن ربي رحيم ثم أنشد يقول:

وغاشقان التف خداهما — عند استلام الحجر الأسود

فاشتفيا من غير أن يأتيا — كأنما كانا على موعد

قلت. انظروا إلى هذه الجرأة التي نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمه. وقد ذكرنا في أول الكتاب هذا أن رجلاً زنى بامرأة في الكعبة فمسحها حجرين. ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له تب إلى الله عز وجل فقال إياي تخوفون حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعة لأهل الكبائر من أمتي. أفترى لا أكون أنا منهم.

قال المصنف رحمه الله: وخطأ هذا الرجل من وجهين. أحدهما أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب. والثاني أنه نسي أن الرحمة إنما تكون فسائب كما قال عز وجل: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ وقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ وهذا التلبس هو الذي يهلك عامة العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة.

فصل

ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلبس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً

وقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ وهذا التليس هو الذي يهلك عامة العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة.

فصل

ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التليس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل. وبعضهم يقول: ما قدر ذنبي حتى أعاقب. ومن أنا حتى أؤاخذ، وذنبى لا يضره وطاعتي لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمي كما قال قائلهم: من أنا عند الله حتى إذ أذنبت لا يغفر لي ذنبي

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو ندأ. ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا في مقام معاند، وسمع بن عقيل رحمه الله رجلاً يقول، من أنا حتى يعاقبني الله، فقال: له أنت الذي لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاباً لك. ومنهم من يقول، سأتوب وأصلح، وكم من ساكن الأمل من أبله فاخطفه الموت قبله، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب وربما لم تنهياً التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقي الحياء من الجناية أبداً. فمرارة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل. ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه. وبإسناد عن الحسن أنه قال: إذا نظر إليك الشيطان وراك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوماً على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

فصل

ومن تلبسه عليهم أن يكون لأحبهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول: أنا من أولاد أبو بكر. وهذا يقول. أنا من أولاد علي. وهذا يقول: أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول. أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين. أحدهما: أنهم يقلون من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله. والثاني: أن هؤلاء: لهم شفاعاة وأحق من شفعا فيه أهلهم

وأولادهم. وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بأبائهم ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضاً. وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له ﴿إنه ليس من أهلك﴾ ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبينا في أمة وقد قال ﷺ لفاطمة رضى الله عنها. «لا اغنى عنك من الله شيئاً». ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه.

فصل

ومن تليسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالى بما فعل بعدها. فمنهم من يقول: أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصى. وكشف هذا التلبس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفى أحدهما عن صاحبه. وكذلك تقول الروافض: نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى. ومنهم من يقول أنا لازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الأول.

فصل

ومن هذا الفن تليسه على العيارين فى أخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون: الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاسون من أخذ أموال الناس وينسون ثقل الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة. وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كاللباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة. وربما اسخر أحدهم بالصبر على الضرب. وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم؟ فقال أبو الهيثم الحداد: لما مددت يدي إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى: تعرفنى قلت لا، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار

مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إنني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين، قلت: أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد. وكان يضرب المثل بصبره. وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال أملا لي جرابي عقارب ثم أدخل يدي فيه وأنه ليؤلمني ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحتقرت من حرارة ما يخرج من جوفى ولكنني وطنت نفسي على الصبر، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل. فقال أحب الرياسة. فقال المتوكل نحن خليدية. وقال الفتح أنا خليدي. وقال رجل لخالد: يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب. فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم. وقال داود بن علي لما قدم بخالد اشتبهت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالسا غير متمكن لذهاب لحم إليثيه من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون: ضرب فلان، وفعل بفلان كذا، فقال لهم. لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون تحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم.

فصل

ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض. مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام. ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب. ومنهم من يتعبد ويكي وهو مصر على الفواحش لا يتركها. فإن قيل له قال: سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح. ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش.

فصل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويكثفون بذلك ظنا منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور في مجالس الذكر. ولو علموا أن المقصود إنما هو

العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة في الحجة عليه. واني لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبيكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة في الربا والغش في البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلبس من الذنوب. وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم. وشغل آخرين بالتسويق بالتوبة فطال عليهم مطالهم. وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعون وأهملوا العمل به.

فصل

وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه. أحدها: من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصيبت وقد فشا الربا في أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم بخارجة عن الإجماع وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام». والثاني: من جهة البخل بها فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلاً إنكالا على العفو. ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه. ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الجول ثم يسترده. ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوبا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يسألوي دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص. ومنهم من يخرج الرديء مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهي على الحقيقة أجرة. ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغي فيقول له إبليس «ما بقى عليك قيمته أن يتنفل بصدقة حبا للمال فيفوته أجر المصدقين ويكون المال زرقا غيره».

وياسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال: أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضع على عينه وسرته وقال بك أطفئ وبك أكفر. رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدني. وعن الأعمش عن شقيق عبد الله قال: إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريذة فإذا أعياه اضطجع في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا. والثالث من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيرا من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر.

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الأنفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها. فمنهم من يتفقه على وجه التبذير والإسراف، وتارة فى البنیان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور. وتارة فى اللبس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف. وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك.

وبإسناد عن أنس بن مالك قال: رسول الله ﷺ (يا ابن آدم لا تزول قدمك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليت وما لك من أين اكتسبته وأين أنفقت). ومنهم من يتفقه فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة، ويقاء الذكر فيكتب اسمه على بابى ولو كان عمله لله عز وجل لا يكتبى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى جائط من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل. ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلباً للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن إخراجهم قليلاً من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان ولقد كان أغناء الفقراء بشمس الشمع أولى ولربما خرجت الأضيواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير أن الرياء يعمل عمله. وقد كان أحمد ابن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى. ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير. وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلان ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلاً يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعه فاذا لمسه وجد تدوير دينار فقرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلاً ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فراه رائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة. ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وبإسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

«الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة». ومنهم من يعلم فضيلة التصديق على القرابة إلا ان يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى. وقد روى عن أبى أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح».

قال المصنف رحمه الله: وإنما قبلت هذا الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فإن من تصدق على ذى قرابة بحبه فقد اتفق على هواه. ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة. وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تقول». وبإسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال تصدق به على نفسك. قال عندي دينار آخر قال تصدق به على زوجتك. قال عندي دينار آخر قال تصدق به على ولدك. قال عندي دينار آخر قال تصدق به على خادمك. قال عندي دينار آخر قال أن أبصر به». ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه ألبس بأن الحج قرينة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس. قال رجل لبشر الحافى. أعددت ألفى درهم للحج. فقال: أحججت؟ قال نعم، قال: اقضى دين مدين قال: ما قبل نفسى إلا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجئ ويقال فلان حاجى. ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى. ويلبس عليه إلبس بآنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر فى ذلك قرينة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة. ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به. وبإسناد عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ «من حاف عند الوصية قذف فى الوباء» والوباء واد فى بطنهم. وعن الأعمش عن خيشمة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم قلن يغلبنى على ثلاث أمره بأخذ المال من غير حقه وأمره بانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه».

فصل

وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان

اضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فأنما يستكثر من نار جهنم. اخبرنا ابن الحصين بإسناد عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من سأل الناس أموالهم تكثراً فأنما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر». وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده بإظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رأى. وإن كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففى ضمن بخله الشكوى من الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً بادی الهيئة فقال «هل لك من مال. قال نعم. قال فلتر نعمة الله عليك». وإن كان فقيراً محققاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجميل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحاً يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد.

فصل

ومن تلبس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وإن الخيرية ليست بالوجود والعدم وإنما هى بأمر وراء ذلك.

فصل

وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجرىان مع العادات وذلك من أكثر أسباب هلاكهم. فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ. ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى لرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هوأناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد، ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله خالفه فى ركن فإذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شئ وذاك أمر لا يحمله الإمام

فتكون صلاته باطلة. وربما يترك أحدهم فريضة وزاد فى نافلة. وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان فى يده خاتم قى حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى مائتته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالاً منهم للدخول تحت حكم الشريعة. وقل أن يبيعوا شيئاً إلا وفيه غش ويغطيه عيب. والجللاء يغطى عيوب الذهب الرديئ حتى أن المرأة تضع الغزل فى الانداء وتنديه ليثقل وزنه.

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام ويغتاب الناس، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبشاع الفطر. ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فإن أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وأكل أجره الدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب. ومنهم من يرهن الدار على شئ ويؤدى ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو أنه يستعمل الخنزير مكان الصفر. ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوباً أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف. وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه سأل عن الكهان فقال: ليسوا بشيء. فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشئ يكون حقاً. فقال رسول الله ﷺ. تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فينقرها فى أذن وليه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال «من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة». وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ». ومن جريانهم مع العادات كثرة الإيمان الحائثة التى أكثرها ظهاروهم لا يعلمون فأكثر قولهم فى

الإيمان حرام على أن يعت، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبياً لأذى المسلمين، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مثزر وفيهم من إذا دخل بمثزر رمى به على فخذه فيرى جوانب اليتيم ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر. ومن عاداتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها وينظن الزوج أنه قد تخلص بما قد اسقطته عنه. وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز فى القسم متهاونا بذلك ظناً أن الأمر فيه قريب. فقد روى أبو هريرة، رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «من كانت له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجزأ إحدى شقيه ساقطاً أو مائلاً». ومن عاداتهم اثبات الفلاس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يؤسر ولا يؤدى حقاً. ومنهم من لا يقوم من دكانه بحججه الفلس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه بنفسه فى مدة استتاره وعنده إن الأمر فى ذلك قريب. وما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتشبث فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد الساج الفاس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله. وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا فى إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الإجارة. وقلة نصحبهم فى أعمالهم كثيرة وما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالة ينبغي أن يكون وسطاً. ويدفنون معه جملة من الثبات وهذا حرام لأنه إضاعة المال ويقيمون البنوح على الميت، وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «إن النائحة إذا لم تنب قبل موتها نقام يوم القيامة

وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ليس منا من شق الجيوب ولطم الحدود ودعى بدعوى الجاهلية». وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم يناموا هذه المدة في سطح. ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها وأخذ تراب القبر المعظم. قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها ونخيلها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يا مولاي أفعل بى كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرجال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا نجد فى هؤلاء من يحقق مسألة فى زكاة فيسال عن حكم يلزمه: والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بأجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى. ولم يكن معها نياحة. ولم يعقد على أبيه أرجاً بالحصى والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه.

فصل

وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبس إبليس عليهن فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلى العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهى لا تعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام: وقد تؤخر غسل الجنابة فى الليل إلى أن تطلع الشمس. فإذا دخلت الحمام لم تنثر بمئزر وتقول ما دخل إلى إلا القيمة. وربما قالت أنا وأختى وأمى وجارىتى وهن نساء مثلى فممن أسست وهذا كله حرام. فإن تأخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من

المرأة ما ييس سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصلى المرأة قاعدة وهي تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة. وقد تحتج بنجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت وإنما هات عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل. وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستعين به. وقد تستعين المرأة بإسقاط الحبل ولا تدري أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستعين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فإنه يجب عليها أن تتوب وتؤدي دينه إلى ورثته وهي غرة عبداً أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبة أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين. وقد تسيء الزوجة عسرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادى وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية. ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة. وفيهن من تلامن القبور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً. ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهي منهيّة عنه لما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح» أخرجه فى الصحيحين. وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رصاه. وقد تعطى من ينجم لها بالخصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حراء فإن أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ السوفى وتصافحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب، وينبغى أن تكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فإن هذا الأمر يطول ولو بسطنا لنبد المذكورة فى هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين

بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل
ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

.....

الباب الثالث عشر

فى ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل

قال المصنف رحمه الله: كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يشبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عارم على الجذ سوفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت. ولا يزال يحجب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحارم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير، أو ميل أن شر طول الأمل فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالتزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أن يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملاً ضعيفاً ومن صور الموت عاجلاً جده، وقد قال عليه السلام «صل صلاة مودع». وقال بعض السلف: أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس: ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحارم فاشتري ما يصلح لتمام سفره وحبس متأهباً للرحيل: وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً، فضرب بو، الرحيل فى الحال فاغتبط المحترق واغتبط الأسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المعرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذا كان فى الطبع حب التواني وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما فى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن سأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا أنه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٦	(الباب الاول) فى الامر بلزوم السنة والجماعة
١٢	(الباب الثانى) فى ذم البدع والمبتدعين
١٦	تعريف السنة وتعريف البدعة
١٨	بيان انقسام اهل البدع
١٩	انقسام الحرورية
٢٠	انقسام الجهمية
٢٠	تنقسام المرجئة
٢٠	انقسام الرافضة
٢١	انقسام الجبرية
٢٢	(الباب الثالث) فى تحذير من فتن ابليس ومكايدہ وما ورد فى ذلك ..
٣٢	ذكر الاعلام بأن مع كل إسان شيطان
٣٣	بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم
٣٣	ذكر التعود من الشيطان الرجيم ..
٣٦	(الباب الرابع) فى معنى التلبس والغرور ..
٣٨	(الباب الخامس) فى ذكر تليسه فى العقائد والديانات
٣٨	ذكر تليسه على السوفسطائية وتقرير مذهبهم والرد عليهم بما يقنع ..
٤٠	ذكر تليسه على الدهرية
٤١	ذكر تليسه على الطوائع ..
٤٢	ذكر تليسه على الثنوية
٤٤	ذكر تليسه على الفلاسفة ..
٤٨	تليسه على أصحاب الهياكل ..
٥٠	تليسه على عباد الاصنام وتوليتهم ..

٦٠	تلييسه على الجاهلية بمذاهب شتى
٦٣	تلييسه على جاحدى النبوات
٦٧	مذاهب البراهمة فى إنكار النبوات وقد ألقى إبليس اليهم ست شبهات ذكر
٦٨	تلييسه على اليهود
٧٠	ذكر تلييسه على النصارى فى التثليث
٧١	من تلييس إبليس على اليهود والنصارى
٧١	ذكر تلييسه على الصائفة وحكاية مذهبهم
٧٣	ذكر تلييسه على المجوس فى قولهم بالثنوية
٧٥	ذكر تلييسه على المنجمين القائلين بالفلك
٧٦	ذكر تلييسه على جاحدى البعث وبيان شبههم والرد عليه
٧٧	ذكر تلييسه على القائلين بالتناسخ
٧٩	ذكر تلييسه على أمتنا المقلدين فى العقائد والديانات
٨٨	ذكر تلييسه على الخوارج وخبر ذى الخويصرة
٩٥	ذكر تلييسه على الرافضة فى عقائدهم
١٠٠	ذكر تلييسه على الباطنية وذكر فرقهم مفصلة وهى ثمانية
١٠١	منهم الاسماعيلية وخبر زعيمهم
١٠٢	ومنهم القرامطة وأخبارهم
١٠٤	ومنهم الخرمية والتعليمية
١١١	(الباب السادس) فى تلييسه على العلماء تلييسه على القراء
١١٣	ذكر تلييسه على أصحاب الحديث
١١٧	ذكر تلييسه على الفقهاء لجهلهم بالكتاب والسنة
	إدخالهم أوضاع الفلاسفة فى جدلهم واعتمادهم على ذلك
١١٨	الأوضاع المناظرة وآدابها والمراد منها
١٢٣	ذكر تلييسه على الوعاظ والقصاص وآفاتهم
١٢٥	ذكر تلييسه على أهل اللغة والادب بأنهم على شئ من العلم

الصفحة	الموضوع
١٢٨	ذكر تلبيسه على الشعراء
١٣٠	ذكر تلبيسه على الكاملين من العلماء
١٣٢	(الباب السابع) فى تلبيسه على الولاة والسلاطين
١٣٥	(الباب الثامن) فى تلبيسه على العباد فى العبادات
١٣٥	ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة، والحدث
١٣٦	ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء
١٣٧	ذكر تلبيسه عليهم فى الاذان بادخال ريادات لم تشرع اتخذت الآن ديناً
١٣٨	ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة والوسوسة فى النية والتكبير
١٤٣	ذكر تلبيسه عليهم فى قراءة القرآن
١٤٤	ذكر تلبيسه عليهم فى الصوم . والسنة فى نقله
١٤٦	ذكر تلبيسه عليهم فى الحج
١٤٧	ذكر تلبيسه على الغزاة من وجوه
١٤٩	ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر
	(الباب التاسع) فى تلبيسه على الزهاد والعباد وتمهيد المؤلف
١٥١	لهذا الباب بما يعجب المطلع عليه
١٦٣	(الباب العاشر) فى تلبيسه على الصوفية
١٧٦	ذكر تلبيسه على الصوفية فى الطهارة
١٧٧	ذكر تلبيسه على الصوفية فى الصلاة
١٧٧	تلبيسه عليهم فى المساكن وبناء الأربطة
١٧٨	تلبيسه عليهم فى الخروج عن الاموال والتجرد عنها
١٨٩	ذكر تلبيسه عليهم فى لباسهم المرقعات والقوط
٢١٠	ذكر تلبيسه عليهم فى المطعم والمشرب وتقسفهم
٢١٠	ذكر طرف مما فعله قداماؤهم
٢٢٢	ذكر تلبيسه عليهم فى ذكر أحاديث تبين خطئهم وأفعالهم
٢٢٥	ذكر تلبيسه عليهم فى السماع والرقص والوجد

٢٣٣ ذكر الادلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما
٢٥٢ ذكر تلييسه عليهم فى الوجد ونقد ذلك
٢٦٧ ذكر تلييسه عليهم فى صحة الاحداث
٢٨٠ ذكر تلييسه عليهم فى ادعاء التوكل وقطع الاسباب
٢٨٩ ذكر تلييسه عليهم فى ترك التداوى
٢٩٠ ذكر تلييسه عليهم فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة
٢٩١ ذكر تلييسه عليهم فى التخشع ومطاطاة الرأس واقامة التاموس
٢٩٤ ذكر تلييسه عليهم فى ترك النكاح
٢٩٨ الاضرار التى تعتري ترك طلب الاولاد
٢٩٩ تلييسه عليهم فى الاسفار والسياحة
٣٠١ ذكر تلييسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد
٣١٨ ذكر تلييسه عليهم فيما يفعلونه اذا قدموا من السفر
٣١٩ ذكر تلييسه عليهم إذا مات لهم ميت
٣٢١ ذكر تلييسه عليهم فى تركهم التشاغل بالعلم
٣٢٦ ذكر تلييسه على جماعة باعدامهم كتب العلم بالدفن وإلقائها بالماء
٣٢٩ إنكارهم على من تشاغل بالعلم
٣٣١ تلييسه عليهم فى كلامهم فى العلم ونبذة من كلامهم فى القرآن
٣٤١ ذكر تلييسه عليهم فى الشطح والدعاوى
٣٧٥ (الباب الحادى عشر) فى تلييسه على المتدينين بما يشه الكرامات
٣٨٥ (الباب الثانى عشر) تلييسه على العوام
٤٠١ (الباب الثالث عشر) فى تلييسه على الناس أجمعين بطول الأمل
٤٠٣ الفهرس

